محمد عبد المعطى الهمشرى

الأعمال الشعرية الكاملة

جمع وتحقيق

حسن توفيق



بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: محمد عبد المعطى الهمشري

اسم المؤلف: المحقق حسن توفيق

رقم الإيداع: ٩٧٨٩

الطبعة الأولى ٢٠١٢



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

محمد عبد المعطى الهمشري
حياته القصيرة .. لم تطمس موهبته الكبيرة
مقدمة بقلم : حسن توفيق

هناك كتاب وشعراء وفنانون رحلوا عن عالمنا وهم فى ذروة شبابهم، ومن هؤلاء أسمهان وبدر شاكر السياب وأمل دنقل، وهناك آخرون عاشوا طويلا، لدرجة أن منهم من كان يطل خلال حياته من شرفة الثمانين أو التسعين، ومن هؤلاء فدوى طوقان ومحمد مهدى الجواهرى ونجيب محفوظ، لكن القضية الجوهرية التى ينبغى أن نركز عليها – فى تقديرى – لا تتعلق بما قُدِّرَ لكل واحد من هؤلاء أن يحياه، وإنما بما استطاعوا جميعا أن ينجزوه وأن يحققوه خلال سنوات الحياة، بصرف النظر عما إذا كانت حياة قصيرة أو طويلة، لأن الرصيد الذى يبقى وقد يتجدد على امتداد الأجيال يتمثل فى الثروة الأدبية أو الفنية التى يبدعها الكاتب أو الفنان طيلة سنوات حياته، ويخلفها وراءه بعد غيابه النهائى عن الحياة والأحياء .

ثلاثة شعراء من جيل عربى واحد، قُدِّرَ لهم أن يرحلوا عن عالمنا وهم فى ذروة شبابهم، وبالتالى لم يقدر لأى شاعر منهم أن يجمع قصائده بنفسه،وأن يقوم بتبويبها وترتيبها فى ديوان يضمها ويحتضنها بين صفحاته، وهكذا قام آخرون بهذه المهمة، نيابة عمن رحلوا، ووفاء لذكراهم، وحرصا على تراثهم الشعرى الذى أبدعوه .

هؤلاء الشعراء الثلاثة الذين رحلوا فى ذروة شبابهم هم – وفقا لأسبقية ميلاد كل منهم – محمد عبد المعطى الهمشرى وأبو القاسم الشابى والتيجانى يوسف بشير.

محمد عبد المعطى الهمشرى – وُلِدَ فى مصر سنة ١٩٠٨ ورحل عن عالمنا يوم ١٤ ديسمبر ١٩٣٨عن ثلاثين سنة .

أبو القاسم الشابى – ولد فى تونس يوم ٢٤ فبراير ١٩٠٩ ورحل عن عالمنا يوم ٩ أكتوبر١٩٣٤عن خمس وعشرين سنة

وقد صدرت الطبعة الأولى من ديوانه أغانى الحياة سنة ١٩٥٥ حيث نشرته دار الكتب الشرقية وتم طبعه فى دار مصر للطباعة بالقاهرة .

أما التيجانى يوسف بشير - فقد ولد فى السودان سنة ١٩١٠ فى أغلب المراجع، وهناك من يقول إنه ولد سنة ١٩١٢ وقد رحل عن عالمنا سنة ١٩٣٧ عن سبع وعشرين سنة.

حين راجعت كتابا فى مكتبتى بعنوان التجانى يوسف بشير - لوحة وإطار لمؤلفه أحمد محمد البدوى وجدته يذكر تاريخ رحيل التيجانى بشكل دقيق وهو يوم الأربعاء ٢٨ يوليو ١٩٣٧ وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٩٨٠ وهو مطبوع فى المطبعة الفنية للطبع والنشر والتجليد بالقاهرة .

صدر للتيجانى يوسف بشير ديوان إشراقة - الطبعة الثانية سنة ١٩٤٩ عن المطبعة الوطنية بالخرطوم، أما الطبعة الأولى منه فإنى لم أستطع حتى الآن تحديد تاريخ صدورها، وعلى أى حال فإنى لاحظت أن كثيرين من أدباء السودان يكتبون اسم التيجانى بدون حرف الياء أى أنهم يكتبونه التجانى وهناك آخرون منهم يكتبونه كما نكتبه نحن خارج السودان بالياء !

***

فيما يتعلق بالهمشرى - مبدع هذه الأعمال الشعرية الكاملة - فإنى أعترف بأن حبى العميق للشاعر الكبير الدكتور إبراهيم ناجى الذى سحرنى منذ كنت طالبا فى المرحلة الثانوية، هو الذى قادنى لأن أتعرف على شعراء جيله الآخرين ممن ينتمون لجماعة أبولو الشعرية، وقد أحببت كثيرين من هؤلاء، بل إنى ارتبطت بعلاقات صداقة جميلة مع بعضهم منذ أن كنت طالبا جامعيا بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة القاهرة وذلك خلال الستينيات من القرن العشرين الغارب، ومن هؤلاء الشعراء الكبار الذين سعيت لأن ألتقى معهم محمود حسن إسماعيل وحسن كامل الصيرفى وصالح جودت، أما محمد عبد المعطى الهمشرى الذى رحل عن عالمنا قبل أن أولد، فقد حرصت على البحث المتأنى عن قصائده المنشورة فى مجلة أبولو، وكم كنت سعيدا حين استطعت العثور على كتاب الروائع لشعراء الجيل، وهم - كما أشرت من قبل - محمد عبد المعطى الهمشرى وأبو القاسم الشابى والتيجانى يوسف بشير.

وحين نتحدث عن إبداعات الهمشري، فإن علينا أن نلاحظ أن مهمة جمع

ديوانه بعد رحيله عن عالمنا قد مرت بمراحل متنوعة ومختلفة، وعن هذه المراحل يقول صالح جودت فى مقدمته لديوان الهمشري: من حسن حظ الأدب أن وفقنا الله إلى جمع شعر الهمشرى ونشره فى هذا الديوان، بعد أن أوشك هذا الشعر أن يضيع، بل لقد ضاع بالفعل أكثر من مرة. ذلك أنه بعد وفاة الهمشري، هَمَّ الدكتور إبراهيم رشاد بجمعه وطبعه، وجمع منه قدراً ليس باليسير، ولكن لصاً سطا على البيت، فسرق هذا الشعر فيما سرق، ولعله أسف على هذا الجزء من الغنيمة، الذى لا يروى غلته. ومرة أخرى هَمَّ الأستاذ التابعى بجمع ترات الهمشري، ولكن شواغل الحياة شغلته فلم ينجز المهمة. ومرة ثالثة جمع الأستاذ محمد فهمى كثيراً من شعر الهمشري، ولكنه أخذه معه وسافر إلى الحجاز، ولم يعد. وفى المرة الرابعة، حرصت على ألا يثنينى عن إنجاز المهمة شئ، فعكفت على جمع قصائد الهمشرى المتناثرة من مختلف مصادرها، كما حرصت على ذكر مصدر كل قصيدة، أمانة للتاريخ. وأستطيع أن أجزم بأن هذا هو كل شعر الهمشري، أوجله على الأقل، وأن ما ضاع من شعره - إن كان قد ضاع شئ - لا يزيد على أبيات معدودة مما نظم فى أول شبابه.

هذا ما قاله - بالنص - صالح جودت، وقد كان صديقا للهمشرى منذ أن كانا صبيين صغيرين، ومع هذا فإنى أقول إن صالح جودت قد تغافل عن أمر جوهرى فى المراحل المتنوعة والمختلفة المتعلقة بمهمة جمع ديوان صديقه الهمشري، فليس صحيحا أن الأستاذ محمد فهمى قد جمع كثيرا من شعر الهمشري، ولكنه أخذه معه وسافر إلى الحجاز، ولم يعد، وإنما الصحيح أن محمد فهمى قد جمع قصائد رائعة للهمشرى ووضعها فى صدارة كتابه الروائع لشعراء الجيل، الذى أشرت إليه، وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٩٤٥ فى القاهرة وعندى منه نسختان - لا نسخة واحدة - فى مكتبتي، ومن الغريب أن صالح جودت قد نسى أنه - هو شخصيا - قد أشار أكثر من مرة إلى كتاب الروائع لشعراء الجيل فى ثنايا كتابه عن الهمشرى الذى صدر سنة ١٩٦٣ أى قبل صدور ديوان الهمشرى الذى جمعه وحققه وقدم له وذكر فى مقدمته أن محمد فهمى قد جمع قصائد للهمشرى ، لكنه أخذها معه وسافر إلى الحجاز ولم يعد !

بعد تسع وعشرين سنة على صدور كتاب الروائع لشعراء الجيل سنة١٩٤٥ كما ذكرت، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٤ ديوان الهمشرى الذى جمعه وحققه وقدم له صالح جودت، وقبل أن يتم طبع الديوان كلفنى الشاعر الكبير صالح جودت بمراجعة التجارب الطباعية فى المطبعة، وقد سعدت بهذا التكليف، لكني اكتشفت أن عندى قصائد للهمشري، كنت قد قمت بجمعها من الجرائد التى

نشرت على صفحاتها، وهذا ما دفعني متحمسا لأن أخبر صالح جودت بالأمر، فطلب مني أن أضم ما عندي من قصائد الهمشري إلى الديوان، لكنه لم يطلب مني الاطلاع عليها، وهذا – بصراحة – ما أغاظني وقتها، لأنني رأيت أن عدم الاطلاع عليها من جانبه دليل على عدم الاهتمام، وهكذا قررت أن أحتفظ بها عندي، إلى أن يأتي يوم يمكنني فيه نشر تلك القصائد بصورة أو أخرى، وهذا ما استطعت أن أحققه ولو جزئيا، حيث نشرت النص الكامل لإحدى تلك القصائد ضمن مقدمتي المطولة لكتاب إبراهيم ناجي – قصائد مجهولة، وهو الكتاب الذي قمت فيه بجمع ما اكتشفته من قصائد مجهولة للشاعر الذي أحببته الدكتور إبراهيم ناجي، وقد صدر هذا الكتاب عن مكتبة مدبولي بالقاهرة سنة ١٩٧٨ وأما قصيدة الهمشري فهي بعنوان نداء الفجر، وهي تحتل صفحة كاملة في كتاب قصائد مجهولة، هي الصفحة الثانية والعشرون، وبعد سنة ١٩٧٨ قمت بنشر عدة قصائد مجهولة للهمشري في بعض الجرائد العربية

***

من هذا المنطلق، رأيت أن أقسم هذه الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر محمد عبد المعطي الهمشري إلى ثلاثة أقسام :

(١) القسم الأول: قصائد جمعها محمد فهمي في كتاب الروائع لشعراء الجيل سنة ١٩٤٥ وهي إحدى عشرة قصيدة، وقد اخترتها كلها لتبدأ بها هذه الأعمال الشعرية باستثناء قصيدة واحدة، لأنها غير مكتملة ، حيث يقول محمد فهمي عن هذه القصيدة إنها مقتطفات من الملحمة الفلسفية الخالدة شاطيء الأعراف، بينما قام صالح جودت – فيما بعد – بإدراج النص الكامل لها ضمن ديوان الهمشري .

القصائد التي جمعها محمد فهمي – وفقا لترتيبها في الكتاب، وهو الترتيب الذي التزمت به هنا – هي عشر قصائد، وكلها ليست مؤرخة سواء بتواريخ كتابتها، وهي مهمة صعبة تماما، أو بتواريخ نشرها، وهي مهمة يسيرة :

١ - النارنجة الذابلة – مطلعها :

كانت لنا عند السياج شجيرة – ألف الغناء بظلها الزرزور

٢ -إلى جتا الفاتنة في مدينة الأحلام – مطلعها :

ها هو الليل قد أتى فتعالى – نتهادى على ضفاف الرمال

٣– حدائق الشفق – مطلعها :

بين الدجى واحمرار شعه الشفق – النور يرقص فى عينى ويأتلق

٤– تأملات أو حياة شاعر – مطلعها :

غدًا يا حياتى تنتهى ضحكاتنا– وآلامنا تفنى وتفنى المشاعر

٥ – أغنية النخيل – مطلعها :

قد طاب لى مقيلى – فى سهلك الجميل

٦ – العودة – مطلعها :

رجعت إليك اليوم من بعد غربتى – وفى النفس آلام تفيض ثوائر

٧–اليمامة – مطلعها :

رددى فى الكون ذكرى الهديل – وتغنى يا شهر زاد النخيل

٨– أمسية شتائية فى ضاحية – مطلعها :

المساء المغيم الذهبى – والغناء المعطر الشفقى

٩ – إلى القمر – مطلعها :

لياليك من ليل الفراديس أبهج – ونورك أزهى فى العيون وأبلج

١٠– المغرد – مطلعها :

يا راحة فى ظلمة اليأس – فيها صفاء القلب والنفس

(٢) القسم الثانى - القصائد التى يضمها ديوان الهمشرى الذى جمعه وحققه وقدم له صالح جودت سنة ١٩٧٤ كما ذكرت . وهنا لا بد لى أن أوضح أن صالح جودت قد اعتمد فى جمع قصائد الهمشرى على مراجعة أعداد مجلتين اثنتين لا أكثر هما أبولو والتعاون، ولم يرجع إلى سواهما من المجلات، وهذا ما أتاح لى أن أكمل مهمته غير المكتملة، ولابد لى من القول أيضا إنى قد قمت بحذف القصائد التى كان محمد فهمى قد جمعها سنة ١٩٤٥ من هذا القسم الخاص بها جمعه صالح جودت سنة ١٩٧٤ وذلك منعا للتكرار دون مبررات من ناحية، وإنصافا – من ناحية ثانية – لمحمد فهمى الذى كان أول من جمع ما جمع من شعر للهمشرى .

(٣) القسم الثالث - القصائد التى قمت بجمعها خلال انهاكى الطويل والممتع فى جمع القصائد المجهولة للدكتورإبراهيم ناجى ابتداء من سنة ١٩٧٤ حتى سنة ٢٠١٢ حيث عثرت خلال هذه السنة - بعد معاودة البحث والتنقيب - على ثلاث قصائد للهمشري، من بينها أول قصيدة ينشرها فى حياته، وذلك يوم الأربعاء ٣ أبريل سنة ١٩٢٩ وكان وقتها فى الحادية والعشرين من عمره، وعلى أى حال فإنى سعيد حقا بما استطعت جمعه من قصائد مجهولة للهمشري، وهى قصائد لم تنشر من قبل فى أى كتاب، وها هى تنشر للمرة الأولى هنا ضمن الأعمال الشعرية الكاملة للهمشرى .

وقد قمت بترتيب قصائد هذا القسم وفقا لأسبقية نشرها فى الجرائد التى قامت بنشرها، وهى على النحو التالى :

١ - الربيع - منشورة يوم الأربعاء ٣ أبريل سنة ١٩٢٩ ومطلعها :

شمس تفيض على روح تباهيها

جداولا من عيون النور ترويها

٢ - الأنشودة الأخيرة - منشورة يوم الأربعاء ١٢ فبراير ١٩٣٠ ومطلعها :

خليانى ألقى الردى خليانـــــي

قبلما ألتقى بيوم ثـــان

٣- بيتان من قصيدة هجاء - قيلت القصيدة سنة ١٩٣٠ ومطلعها :

سبحان من خلق القرود وصورا

وقضى علينا أن نراك وقدرا

٤ - مرثية كتبت فى فناء كنيسة قرية - منشورة يوم السبت ٨ مارس سنة ١٩٣٠ ومطلعها :

لقد دق ناقوس الكنيسة مؤذنــا

بيوم فراق كان بالأمس خافيــا

٥- الشاعر المنتحر - منشورة يوم السبت ٢٠ ديسمبر ١٩٣٠ ومطلعها :

أفزعه الشوق إلى وكـــــــره

وحن فى الليل إلى فجـــــــره

٦- الأغنية التائهة – منشورة يوم ٣ يناير ١٩٣٤ ومطلعها :

أيها الليل أتينا نشتكـــــــــي

فاستمع شكوى الحزانى المتعبين

٧- حلم السيراناد – منشورة يوم ١٧ يناير سنة ١٩٣٤ ومطلعها :

أفدى بقلبى العليل الــــــوفي

حبيبى الجميل الذى لا يفـــــى

٨- المرثية الحزينة – منشورة يوم ٤ أبريل سنة ١٩٣٤ ومطلعها :

لم يبق من أثر الجمال عليــــــك

إلا جلال قد تنور فيـــــــك

٩- نداء الفجر – منشورة يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٣٤ ومطلعها :

النسيم العطرى ندى جبينــــي

والضياء الليلى حف جفونــــي

١٠- القرية المهجورة – منشورة فى مارس سنة ١٩٣٦ ومطلعها :

وا سوأتاه لأرض أصبحت غنما

ترعاه عاجلة الأسقام والنـــوب

١١ – أنشودة النيل – منشورة يوم ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ ومطلعها :

أبو البحار وما تحويه من سمـك

يا نهر أنت ومن ينشى الرياحينـــا

وقد رأيت أن أقدم كذلك بعض الكتابات النثرية للهمشري، لأنها مجهولة تماما، ولأنها مفيدة – من جهة ثانية – للباحثين والدارسين إذا كانوا حقا باحثين ودارسين، وليسوا لصوصا ممن يسطون على جهدي وعلى جهود الآخرين، ولن أذكر هنا اسم أى شخص من هؤلاء، لأنهم يعرفون أنفسهم ويعرفون بالطبع أنهم

لصوص!

أما خاتمة هذا الكتاب – الأعمال الشعرية الكاملة للهمشري – فقد اخترت أن أدرج فيها بعض الكتابات التى كتبها أصحابها لدراسة شعر هذا الشاعر الرقيق الذى رحل مع رفيقيه الشابى والتيجانى وهم فى ذروة شبابهم، وتتمثل تلك الكتابات – على وجه التحديد – فى مقال مهم بل على جانب عظيم من الأهمية، كتبه الدكتور محمد أبو طائلة – رئيس تحرير مجلة التعاون فى عدد فبراير سنة ١٩٣٩ وهو بعنوان الشاعر الهمشرى كما عرفته – ذكرى وبحث وتحليل، وإلى جانب هذا المقال الذى كتبه الدكتور محمد أبو طائلة بعد شهر ونصف الشهر على رحيل الهمشري، نلتقى مع أول مقال يكتبه صالح جودت عن صديقه الهمشرى وهو بعنوان النجم الآفل، وقد نشره فى العدد الخامس والعشرين من مجلة الثقافة – الصادر يوم ٢٠ يونيو سنة١٩٣٩ وهو مقال مؤثر ورقيق يتحدث فيه صالح جودت عن رفيق صباه، وما شهداه وعايشاه معا خلال مرحلة الطفولة والصبا.

وإلى جانب مقال صالح جودت، هناك مقال آخر بتوقيع ألف لام وهو بعنوان الشاعر محمد الهمشرى تحت المصباح، وقد كان تحت المصباح مقالا ثابتا أو شبه ثابت فى مجلة الأسبوع، ومن يراجع هذا المقال الثابت أو شبه الثابت عبر أعداد تلك المجلة خصوصا سنة ١٩٣٤ سيكتشف أن فيه كتابات عن إبراهيم ناجى وعلى محمود طه وصالح جودت وحسن كامل الصيرفى وسواهم، وبعد هذا المقال نقرأ هنا أو نعيد قراءة ما كان الناقد الكبير الدكتور محمد مندور قد كتبه عن الهمشرى فى الحلقة الثالثة من محاضرات فى الشعر المصرى بعد شوقى سنة ١٩٥٨ .

وإذا كنت لم أتحدث طويلا عن حياة الهمشرى فذلك لأنى لن أقدم جديدا، خصوصا لأن مقدمة صالح جودت التي تتصدر ما جمعه من قصائد الهمشرى تفى بهذا الغرض، فضلا عن أن لصالح جودت كتابا كاملا عن صديقه الهمشري، وقد صدرت طبعته الأولى سنة١٩٦٣ عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة – المجلس الأعلى للثقافة حاليا، والكتاب بعنوان م.ع. الهمشرى – حياته وشعره، لكننى أريد التوقف عند شعراء أبولو من زاوية محددة، هى نظرة كل منهم إلى المرأة، وهو موضوع كنت قد توقفت عنده فى المقدمة المطولة لكتابى إبراهيم ناجى – قصائد مجهولة، حيث تحدثت عن المرأة كما صورها كل من ناجى وعلى محمود طه ومحمود حسن إسماعيل وصالح جودت وأخيرا محمد عبد المعطى الهمشرى .

لماذا أريد التوقف عند شعراء أبولو من زاوية محددة، هى نظرة كل منهم إلى المرأة؟

قبل أن أجيب على هذا السؤال، أود أن أتوقف أولا عند فقرة معينة وردت فى كتاب صالح جودت عن الهمشري، وهذا نص تلك الفقرة - صفحة١٩ - (شاء القدر أن يكون بالمنصورة فى ذلك العهد، شاعران يكبراننا سنا، ولكنهما لم يكونا قد أخذا طريقهما إلى القمة بعد،هما على محمود طه المهندسّ، والدكتور إبراهيم ناجي، الطبيب، رحمهما الله. وتصادقنا نحن الأربعة، وعقدنا حلفا أدبيا لطيفا يضمنا فى ندوات يومية على شاطيء النيل، يقرأ كل من أطرافه على الآخرين ما نظم فى يومه، ويحدثهم عما قرأ فى ليلته، وهكذا أثر كل منا فى الآخر، وتأثربه، إلى حد أن أحدا منا لم يَدْرِ من التلميذ ومن الأستاذ، وإلى حد أن خطوط شعرنا قد تشابكت فى ذلك العهد، قبل أن تتضح ألواننا، ويشق كل منا طريقه وحده فيما تلا ذلك من سنين .)

أتوقف عند هذه الفقرة ، لكى أقوم بتوثيق ما يقوله صالح جودت فيما يتعلق بميلاد كل شاعر من الشعراء الأربعة ، فأكبرهم وهو الدكتور إبراهيم ناجى - وليس على محمود طه - قد ولد يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٨٩٨ ويأتى بعده على محمود طه الذى ولد يوم ٣ أغسطس سنة ١٩٠٢ أما الهمشرى فقد ولد خلال أحد أيام شهر يوليو سنة ١٩٠٨ بينما ولد صالح جودت يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٢ وهذا يعنى أن فارق العمر بين أكبرهم (ناجى) وأصغرهم (صالح جودت) هو أربع عشرة سنة ، وأعتقد أن هذا الفارق الكبير فى العمر بين أى إنسانين كفيل بأن يجعلنا نتشكك فى مقولة أن أحدا منا لم يَدْرِ من التلميذ ومن الأستاذ، وفى تصورى أن ما يقوله صالح جودت هو تبرير لما كان قد وقع قبل سنتين من صدور كتابه هذا من أخطاء جسيمة تتعلق بجمع وتحقيق ديوان ناجي، وكان هو واحدا من أعضاء اللجنة التى كلفت بمهمة الجمع والتحقيق، أما الأعضاء الآخرون فهم الدكتور أحمد هيكل وأحمد رامى ومحمد ناجى الشقيق الأكبر لناجي، حيث ضم هذا الديوان قصيدة مطولة لعلى محمود طه على أساس أنها لناجي، رغم أن تلك القصيدة منشورة وليست مخطوطة، وهى تحمل اسم صاحبها، فضلا عن القصائد العديدة التى نسبت لناجى بينما هى من شعر الدكتور كمال نشأت !

ومن هذا المنطلق يؤسفنى أن أقول إنه ليس صحيحا أن الشعراء الأربعة قد

تشابكت خطوط شعرهم فى مرحلة صداقتهم الجميلة فى مدينة المنصورة، وذلك لأن من يقرأ قصائد كل شاعر منهم حتى فى تلك المرحلة يمكنه أن يميز بينهم، وهذا لا ينطبق فحسب على هؤلاء الشعراء الأربعة - إبراهيم ناجى وعلى محمود طه ومحمد عبد المعطى الهمشرى وصالح جودت، وإنما ينطبق على كل شعراء أبولو الآخرين، بصرف النظر عن تفاوت مواهبهم الشعرية .

وربما لهذا السبب، أود التوقف - كما قلت - عند شعراء أبولو من زاوية محددة، هى زاوية نظرة كل منهم إلى المرأة، وهذا ما سأفعله الآن .

***

عاش الدكتور إبراهيم ناجى حياته كالفراشة الحائرة التى تنتقل من غصن إلى غصن، عساها أن تجد الزهرة المنشودة، وكلما توهم أنه قد وجد تلك الزهرة كانت الهوة العميقة ما بين المثال وبين الواقع تبرز له.. ولقد كانت تلك الهوة تفصل ما بين المثال الذى خلقته تصورات شاعر مثالى للمرأة التى ينشدها بكل ما يخلع عليها من صفات ملائكية تجعلها دوماً مرفرفة فى محرابها العلوى بعيداً عن البشر الفانين، وبين الواقع الذى تتمخض عنه الحياة بكل ما فيها من نقائص بشرية وبكل ما تجلبه معها من منغصات أرضية.

هذه الهوة العميقة ما بين المثال والواقع هى نفسها التى جعلت ناجى يحترق طيلة حياته.. وأغلب ظنى أنه كان يعى هذا ويدركه تماماً، ولكن أكان بمقدوره أن يشكل حياته تشكيلاً جديداً مغايراً لما تشكلت عليه تلك الحياة بالفعل؟ وهل كان باستطاعته أن يخرج عن القضبان التى حددتها له عوامل نفسية واجتماعية عديدة، تضافرت مجتمعة لكى تجعل الشاعر يسير عليها سواء أشاء هذا أم أبى.. رضى عنه أم كرهه.. فهذه العوامل هى التى يصطلح معظمنا على تسميتها بالقدر..؟!

حقاً إن ناجى كان - فى بعض الأحيان - يتمرد على تصوراته للمرأة التى ينشدها، ويحاول أن يقنع نفسه بأن تلك المرأة لا وجود لها فى الواقع لأنها من صنع خياله هو فحسب، لكن الحق أيضاً أن هذا التمرد لم يكن يزيد عن كونه فقاعة صغيرة ما تلبث أن تتلاشى وسط تقلبات العواصف ودوامات البحار.. لنستمع إليه وهو يصرخ صرخة تمرد حادة وعابرة فى نفس الوقت حيث يقول فى إحدى مقطوعات «الأطلال»:

هاك فانظر عدد الرمل قلوباً ونساء

فتخير ما تشاءْ... ذهب العمر هباءْ

ضل فى الأرض الذى ينشد أبناء السماء

أي روحانية تُعصَرُ من طينٍ وماء

وبالطبع..فإن هذه الفقاعة ما تلبث أن تتلاشى، وما يلبث الشاعر أن يعود إلى القضبان التي حاول أن يخرج عنها... ومن هنا فإننا نجده يتساءل عن معنى الحياة بدون الحب، ويظل هذا التساؤل يلح على وجدانه وفكره معاً كلما تمعن فى شتى مظاهر الحياة.. إنه يتساءل عن الدافع الذى دفع الله تعالى إلى أن يزين السماء وينسق الكون ويجعله بهياً حافلاً بشتى ألوان الجمال، كما يتساءل عن علة انبثاق الفجر من خلال الظلمة وكأنه الميلاد الجديد للكون النائم.. إنه يتساءل ويتساءل.. ثم لا يدع أحداً غيره يجيب فهو يرى أن كل هذا الجمال ليس إلا من أجل «روحين فى أفق حلقا»، فكل هذا الجمال ليس له من معنى فى نظر الطائر المغرد الروح الذى يضرب فى متاهة الأفق وحده بغير أليف، ولو أن هذا الطائر وجد أليفه لأدرك وقتئذ معنى الحياة وتمثل مفاتنها وسحرها وتمتع بجمالها وروعتها.. وإذا كان الشاعر يتساءل هنا عن معنى الحياة بدون الحب، ثم يجيب بنفسه عن تساؤله الذى صاغه فى إطار رؤية شاملة، فإنه – فى البيتين التاليين – يقرر بصورة لا لبس فيها أن حبيبته هى وحدها التى علمته معنى الحياة، وأنه بدونها لا يجد لها معنى.. فى هذين البيتين لا يتساءل الشاعر وإنما نجده يقرر.. وهو – فى هذه المرة – يقرر ما قرره من خلال منظور ذاتى بحت لا فى إطار رؤية شاملة.. وهذا بالطبع ما يغلب عليه:

أنت التى علمتنى معنى الحياة حبيبة ونجية وصديقَا

أنكرت معناها بغيرك واستوت وتشابهت سعة على وضيقَا

والواقع أن الحياة – فى نظر ناجى – كانت مسرحاً كبيراً يظل الممثلون يعتلون خشبته، ويلعبون أدوارهم التى حددها لهم المخرج مقدماً، وأسعد الممثلين هم أولئك الذين يعهد إليهم المخرج بتمثيل أدوار الحب، لأن هؤلاء – وحدهم – هم الذين يقدر لهم عندئذ أن يدركوا معنى المسرحية التى يمثلونها، والحق أن المتتبع لصورة الحياة – على هذا النحو – عند ناجي، يجد أن الشاعر قد أغرم بها منذ صباه الباكر،

ويلوح لى أن هذه الصورة قد ارتسمت فى مخيلته الشابة نتيجة إدمانه قراءة شكسبير الذى كان يدمن قراءته منذ كان شاباً، ثم ترجم له - فى أخريات أيامه - عدداً من «سونتاته».. ولقد تمثل ناجى هذه الصورة تمثلاً عميقاً، بعد أن استوعب دقائقها فى «ماكبث» شكسبير على وجه التحديد، وها هو يرسمها فى إحدى قصائده المبكرة التى نشرها عام ١٩٢٢ أى وهو فى الثانية والعشرين من عمره:

نزل الستار على الرواية وانقضت　　تلك الفصول وفُضَّ ذاك المسرحُ

وكان من ولع ناجى بهذه الصورة للحياة أنه كان يعود إلى رسمها فى قصائد عديدة له فى مختلف فترات حياته، ومن هذه القصائد قصيدة «رواية» التى تضمنها ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»، ففيها يفصل القول ويبرز الجزئيات، ويحدد الملامح والقسمات، وها هو يعلن ملتاعاً أن «المسرح» قد انفض ملعبه.. لماذا؟ لأن صحب الشاعر قد مضوا كما أن أحبته قد هجروه، تاركين إياه وجهاً لوجه أمام الزمان يسمعه ضحكه الساخر، ويريه كيف يقهقه القدر:

نزل الستار ففيم تنتظرُ　　خَلَتِ الحياةُ وأقفر العمرُ

لم يبق إلا مقفر تعس　　تعوى الذئاب به وتأتمرُ

هو مسرح وانفض ملعبه　　لم يبق لا عين ولا أثرُ

ورواية رويت وموجزها　　صحب مضوا وأحبة هجروا

عبروا بها صوراً فمذ عبروا　　ضحك الزمان وقهقه القدرُ

وإذا كانت الحياة باعتبارها مسرحاً، تكتسب معناها من وجود الحب فى مشاهدها، وتفقد كل معنى مشرق عندما ينتفى منها الحب، فإن الموت هو الصخرة الصماء المخيفة التى تسقط - من عل - على خشبة المسرح فتحطمها فى غير هوادة ولا لين. والشاعر - بطبيعة الحال - لا يخشى على خشبة المسرح فى حد ذاتها، وإنما هو يخشى عليها لأنها تمثل الإطار الذى يعيش الحب داخله، ومن هنا فإننا نجد أن ناجى - فى قصائد عديدة له - يؤكد أنه لا ضير من تحطيم المسرح إذا انتفى منه الحب، ولعل تساؤله الذى وجهه لنفسه فى مستهل قصيدته «رواية» أن يكون شاهداً على ذلك: «نزل الستار.. ففيم تنتظر؟!»..

لو عدنا إلى المرأة، فإننا نجد أنها تمثل الهدف الأسمى فى الأدب الرومانسى

بصورة أساسية، بل إن النظر إلى الحياة – كما يقول رجاء النقاش فى مقدمته المطولة لديوان مدينة بلا قلب لأحمد عبد المعطى حجازى – «إنما يكون من خلال أفراح الفنان وأحزانه فى تجربة المرأة، فروح الجمال تشيع فى الدنيا وفى الطبيعة إذا ما كان هناك أمل فى نجاح التجربة مع المرأة أو مجرد وهم فى هذا الأمل، وتحل محل هذه الروح الفرحة روح أخرى مشبعة بالحزن إذا ما تعرضت تجربة الحب لعائق من العوائق» ولذا فإنه يصبح من الضرورى فى مجال المقارنة بين شعراء جماعة أبولو أن نقارن بينهم من زاوية نظرة كل شاعر منهم إلى المرأة، وفى هذه الحالة سنكتشف أن أقربهم إلى روح إبراهيم ناجى هو محمد عبد المعطى الهمشري.

ومن خلال المقارنة يتضح لنا أن ناجى هو الوحيد الذى ظل يصور أحاسيسه هو ومشاعره هو تجاه المرأة، كما أنه الوحيد الذى ظل يبثها أشواقه المتلهفة الظمأى، ويعدها الملاذ الذى يلجأ إليه حينما تضيق به الحياة، بينما كان على محمود طه يصور المرأة فى حد ذاتها – لا أحاسيسه هو تجاهها – كما أنه كان يختار نماذج معينة من «المرأة» لكى يصورها، فهو تارة يهبط «فى مخدع مغنية» ذات ليلة وهى تقبله فى رضى وسماح، ثم يحدثنا عن عتابها له وعن إغرائها له وطلبها منه أن يغتنم الليلة التى جمعتهما إلى أن يلوح الصباح، ورغم هذا الإغراء وهذا الطلب فإنه يأبى إلا أن يصور لنا نفسه فى صورة طير الخيال الذى جاءها – فقط – لكى يصدح فى روضها بلغته.. لغة الشاعر.. أو لكى ينام فى سريرها بلغتنا نحن الأرضية!! وهو تارة يركب الجندول مع إحدى الحسناوات فى أوروبا، وعندما تعبث النشوة بكيانه فإنه يهتف مترنماً «ليلنا خمر وأشواق تغنى حولنا»! وهو تارة ثالثة يصور راكبة الدراجة – فى أوروبا أيضاً – وهى تلك الراكبة الحلوة التى انطلقت بدراجتها فما كان من الهواء العابث إلا أن كشف خميلة تفاحها.. بلغة الشاعر.. أعنى أن الهواء رفع ثيابها فكشف عن ردفيها.. بلغتنا.. نحن الأرضية!! يقول على محمود طه فى ديوان زهر وخمر – ص ٤٠:

يا لهواء عابث مراحِ	سكران لا من خمرة الأقداحِ
بل من صباك والصبا كالراح	يرفع طرف الثوب فى مزاح
لا يستحى من لائم ولاحي	قد آذن الفخذين بافتضاح
ونم عن خميلة التفاح	فوق كثيب الورد والأقاح
أخشى على حسنها الوضاح	عين اشتهاء ويد اجتراح

والواقع أن الشاعر قد نسى أن يبين لنا أى عين مشتهية وأى يد مجترحة يُخشى منهما على خميلة التفاح؟! أهى عينه هو التى اشتهت، وهل يده هى التى اجترحت؟ أم أنه يخشى من عين رجل آخر ويد رجل آخر؟! الواقع أن الشاعر قد نسى أن يبين لنا هذا، لكنه - فى نفس الوقت - لم ينس أن يبين لنا أنه يود أن يصون خميلة التفاح الخاصة براكبة الدراجة حتى عن الصباح؟ وكيف يصون الشاعر تلك الخميلة.. إنه يود أن يصونها بالروح وهذا جائز ومقبول، ولكن كيف يود أن يصونها بالراح.. أى بالخمر..؟ الحق أن هذا ما لم أستطع فهمه! أو هذا ما لم يوضحه لنا الشاعر:

وددتُ لو بالروح أو بالراحِ صنتها حتى عن الصباحِ

تصوير المرأة إذن عند على محمود طه إن دل على شيء، فإنما يدل على أنه لم يكن يحترق، وإنما يدل على أنه كان يلهو.. وهو لم يكن يلهو بشيء واحد.. وإنما كان يلهو بشيئين.. يلهو فى حياته المتخففة من الأعباء بهذه النماذج التى يتحدث عنها من النساء مما يجعله يتعلق بالقشور والمظاهر ويبتعد عن الأعماق والجواهر، كما أنه كان يلهو فى فنه بالألفاظ الموسقة التى ليست لها أعماق، ولا تحمل فى طياتها أية معاناة حقيقية.

فإذا تركنا هذا الشاعر إلى شاعر آخر من شعراء جماعة أبولو هو محمود حسن إسماعيل فإننا نجده يغلف قصائد الحب عنده بغلالة قاتمة من الصور والتعبيرات الرمزية والتراكيب الملتوية التى تحجب عن قارئه هذا الحب، وتجعله متشحاً بالغموض، وهذا ما جعل تصويره للمرأة يبدو مبهماً فى ديوانه الأول «أغانى الكوخ» مع أن قصائد عديدة من قصائد هذا الديوان تتحدث عن تجربة حب مخفقة، حيث كان الشاعر يهجر كوخه الصغير لكى يقف أمام سور القصر الذى تعيش فى أرجائه معبودته، كما يبدو من خلال قصيدة «وقفة حيال القصر» التى صَدَّرها الشاعر بقوله: «هى ساعة مريرة تطاير فيها رشد الشاعر من لوعة الحرمان حيال معبد غرامه»، والواقع أن هذه القصيدة ومثيلاتها تشى بالحياة الاجتماعية التى عاشها الشاعر من جهة، كما أنها تتعارض مع القصائد التى تصدرت الديوان والتى يحدثنا فيها عن رغبته فى الثورة على الإقطاع بكل ما كان يكيله للفلاحين المعدمين من عذابات وويلات، ومن حقنا أن نتساءل: كيف يتسنى للشاعر أن يهاجم القصر - رمز الإقطاع - وهو ذليل له.. لا ذلاً مادياً، فهذا يهون، وإنما وهو ذليل له ذلاً معنوياً؟ وكيف يستطيع أن يتحدث عن قضايا الفلاحين وهو متعلق بفستان ابنة الأكرمين؟! هذا اضطراب فى

رؤية الشاعر وعجز منه عن أن يوجد بين القضايا التى تبدو متباعدة؟ أم أنه ليس من حقى أصلاً أن أتساءل هذا التساؤل لأننى – بهذا – أخلط بين قصائد الحب والقصائد الاجتماعية؟! على أى حال فإننا نجد محمود حسن إسماعيل فى إحدى قصائد هذا الديوان يوجه رسالة إلى فستان معبودته الأحمر يبلغه فيها أنه لو كان ناراً فإنه – أى الشاعر – يود أن يخلد فى سعيرها ولو كان ورداً، فيالهفة روحه لعبيره، ثم يود الشاعر أن يصبح ذرة صغيرة تنبض فى أثير الفستان.. كل هذا لكى يتسنى له أنى قبل الحسن ثم يفنى بين عطوره:

إن تكن ناراً فما أشهى خلودى فى سعيرك

أو تكن ورداً فيالهفة روحى لعبيرك

ليت يا فستان لما لحتَ تزهو فى حريرك

كنت ذراً نابض الإحساس يجرى فى أثيرك

يلثم الحسن ويهوى فانياً بين عطورك

فإذا تركنا محمود حسن إسماعيل إلى صالح جودت، فإننا نجده – فى قصائد عديدة له – يصور أحاسيس المرأة ذاتها، أو يعبر عن الجانب اللاهى من قضاياها، أو يتغزل بها وهو مدرك أنه يتغزل فى مخلوق من طين وماء.. لا فى مخلوق سماوى شفاف، وهو لهذا يجعل من غزله سلماً يرقى درجاته إلى الجسد الأنثوي، حيث يستمتع بمفاتنه وينعم بخيراته، ومن هنا تعددت نوعيات النساء اللائى تحدث عنهن فى قصائده، ونجده أحياناً يحاول أن يفلسف غوايته للمرأة مذكراً إياها بقصة الخطيئة الأولى على الأرض.. يقول صالح جودت فى ديوان ليالى الهرم – ص ١٢٩:

لا تلومينى لأفكارى الجريئة	أول القصة فى الأرض الخطيئة
لا أبونا آدم عف ولا	أمنا كانت من الذنب بريئة
عَصَرَا فى دمنا تفاحةً	ما لنا فيها نغذيه مشيئة
هى فى كل ذهاب نغم	ولها ترنيمة فى كل جيئة

وعلى أى حال، فإن القارئ لصالح جودت يحس أن الشاعر – فى بعض الأحيان – ينظم القصيدة.. لا لكى يتقرب بها إلى آلهة الجمال والفن، بقدر ما ينظمها

لكى يتقرب بها إلى المرأة التى يريد أن يغريها، وهذا ما جعل الدكتور محمد مندور- فى الحلقة الثانية من كتابه محاضرات فى الشعر المصرى بعد شوقى - يقول عنه بشكل واضح «إنه شاعر عابث لعوب يشف عن روح الصالونات المصرية».

أما الشاعر محمد عبد المعطى الهمشرى فإنى قد قصدت أن يكون هو آخر هؤلاء الشعراء، مقدماً عليه من اختلفوا اختلافاً كبيراً عن ناجى فى تصويرهم للمرأة ومفهومهم للحب، وذلك لكى تكون المقارنة أكثر وضوحاً، فالحق أن الهمشرى أقرب إلى ناجى من أى شاعر آخر من شعراء جيله، ويلوح لى أنه قد تأثر به بحكم مزاج كل منهما المتآلف من مزاج الآخر فضلاً عن مخالطة الهمشرى - وهو بعد صبى - لناجى الذى كانت الأوساط الأدبية قد بدأت تعرف اسمه، هذا إلى جانب أن تصور الهمشرى للحب انبثق من تصور ناجى له، وكان للهمشرى حبيبة احترق بنار حبها احتراقاً ما بعده احتراق، أبرزه فى معظم قصائده التى كتبها خلال حياته القصيرة التى لم تتجاوز ثلاثين سنة كما نعرف، ومن هذه القصائد مطولته التى اشتهر بها وهى «شاطئ الأعراف» وقصيدة «إلى نوسا» أعنى «نوسا البحر» وهى قرية قريبة من المنصورة، كانت حبيبته تسكن فى بيت من بيوتها، والهمشرى - فى هذه القصيدة - يتمثل صورة الناقوس الذى يحمله الشاعر بين جوانحه لكى تسمعه الحبيبة فتعرف أنه يعبدها، فالحق أن ناجى قد رسم هذه الصورة فى إحدى قصائده المبكرة التى أعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الهمشرى قد اطلع عليها وأحبها وكبرت فى مخيلته صورة قلب ناجى فى قصيدته «الختام»:

لهفى على الناقوس بين جوانحي	وعلى بقية هيكل لا تصلح
لا فرق بين أنينه ورنينه	وصداه فى وادى المنية أوضح

تمثل الهمشرى هذه الصورة التى رسمها ناجي، لكنه ضخمها عندما رسمها فى قصيدته هو، فناجى جعل الناقوس يدق بين جوانحه فحسب بينما جعل الهمشرى الناقوس يدق فى قرية حبيبته كلها وهذا ما يقوله فى مجلة أبولو، العدد السابع، مارس ١٩٣٣، ص٨٥٣:

إن تسمعى قرع ناقوس بقريتكم	فى مطلع الفجر ينعى الليل والغلسا
فإنه قلبى المنكود يذكركم	فهل سمعتِ بقلب قد غدا جرسا
الروح إن ظمئت يوماً فحاجتها	خمر سماوية فاحت بها قدسا

وأنت يا «توحُ» روحانية خُلِقَتْ   لكى تُرِينَا عُلَا الجنات منعكسا

وأتوقف هنا عند قصيدة للهمشرى جمعتها من مجلة «الأسبوع» فى عددها الصادر بتاريخ ٢٥ أبريل ١٩٣٤، وقد كان الشاعر – وقتها – فى السادسة والعشرين من عمره.

يناجى الهمشرى حبيبته التى فتح عينيه فى الفجر على طيفها السامي، وهو هنا يحاول – على نقيض ناجى – أن يخلع عواطفه على الطبيعة وأن يجعل شتى مظاهر الجمال بها تنطق باسمه، وكأنه كان يريد أن يتوحد فيها توحد الصوفى بالذات العليا، بينما كان ناجى يتحدث عن حبه دون أن يمزج روحه بالطبيعة وكأنه كان يأبى أن يكون هناك وسيط بينه وبينها ولو كان هذا الوسيط هو الطبيعة، يقول الهمشرى فى قصيدته «نداء الفجر» التى أقدم الآن نصها الكامل المجهول نقلا عن مجلة الأسبوع – فى الصفحة التاسعة عشرة من العدد الصادر يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٣٤:

النسيم العطرى نَدَّى جبيني   والضياء الليلى حَفَّ جفوني!
وطيوف الأحلام تخفق حولي   فى همود الكرى، ورف السكون
فتح الفجر فى الظلام مقاصيـ   ـر خيال للشاعر المفتون!
غَلَّفَ السحر أفقها فتراءت   كبقايا من عالم مسكون
فتعالى إليَّ.. ها أنذا وحـ   ـدى أناجيك فى حفيف الغصون!!
أنت فجر يشع فى ظلماتي   يكشف السحر فى مروج حياتي
فتغنى فيها ملائكة الرحـ   ـمة أنشودة الخلود الآتي!
أنت سحر يبدو وراء خيالي   أنت نور يرف فى مشكاتي
وعيون فجرية تتجلى   لتنير الكئيب من ليلاتي!
فتعالى إليَّ.. ها أنذا وحـ   ـدى أناجيك فى ذهول صلاتي!!
طفت فى المعبد المقدس فى الفجـ   ـر، أناديك فى ضجيج الجموع!
فى يدى الشمعدان يخفق فى الصمـ   ـت، ويخبو على ظلال الركوع!

وعلى مذبح الغرام تقربـت بروحي في ذلة وخشوع
غير أني رأيت هذا قليلاً فتقربت بعدها بدموعي!
فتعالى إليَّ.. ها أنذا وحـدي أناجيك في رفيف الشموع!!

وهنا أترك الهمشري وحده – كما يود هو – لكي يتقرب بروحه على مذبح الغرام، ثم يتقرب بعد هذا بدموعه.. أترك مبدع هذه الأعمال الشعرية الكاملة وحده دون أن أحاول تنبيهه إلى أن الروح أغلى من الدموع، ولذا فإنه كان من الواجب عليه أن يتقرب بدموعه أولاً فإذا رأى هذا قليلاً.. فعليه بعد ذلك أن يتقرب بروحه في خاتمة المطاف !

على ضوء هذا فإني أعتقد – كما قلت – أن كل شاعر من شعراء جماعة أبولو كانت له نظرته المتميزة إلى المرأة وإلى مختلف مجالات الحياة، وهذا ما حاول صالح جودت أن ينفيه عنهم وعنه باعتباره واحدا منهم .

***

بعيدا عن المرأة، وعن الحب الذى ينعش قلب الشاعر ويجعل الحياة في نظره واحة مخضوضرة، فإن الهمشري كان كأنما يستشف أن حياته لن تكون حياة طويلة، لأنه أحس – بحدس الشاعر المرهف – أن الموت يطارده في كل حركة ومن كل اتجاه، ويبدو لى أنه كان يستعذب تلك المطاردة، وكأنه هو الذى يطارد الموت ويسعى متلهفا إليه، وأستطيع القول إن الهمشري يكاد يكون هو الوحيد من بين شعراء أبولو فيما يتعلق بولعه الحزين لا بالحب، وإنما بالموت، ولا يشاركه في هذا الولع الحزين، وبنفس الإصرار، إلا رفيقه الذى رحل قبله في تونس، وهو أبو القاسم الشابى .

كان عمر الهمشري سنة ١٩٣٠ اثنتين وعشرين سنة، وفي تلك السن التى يفترض أن تكون متفتحة للحياة، وساعية وراء ملذاتها وزخارفها، تزلزلت أعماقه، حين تابع باهتمام شديد ما فعله بنفسه شاعر موهوب آخر، كان قد ولد قبله بخمس سنوات، هو الشاعر أحمد العاصي، الذى أقدم على الانتحار، نتيجة يأسه من الشفاء مما قد ألم به، وقد ترك أحمد العاصى قبل انتحاره ورقة صغيرة، كتب فيها بخط يده : جبان من يكره الموت، جبان من لا يرحب بذلك الملاك الطاهر، إنني أستعذب الموت، وهو لى كالعطر .

كتب الهمشري قصيدة رثاء، وجهها لأحمد العاصي، وكذلك فعل صديقه صالح جودت،الذى أبدى دهشته حين اكتشف أن قصيدته تكاد تتشابه فى إيقاعها وفى روحها مع قصيدة الهمشري، لكن صالح جودت تصالح مع الحياة، أما الهمشرى فقد كان – كما قلت – كأنما يطارد الموت، ويسعى متلهفا للقياه ! لكن ما لم يشر إليه صالح جودت أن قصيدته وقصيدة الهمشرى تنهلان من منبع واحد، يتمثل فى رائعة المتنبى العظيم، والتى يبدو فيها عدميا تماما، وفيها يقول :

لا بـــد للإنـــسان مـــن ضـــجعة

لا تقلـــب المـــضجع عـــن جنبـــه

نحـــن بنـــو المـــوتى فـــما بالنـــا

نعـــاف مـــا لا بـــد مـــن شربـــه

يمـــوت راعـــى الـــضأن فى جهلـــه

ميتـــة جـــالينوس فى طبـــه

وربـــــما زاد عـــــلى عمـــــره

وزاد فى الأمـــــن عـــــلى سربـــــه

أقدم أحمد العاصى على الانتحار، وهو فى السابعة والعشرين من عمره، وظل الهمشرى يسعى للقاء الموت إلى أن التقى معه وهو فى الثلاثين من عمره، ويكفى أن نراجع عناوين قصائد عديدة من شعره، أوعناوين قصائد أخرى لشعراء إنجليز، قام بنقلها شعرا إلى لغتنا العربية، لكى نتأكد تماما مما أقول، وها هى عناوين بعض تلك القصائد : الأنشودة الأخيرة – مرثية كتبت فى فناء كنيسة قرية – الشاعر المنتحر – المرثية الحزينة، وأظن أنه من المهم أن نقرأ قصيدة من قصائد أحمد العاصي، وهى بعنوان الساعة الأخيرة، وفيها يقول الشاعر قبل انتحاره :

ســـاعة يؤنـــسنى فيهـــا الملـــك

هامـــسا هيـــا لمـــن قـــد أرســـلك

قـــائلا لا تخـــش ســـوءا يـــا فتـــى

هـــا هـــو المركـــب قـــد هيـــأت لـــك

سر حثيثـــــا لا تمـــــانع إنـــــما

في غـد تثنـى عـلى مـن أوصـلك
واسـع بـالروح إلى المـولى ولا
تـذكر الـدنيا فليـست منزلـك

هذا هو جوهر ما كان أحمد العاصي يسعى إليه، بل ينشده ويتمناه، وهو نفس الجوهر الذى لخصه وكثفه فى الورقة الصغيرة التى كتبها – بخط يده – قبل إقدامه على الانتحار.. جبان من يكره الموت، جبان من لا يرحب بذلك الملاك الطاهر، إننى أستعذب الموت، وهو لى كالعطر . ويبدو لى أن هذا الجوهر هو الذى تغلغل فى أعماق الهمشري، على الرغم من أن صديقه صالح جودت يؤكد أن مظهر الهمشرى كان مظهر شاب مقبل على الحياة، وليس متلهفا للقاء الموت.

***

يبقى أن أقول إنى معتز كل الاعتزاز بأن مكتبتى تضم مجلدات مجلة أبولو كاملةً، كما أننى استطعت جمع أعداد مجلة التعاون بمساعدة صادقة من صديقى القديم والمتجدد الكاتب الناقد فتحى عبد الحافظ، فضلا عما أقتنيه من مجلدات العديد من الدوريات التى كان الهمشرى وشعراء جيله ينشرون قصائدهم على صفحاتها، وهذا ما يدفعنى – متحمسا – للقيام بواجبى الروحى تجاه هؤلاء الشعراء الرائعين الذين أحببتهم وتذوقت ما أبدعوه على امتداد سنوات تلو سنوات، على الرغم مما يرتكبه الذين يسطون على جهدى وعلى جهود سواى من الآخرين الجادين !

وتبقى التحية لروح مبدع هذه الأعمال الشعرية الكاملة – الشاعر محمد عبد المعطى الهمشري، الذى كان يستشف – بحدس الشاعر – أنه لن يعمر فى الحياة طويلا، وهذا ما يتجلى – كما ذكرت – فى العديد من قصائده، ومع هذا كله فإن حياته القصيرة لم تستطع أن تطمس موهبته الكبيرة .

الخميس ١٢ أبريل ٢٠١٢

حسن توفيق
الزيتون – القاهرة

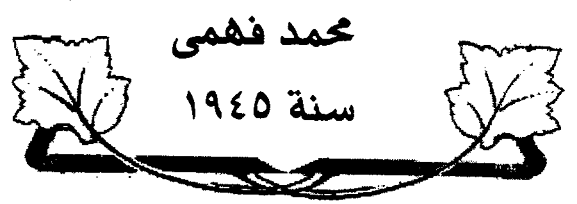
magnoonalarab@yahoo.com



الأعمال الشعرية الكاملة

لمحمد عبد المعطى الهمشري

(١)
قصائد الهمشرى التى جمعها







م . ع . الهمشري

يوليو ١٩٠٨ - ديسمبر ١٩٣٨

بقلم: محمد فهمي



إذا ذُكرَ الهمشرى فقد ذكر شاعر الطبيعة المصرية والروح المصرية فى سحرهما العميق، وجلالهما الرائع. ففى كل قصيدة لهذا الشاعر نشعر بإحساس يشابه ذلك الذى نحسه حين نتنقل بين هياكل مصر القديمة الخالدة حيث يمتزج السحر بالجمال والجلال.

وكأن الطبيعة فى شعره تحيا وتتنفس مجسمة بكل خصائصها المميزة بألوانها وأعطارها، بهجيرها وزمهريرها، بسكونها العميق وصمتها الممتد فلا تحس حين تقرأ شعره أن شاعراً يصف الطبيعة بل الطبيعة نفسها تنطق على لسان شاعر.

والهمشرى يتميز شعره بالألوان رغم تعدد آفاق المعانى التى تفجرها تعابيره المبتكرة، فالعطر قمري، والنغم وضيء، واللحن مفضض، والسكون مشمس... وهكذا من المعانى التى تبدو لأول وهلة لغرابتها وبعدها عن المألوف فى الأدب العربى ولكن الجو الذى يخلقه الشاعر يجعل هذه المعانى منسجمة تمام الانسجام حتى لتختفى منها وحشة الغرابة وتتحول إلى استثارة الإعجاب، وخطورة هذا الضرب من المعانى تكون فى تقديمه دون تهيئة جوه الملائم فى القصيدة، ذلك الجو الذى تخلقه حالة انفعال الشاعر واهتزازاته النفسية فى شبه سيال كهربائى يلمس روح القارئ فيشيع لديه جواً مماثلاً يجعله مستعداً لقبول هذه المعاني.

والموسيقى فى شعر الهمشرى أمواج متدفقة من أغوار روحه تتراقص أصداؤها متسابقة إلى أعماق النفس فهى أحياناً تهزها من نشوة الطرب، وأحياناً تجنح بها إلى سكون لذيذ ، وآناً تفعل فيها فعل المخدر ولا ينسى أثرها قط. وما أشعاره إلا موسيقى ملونة أو صور موسيقية... وإذا قرأت شعر الهمشرى دون استجابة لأنغامه الموسيقية مكتفياً بتذوق معانيه فاتك من روعته الشيء الكثير.

نشأ الهمشرى ببلدة السنبلاوين بجوار المنصورة عاصمة الدقهلية، أى فى أحفل بقاع مصر بالجمال الصامت (الطبيعة) والجمال الحى (الجمال البشري) وفى هذه البيئة الحافلة بكل شيء جميل، قضى طفولته وصدر شبابه، وطفولة الشاعر أهم ينبوع

لمعانى شعره، فجاءت أشعاره صدى لإيقاع الجمال على قيثار روح نبيل... تطالعنا فيها أفتن صور الريف المصرى والطبيعة المصرية وكأننا ننظر إليهما فى مرآة، وقصائده: «العودة» و«أغنية النخيل» و«اليمامة»... صور خالدة للريف المصري.

وأواخر دراسته الثانوية بالمنصورة وأوائل عهده (الذى لم يطل) بكلية الآداب بالجيزة أخذت شاعريته فى تلك السن المبكرة تكمل ونبوغه يشرق راسماً فى آفاق الشعر صوراً ومشاهد تدهش الرائين، وكانت ملحمة شاطئ الأعراف أثراً باذخاً لشاعريته فى تلك السن المبكرة، وقد نشرت حينئذ بجريدة السياسة الأسبوعية مصدرة بمقدمة لرئيس تحريرها ندر أن كتبت لشاعر، كلها ثناء وإعجاب بالشاعر النابه، وهكذا شاء القدر الذى قضى أن تقطف حياة الهمشرى فى ريعان الشباب أن يكون نبوغه مبكراً حتى تتم روعة قصيدة حياته فى كلا المطلع والمقطع، وهل كانت حياة الهمشرى إلا قصيدة رائعة وصفها رفيق صباه الشاعر صالح جودة فى رثائه الموجع الخلاب؟

إن ملحمة شاطئ الأعراف التى كانت وما زالت حدثاً شعرياً بعيد الأثر ستظل شاهداً ناطقاً على عمق هذا الشاعر وثرائه الطائل فى عالم المعانى فوق قدرته على التعبير الرصين، وأنها لجديرة أن يفرغ لها أكثر من واحد من النقاد والمفكرين، وسيفرغون لها بلا شك فى يوم من الأيام لجلاء ما فيها من عجائب الخيال وروائع التصورات.

أما قصائده: «النارنجة الذابلة»، و«جتا الفاتنة»، فهما من أبدع هدايا الشعر الحديث، وسيظل ما فى الأولى من عذوبة وما فى الثانية من شاعرية مبدعة معيناً لا ينضب لكل جيل.

والخيال عند الهمشرى طليق جرئ يقتحم أبعد الآفاق ويتخطى أعلا الذرى، وإذا سيطر على موضوع القصيدة رأيت منه ما يدهش ويشوق وإن كان غالباً ما يميل إلى الظلام والكآبة والحزن، حتى لا تكاد تخلو قصيدة أطلق فيها لخياله العنان من ذكر الموت وكأنما قد ألهم خاتمته الوشيكة!

وقد كان رحمه الله يتمثل فيه كبرياء الفنان فما مدح قط، وما كان لمثله أن يمدح أميراً أو وزيراً، وهل الفنان الحق إلا أمير متوج على أعظم مملكة فى الوجود ألا وهى مملكة الفكر؟!

وإثر عملية جراحية قضى الشاعر نحبه، ولما يجاوز الثلاثين، مخلفاً وراءه شفقاً شعرياً لا يغيب حافلاً بالصور والألوان والأنغام...

النارنجة الذابلة

كانت لنا عند السياج شجيرة ... ألف الغناء بظلها الزرزورُ
طفق الربيع يزورها متخفياً ... فيفيض منها في الحديقة نور
حتى إذا حل الصباح تنفست ... فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى إلى أرض الحديقة كلها ... نبأ الربيع وركبه المسحور

***

كانت لنا .. يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور

***

قد كنت أجلس صوبها في شرفتي ... أو كنت أجلس تحتها في ظلتي
أو كنت أرقب في الضحى زرزورها ... متهللاً يغشى نوافذ غرفتي
طوراً ينقِّر في الزجاج وتارةً ... يسمو يزرزر في وكار سقيفتي
فإذا رآني طار في أغرودة ... بيضاء واستوفى غصون شجيرتي
كانت لنا.. يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور...

***

فمتى يؤوب هتافه ومتى أرى ... نوارك الثلجي يا نارنجتي؟
ومتى أطير إليك.. ترقص مهجتي ... فرحاً وآخذ مجلسي من شرفتي...

***

هيهات لن أنسى بظلك مجلسي ... وأنا أراعي الأُفْقَ نصف مغمضِ
خنقت جفوني ذكريات حلوة ... من عطرك القمري والنغم الوضي
فانساب منك على كليل مشاعري ... ينبوعُ لحنٍ في الخيال مفضضِ
وهفت عليك الروح من وادي[1] الأسى ... لتعب من خمر الأريج الأبيضِ...

---

(١) المراد به الجسم.

كانـت لنـا يـا ليتهـا دامـت لنـا ... أو دام يهتـف فوقهـا الـزرزور

***

هيهات.. لن أنسى ضحى «سبتمبر» ... والنحـل يغـشى نـورك المـتلالِ
ومـساء مـارس كيـف يهـبط تلـة ... شـفقية ممـدودة الأظـلال
نـزل الحديقـة تحت أرهـام النـدى ... وضـفى عليـك معطـر الأذيـالِ
فهنـاك كـم ذهبيـة شـغفتْ بهـا ... روحـى فتاهـت فى مـروج خيـال...

***

وهنـا تحركـت الـشجيرة فى أسـى ... وبكـى الربيـعَ خيالهـا المهجـور
وتـذكرت عهـد الـصبى فتأوهـت ... وكأنهـا بيـد الأسـى طنبـور
وتـذكرت أيـام يرشـف نورهـا ... ريـق الـضحى ويـزرزر الـزوزور
وعـرائس النـارنج تحلـم فى النـدى ... فـيرف فيهـا طيفـه المـسحوز
كانـت لنـا.. يـا ليتهـا دامـت لنـا ... أو دام ينثـر لحنـه الـزرزور...

وتـذكرت عنـد الـسياج أزاهـرا ... صـفراء رفـت فى ظـلال العوسـج
زهر القطيفـة. كيـف خـان عهودهـا ... نَـسِىَ الهـوى مـن عطرهـا المتـبلِّجِ
وتـذكرت فى رعـشة لمـا سـبا ... زرزورهـا منهـا ولم يتحـرجِ
وهنـا تمـشت فى الـشجيرة خلجـة ... وبكـت حنينـاً للـشذى المتـأرجِ...
كانـت لنـا.. يـا ليتهـا دامـت لنـا ... أو دام يهتـف فوقهـا الـزرزور...

***

وتـذكرتْ شـفقاً تـوهج حمـرة ... خلـل الغيـوم عـلى ربـا الآصـال
وبـدت غـصون الجـازورين كأنهـا ... قلـع ترفـرف فى بحـار خيـال..

***

وهنـا تحركـت الـشجيرة فى أسـى ... وبكـى الربيـع خيالهـا المهجـور
وتـذكرت عهـد الـصبا فتنهـدت ... وكأنهـا بيـد الأسـى طنبـور...

***

وتـذكرت شـجر النخيـل وهدهـداً ... قـد كـان يقـصدها صـباح مـساء

وتـــذكرت فى اليوســـفى يمامـــة كانـــت تنـــوح الليلـــة القمـــراء

***

وهنـا تحركـت الـشجيرة فى أسـى ويبكـى الربيـع خيالهـا المهجـور
وتـذكرت عهـد الـصبا فترنحـت وكأنهـا بيـد الأسـى طنبـور

***

وضفت على كل الغصون سحابة وزكـا الغـصين وفـتَّح النـوار
وتهلـل الـزرزور فى أوراقهـا وزهـا الـسياج وفاحـت الأعطـار

***

حلمـت بـأرض فى الخيـال سحيقة فى ذلـك الأفـق القـصى النـائي
وهنـاك تحـت سمانجون[1] سمائها تاقـت إلى أحلامهـا الزرقـاء
خلـدت إلى صـمت هنـاك مخـيم تـسجو عليـه خوافـق الأفيـاء
هـى جنة الأشجار والأظلال والـ أعطـار والأنغـام والأنـداء

***

يتزاهـر البـشنين فـوق شطوطها ويغـازل الـدفلىُّ زهـر اللـوتس
وعـرائس النـارنج فـاح عبيرهـا بالنحـل تحلـم فى الـسكون المشمس
وهنـاك زرزور يغـرد دائمـاً ويقـص أحـلام الزهـور الـنعس
يـروى لهـا أسـطورة سـحرية ممـا يفـوح بـه خيـال النـرجس
كانـت لنـا.. يـا ليتهـا دامـت لنـا أو دام يهتـف فوقهـا الـزرزور

***

نـارنجتي. تـالله مـذ فـارقتني وأنـا حليـفُ كآبـةٍ خرسـاء
أصبحت بعدك فى انقباض موحش وكـأننى منـه مـساء شـتاء
تستـشرف الأعطـار فى آفاقهـا روحـى إليـك وراء كـل فـضاء
وتـرف فى دهليـز كـل أشـعة قمـراء أو ترنيمـة بيـضاء...

***

---

(١) لون زرقة السماء والكلمة فارسية.

قـد كنـت أرجـو أن تكـون نهـايتي — فى ظـل هـذا الـسور حيـث أراك
ويكـون آخـر مـا يخـدر مـسمعي — زرزورك الهتـاف فـوق ذراك
ويطـوف فى غيبـوبتى فيفيقـي — فجـر قـصير البعـث مـن ريـاك
والآن إذ عجـل القـضاء فـإنما — سيقوم فى الـذكرى خيـال شـذاك...

***

كانـت لنـا عنـد الـسياج شـجيرة — ألـف الغنـاء بظلهـا الـزرزور
طفـق الربيـع يزورهـا متخفيـاً — فيفـيض منهـا فى الحديقـة نـور
حتـى إذا حـل الـصباح تنفـست — فيهـا الزهـور وزقـزق العـصفور
وسرى إلى أرض الحديقـة كلهـا — نبـأ الربيـع وركبـه المـسحور...

***

كانـت لنـا.. يـا ليتهـا دامـت لنـا — أو دام يهتـف فوقهـا الـزرزور





إلى ... جتا الفاتنة

فى مدينة الأحلام

مهداة إليها مع أزهار سحرية
من حدائق الخيال وبساتين الشفق



لا تلحى على أن أتركك وأرجع
عنك، لأنى حيثما ذهبت أذهب
وحيثما بت أبيت، شعبك شعبي
وإلهك إلهي، حيثما مت أموت وهناك
أدفن – هكذا يفعل الرب بي، وهكذا
يريد – إنما الموت يفصل بينى وبينك
«إصحاح راعوث – التوراة»

ها هو الليل قد أتى فتعالي ... نتهادى على ضفاف الرمالِ
فنسيم المساء يسرق عطراً ... من رياض سحيقة فى الخيالِ

***

صوَّر المغرب الذكى رباها ... فهى تحكى «مدينة الأحلام»
نفحت فى الخيال منها زهور ... غير منظورة.. من الأوهام

***

ووراء السياج زهرة فُلٍّ ... غازلتها أشعة فى المساء
نشر النسمُ سرها وهو يسري ... فى مروج مطلولة الأفياء

***

ودهاليز من ظلال ونور ... صورت سحرها يد الأطياف
عشش البلبل الخيالى فيها ... ساكباً لحنه الحنون الصافي

***

إن هذى الأزهار تحلم فى الليـ ... ـل، وعطر النارنج خلف السياج

وخريــر الميــاه، والــشفق الــسحــ ــر، وهمــساً مــن النــسيم الــسَّاجي
والنـدى، والظـلال تـنعس فى المـا ء، وهـــذا الـــشعاع خلــف الغــمام
بعـــض ألحانـــه تـــأنق فيهـــا فـــتراءت فى هـــذه الأجـــسام

***

قبـل هـذى الحيـاة كنـت أصـلي يـــا حيـــاتى لحـــسنك المعبـــود
فيـــك أفنيـــت أدمعـــى فى غنـــائي فيــك عفــرت جبهتــى فى ســجودي

***

وعـــلى مـــذبح الغـــرام تقربـــ ـــت بروحـــى فى ذلـــة وخـــشوع
غـــير أنـــى رأيـــت هـــذا قلـــيلاً فتقربـــــتُ بعـــــدها بـــــدموعي

***

كنـــتِ فى معبـــد الخيـــال ترفـــ ـيـــن إلهـــا.. وكنـــت مـــن عبـــدانك
كـــم بعثـــتُ الأشـــعار فيـــه مزاميـــ ـر.. تجيـــب الحـــزين مـــن ألحانـــك

***

كنـتِ فجـراً، وكنـتُ فيـه ضـباباً شـــاع فى أفقـــه الـــوضيء فتاهـــا
وهبطـــتُ الحيـــاة شـــعلة تقديـــ ـس، وجئـــتِ الحيـــاة أنـــت إلهـــاً

***

أنـــت لحـــن.. مقـــدس.. علـــوي قـــد تهـــادى مـــن عـــالم نـــوراني
ســمعتْ وقعــه الــسماوى روحــي فأفاقـــــت فى معبـــــد الأحـــــزان

***

أنـــت حلـــم. منـــورٌ.. ذهبـــيٌّ طـــاف فى أُفْـــقِ عـــالم مـــسحور
وتجـــلىَّ عـــلى غياهـــب روحـــي بجنـــاحٍ مـــن الـــضياء البـــشير

***

أنـــت عطـــر مجـــنح شـــفقي فـــاوحَ الـــروحَ فى همـــود الـــذهول
قـــد سرى فى الخيـــال طيـــب شـــذاه مـــن زهـــور فى شـــاطئ مجهـــول

***

أنت ظل مقدس.. أنت كهف طائفي.. فى ربوة الأحلام
غمر الروح فى سكينتها السحر فتاهت عن عالم الآلام

***

أنت كوخ معشوشب.. فى رباه مقمر الصمت.. سرمدى الخيال
نعست روحى الكليلة نشوى فيه ترعى فجرى هذا الجمال

***

أنت صمت مخيم.. ففضاء فظلام مكوكب.. فنهار
فهمود تدب فيه حياة ويغنى فى فجرها النوبهار

***

أنت كل الحياة.. أنت كياني أنت روحى أبصرتُها فى سباتي
أنت وحيى مجسداً.. أنت لحني يا سماءً على سماء حياتي

***

أنت أغويتنى بأن ألقاك خلف سور الخيال.. فوق رباك
غير أنى بحثت عنك طويلاً وأخيراً نعست تحت ذراك

***

أيقظينى من الذهول.. وغني يا ملاكى على طلول حياتي
وارشدينى إلى الضياء.. وإلا فاتركينى أهوى إلى ظلماتي

***

وعلى عالمى الشتائى فيضي نور دفء يفنى ظلامى الحالك
وارفعينى كمعبد قدسي تتهادى به طيوف جمالك

***

إننى فى الظلام أنصب وحدي خيمة للغناء.. من آلامي
فاسمعينى فإننى سأغني لك «جتا» فى وحدتى وظلامي!..

***



حدائق الشفق

صورة رمزية لمسارح القمر و الفجر



بين الدجى واحمرار شَعَّه الشفقُ — النور يرقص فى عينى ويأتلقُ
لا هدأة تسعد الحيران لا سِنَةُ — تقر عينى بها قد شفها الأرق
فلا أرى غير أحلام مكوكبة — وغير رسم سماء بات يحترق

***

هذا النهار خلال السحب يظهر لي — لقد لمحتُ على الوادى بشائره
تلوح شاحبةً فى الشرق حالمة — توشِّع السحب الدنا ضفائره
وأنت.. نافورة الحسن التى خفيت — أيان ألقاك.. أو ألقى مصادره؟

***

ذهلتُ فى حلم غافٍ وخيل لي — أنى عبرت طريقاً كلها ظلم
لم يغشها من بنى الإنسان مقتحم — قبلى وما وطئتْ أرضاً بها قدم
تحف دغلاً تثير النفس وحشته — الصمت يحكمه والليل والأجم!

***

وكانت السحب الغيباء سارية — على المحيط خفاف الركب فى سرب
قد أبدعت صبغ وشى من مطارفها — فى حمرةٍ عجبٍ، فى فتنة ذهب
وترقص الأنجم الزهراء رقصتها — فى مطلق من أثير الجو ملتهب!

***

أحسست بالقلب ناراً طاف طائفها — لما رأيت غمير البحر قد سطعا
وقفت منذهلاً، أرعاه منفعلاً — كأن نورَ إلهٍ فوقه طلعا
أحنيت رأسى إجلالاً وتكرمة — له وظلت من التقديس مختشعاً

***

وبينما أنا أرعى الأفق حيرانا — والنهر يبدو خيالاً فيه نعسانا
إذ الضباب يغشى الكون أجمعه — ويحجب النهر أمواجاً وشطآنا

فلم أر الجَزْرَ يسرى فى مساربه … مفضضاً [illegible] مرجان قاني

***

كان الظلام فويق النهر ينحدر … والصمت يصحبه والخوف والحذر

هناك أبصرت أسراباً مزوفة … من الضباب تولى سوقها الذعر

كأنها وهى تجرى فى مواكبها … يخيفها غائر فى الأرض معتكر

***

أما الذى وشع الأمواه بالنور … فزورقٌ ناصع الألوانِ بللوري

بيناه فى ثائر الأمواج مضطرب … يختال ما بين تصعيد وتغوير

بدا الدليل له فى الليل منبهراً … فى لؤلؤى من الأنوار مسحور

***

لم يشهد الكون فى آزاله أبداً … هذا الجلال الذى يسرى على الماء

قد ظل نجم الدجى سهمان يقذفه … بأسهمٍ تتهاوى منه وضّاء

صيغتْ من الليلك الغافى أشعتها … فأصبحتْ بين بيضاء وزرقاء..



تأملات
أو
حياة شاعر



غـداً يـا خيـالى تنتهـى ضـحكاتنا ... وآلامنـا تفنـى وتفنـى المـشاعر
وتـسلمنا أيـدى الحيـاة إلى الـبلى ... ويحكـم فينـا المـوت والمـوت جـائر

***

جلستُ على الصخر الوحيد وحيداً ... وأرسـلت طـرفى فى الفـضاء شريـدا
وكفكفتُ دمعاً.. لا يكفكف غربه ... وواسـيت قلبـاً فى الـضلوع عميـدا
أرى صفحة الآمال قد ضاق أُفْقُها ... ولاح عـلى اليـأس البعيـد مديـدا
لقـد عـشتُ فى دنيـا الخيـال معـذباً ... فيا ليتَ شعرى هل أموت سعيدا؟!

***

كـأن حيـاتى غنـوةٌ بدويـةٌ ... شـدتها الليـالى للقـرون بـلا معنـى
كـأنى أنـا فيهـا شـجى نغماتهـا ... أقامـت لها ذكـرى تحـف بهـا الأذنـا!
لـئن فـاتنى عهـد الـشباب ولهـوه ... فـإنى بعمـرى لـست آبـه أو أعنَـي
فرب هـواءٍ طـاف فى اللحـن وامحى ... يخلـد عـن ريـح معمـرة قرنـا

***

لقـد كنـتُ فى الـدنيا جمـالاً يزينهـا ... بـما شـاده شـعرى عـلى هـذه الـدنيا
خلقت لروحى سـحرها..لا لغيرها ... ومن أجلها أقضي، ومن أجلهـا أحيـا

***

إذا ذبـلَ النـارنج عـاش عبـيره ... وكـان لـه فى الـوهم مـن نفحـه محيـا
ويخلـد بعـد البـدر فى الفكـر رونـقٌ ... يغذى خيـال الـشعر والحـب والوحيـا

***



أغنية النخيل



قـد طـاب لى مقـيلي
فى ظلـك الظليـل
يـا جنـة الظـلال
ويـا جنـى الـدوالي

فى سـهلك الجميـل
يـا شـجر النخيـل
يـا مـسبح الخيـال
يـا شـجر النخيـل

***

قامتـك الهيفـاء
والخـير والرخـاء
عروسـة الـصحراء
ويـا هـدى التيهـاء

ثـمارك الحمـراء
يـا شـجر النخيـل
يـا كعبـة الرجـاء
يـا شـجر النخيـل

***

قـد طـاب لى مقـامي
فى ركنـك الحـرام
مطيتـى استـريحي
فى ظلهـا الفـسيح

ورفرفـت أحلامـي
يـا شـجر النخيـل
فى جنبهـا المـريح
فى جنـة النخيـل...

***




العودة
(عودة الشاعر إلى قريته)

رجعت إليك اليوم من بعد غربتي — وفى النفس آلآمُ تفيض ثوائرُ
رجعت وعقلى تائه الفكر شارد — وأُبتُ وقلبى واهن الخفق خائر
فيا أرض أحلامى أألقى طفولتي — ويسعدنى يوم من العمر آخر
تعسفت فيك الليل والريح صرصر — وخضت إليك الموج والنهر ثائر
أتيت لألقى فى ظلالك راحة — فيهدأ قلبى وهو لهفان حائر
أموت قرير العين فيك منعماً — يخدرنى نفح من المرج عاطر
ويلحفنى هذا البنفسج ولتكن — مسارح عينى الربى والمخاضر
وآخر ما أصغى إليه من الصدى — خريرك يفنى وهو فى الموت سائر
ولكن بلا جدوى أتيت فلم أجد — سوى قفرةٍ أشباحُهَا تتكاثر
وقد نسجتْ أيدى الشتاء سياجها — عليها وأنوار الظلام تحاصر

***

لقد رنقت(١) عين النهار وأسدلت — ضفائرها فوق المروج الدياجر
وقد خرج الخفاش يهمس فى الدجى — ودبت على الشط الهوام النوافر
وطارت من الجميز تصرخ بومة — على صوت هِرٍّ فى الدجى يتشاجر
وفى فترات ينبح الكلب عابساً — فيعوى له ذئب من الحقل خادر

***

مشيت وحيداً مطرق الرأس باكياً — وقد شردتْ فى الحزن منى خواطر
حزيناً تهادى بى الظلام، كأنني — إلى الأفق المجهول فى الليل سائر
لقد أشعلت كل المآذن نورها — ولاحت على الأفق البعيد المقابر
وقد عقدت نار العروش سحائباً — عليها.. وفاحت بالدخان المجامر

---

(١) الترنيق اختلاج العين عند النوم.

ومن تلعة تبدو البروج وفوقها حمام على الصمت المخيم ذاكر
ينادى أليفاً ضل فى الدغل مسلكا ولم يبصر الأبراج والسرب عابر
وقد جمش البرد الشفيف جناحه فمدتْ لنتف الريش منه مناقر
يراعى نهاراً.. ليس يقبل ليله من الفخت(1) فيه تستكن الهوادر
وقد خيمت فوق العرائش وحشة وصمتٌ على أوراقها الصفر ناشر
شعور انقباض، فى الظلام ووحشة وصمت، وحزن، شدَّ ما أنا ناظر
فمن أين قلبى يستمد خفوقه؟ ومن أيها لى تستمد المصادر؟

***

وفى مهبط الوادى تقوم عرائش من الكرم، والناطور فى الليل ساهر
وقد أشعل النيران فيها ليصطلي فرف لهيب فى العرائش واهر
يزمر فى الأرغول والليل سامع ويصغى إلى الأوهام والليل زامر!!

***

أوى السهل فى صمت كئيب ووحشة تخيم فوق الليل والكون غامر
فمن أين قلبى يستمد خفوقه ومن أيها لى تُستمد المصادر

***

بدا الصبح فوق المرج أصفر ناحلاً فلاحظه زهر الربى وهو خائر
وما نفحتْ فوق الرباوة زهرة ولا رفَّ فى هذى الخمائل طائر
وقد نتف الشحرور فى الروض ريشه وحُلَّتْ من الصفصاف فيه ضفائر

***

لقد خف نسم الصبح يهمس ناعياً إلى السهل.. أن قد فارق الكونَ شاعر
لذا نقس النحل الزهور فجلجلت ونابت عن الأجراس هذى الأزاهر

***

(1) شعاع القمر أول ما يبدو.



من شعر الريف

اليمامة...

صور رمزية للطبيعة وقت الظهيرة فى الصيف

رددى فى الكـون ذكـرى الهـديلِ وَتغنِّـى يـا شـهر زاد النخيـلِ
أى ذكـرى تـشجيك، أى خيـال راح يـضنيك مـن فـراق خليـل
كثـرتِ حولـك الأقاويـل حتـى أصـبح الـروض بـين قـالٍ وقيـل
لـست أدعـوك غـير روح مَـرُوعٍ لاذ بالنخـل خيفـةً مـن رحيـل

***

خـيم الـصمت فى الظهـيرة إلا مـن غطـيط يَغْـشَى ذرى الأزهـار
إنـه النحـل باعـث مـن غنـاء وهـو يجنـى الزكـاة للنوبهـار
وغفـا الهدهـد المـصلى وآوى جنـدب الـروض فى ذرا الأجحـار
غـير ترديـدة الهـديل تـدوي مثـل حـزن عـلى الظهـيرة سـاري

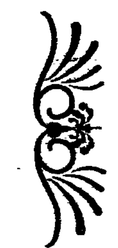
***

ضـمخ الـصمت من شـذا الحلفـاء والأريـج الشمـسى مـلء الجـواء
وزهـور اليقطـين تـسكب فيـضاً مـن لهيـب ومـن غطـيط غنـاء
كمقاصـيرِ جنـةٍ نزلتهـا فئـة تـستريح غِـبَّ عنـاء
عـبرت مـوطن الهـديل وجـاءت بالـذكى الـساجى مـن الأنبـاء

***



أمسية شتائية
فى ضاحية



المساءُ المغيم الذهبيّ والغناء المعطر الشفقيّ
وخيال الأشجار يحلم فيها الأريج المجنح الليليّ
والخرير البنفسجي يغني في سراه بها الغدير الخفيّ
صُورٌ قد زانها فى خيالي وسبانى جمالها القدسيّ!

***

المساء المغيم الذهبيّ والغناء المعطر الشفقيّ
فارسٌ لاهث يسير إلى الغرب يغشّيه بيرقٌ لهبيّ



إلى القمر...



مهداة إلى ليالى الحصاد القمرية الجميلة وإلى أكداس السنابل الجافة التى تحمل إلى النفس أعطاراً كأنها أحلام من المجهول...

لياليكَ من ليل الفراديس أبهجُ ... ونورك أزهى فى العيون وأبلجُ
كأنك عين الله ترعى عبادها ... وتبصر ما تحوى القلوب فتخلج
كأنك عين ثرة فاض فيضها ... بها زئبق أو فضة تترجرج

***

كأن الدجى بحر مُسفٌّ جناحه ... كأنك فيه درة تتوهج
كأنك فى روض السموات زهرة ... كأن سناك عطرها المتأرج
كأنك فى خد السموات دمعة ... هَمَتْ من عيون باكيات، تدحرج
كأنك طاووس مدلٌّ، كأنما ... نجوم الدجى وُرْقٌ حواليك تهزج
كأنك مزمار من العرش صافر ... كأن صداه نورك المتبلج..!

***

عَمَرْتَ طويلاً فى الدياجير ساهراً ... كسيفاً بأكفان الظلام مدرج
فيا بدرُ صبراً والليالى قصيرة ... وسوف تقر النائبات فتثلج...

***



المغرد...



مهداة إلى ذلك الطائر الخطار الأنيق، ذى البرنس الأصفر، والقلنسوة الرمادية الذى أصغيت إليه هنيهة المساء وهو يرتل تسابيح الجمال فى محراب الطبيعة..

يا راحةً فى ظلمة اليأسِ ... فيها صفاءُ القلبِ والنفس
أرقصت قلبى من مرقرقة ... خمر... تصفق فى مدى الحسِّ
هل أنة، أم رنة صدحتْ؟ ... أمْرٌ به الأفهام فى لبس!
هذى الأغانى زفرة صعدت ... وآستْ فجلت عن دوا النُّطْس
إنى لمفضوح بعبرته ... يرثى لمفضوح من الجرس
ليس الذى تشفيه أدمعه ... مثل الذى يشدو من الحبس!

***

بالله خبرنى أمن ورس ... ريشت؟ أم من صبغة الشمس
صفر الغلائل... تزدهى طرباً ... حتى لقد ثملت بلا رس [1]
والدوح والأغصان مائسة ... والماء والأظلال فى مسِّ
نظارة لمغرد ندب ... ينفى الهموم، وطارق النحس
يسمو ويهوى فى السما غَردًا ... كشرارة طارت من القبس
أو سهم رامٍ راحَ عن قوس ... أو حلم صبٍّ فى هوى الأمس
متهللاً.. متبسماً.. طلقاً ... يطأ النجوم ورائق الغرس

---

(١) الرس هو دبيب الخمر.

يـصل الـسماء يمـس جلـدتها ويحـط بالغـدران فى غطـس
فرحـاً يـدرُّ عليـه صـفوته فـرح الغـرام ونـشوة الأنـس
مثـواه فى الأجـواء مرتفـع بينـا هـواه بيننـا يـرسي!

***

ترنيمـة الإصـباح رائقـة فى الجـو صـافية مـن الـرجس
تـسرى إلى الغيطـان مترعـة منهـا الريـاض بغـيرِ مَـا حـدس
فـوق الينـابيع التـى غمـرتْ سـاحَ الحقـول بـدائم الـبجس
وسلاسـل الأنـوار دافقـة غطـت ذرى الأشـجار بـالغمس
ورمـت قـلاع المـدن صـائبة والـشمس تعلـو الأرض فى خلـس
يـسمو إليهـا صـوته صـعداً ويـصافح الأرواح بـاللمس

***

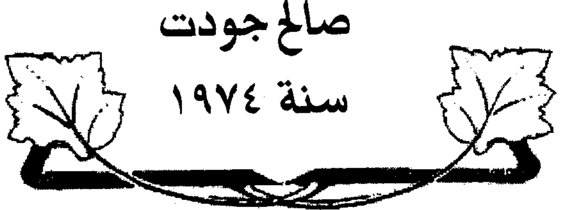
فى حمـرة الـشفق التـى شرقـت فيهـا الزهـور ويـانع الـورس
والنبـت والأشـجار لامعـة مـن حمـرة الأضـواء فى لِـبس
فيهـا تنـام ممتعـاً ثمـلاً مـن رحمـة الـرحمن فى حـرس...

(٢)

قصائد الهمشرى التى جمعها

صالح جودت

سنة ١٩٧٤





مقدمة

بقلم : صالح جودت

لولا أن العرف الأدبى قد جرى على أن تكون لكل كتاب مقدمة، لآثرت أن أضع هذه الكلمة فى نهاية هذا الديوان، لا فى أوله، لأفاجىء القارئ بأعجب حقيقة فى حياة هذا الشاعر م.ع. الهمشرى، الذى أفنى سنى عمره القصير متغنياً بجمال الريف كما لم يتغنّ به شاعر آخر، مكرساً حياته للدعوة إلى إقامة الحضارة الريفية جاعلا من قلم الشاعر ريشة رسام مبدع، كل همه عرض لوحات رائعة من مفاتن الريف المصرى.

تلك الحقيقة العجيبة، أن هذا الشاعر المصرى الفلاح، لم يكن ليكون مصرياً ولا فلاحاً، لو جرت الأمور مجراها الطبيعى، واستقر جده لأبيه، أحمد الهمشرى، فى وطنه الصغير النائي، الراقد على الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط: ألبانيا.

ولكن ظروفاً لا نلمُّ بها، تحمل ذلك الجدَّ، أحمد الهمشرى على الهجرة إلى مصر، ليطيب عيشه فيها، وليرزق فيمن رزق من ولد، بعثمان الهمشري، أبى الشاعر.

تعلم عثمان الهمشرى الهندسة، وأقام (وابور طحين) على مقربة من الأرض التى تركها له أبوه فى السنبلاوين، وتزوج سيدة تركية لم يرزق منها بغير ابنة واحدة، اسمها (عفت).

ولأمر ما، لعله حب الولد، تزوج عثمان الهمشرى مرة أخرى، وكانت الزوجة فى هذه المرة مصرية، من المنصورة، هى السيدة عائشة محمد وهبه، شقيقة الكاتب الكبير الأستاذ محمد التابعي. ورزق منها خمسة أولاد وبنتاً، هم على التوالي: محمد، ويوسف، وزينب، وأحمد، وسعد، ومحمود.

وكان ميلاد شاعرنا محمد يوليه سنة ١٩٠٨ على شاطئ رأس البر، إذ كانت الأسرة تصطاف هناك، وهكذا شاء القدر أن يرى النور لأول مرة على تلك الرمال الناعمة، وتحت تلك السماء الحالة، بين شاطئ النيل والبحر الأبيض المتوسط.

كان عثمان الهمشرى رجلا كثير المواهب، ومن مواهبه أنه كان يجيد العزف على القانون، وكان يعشق الموسيقى والطرب، ويكثر من دعوة أهل الغناء إلى بيته،

وهكذا نشأ شاعرنا وأذناه مفعمتان بالنغم.

وكان يحلو لعثمان الهمشرى أن يسمى أولاده بأسماء ثلاثية، فسمى أول أولاده من الزوجة المصرية (محمد عبد المطعى الهمشري) وسمى الثانى (يوسف لطفى الهمشري).. وهكذا.

ولست أدري لماذا اختار لشاعرنا (عبد العاطي).. ولعله أراد بذلك أن يشكر الله على أن ((أعطاه)) ولداً.

ولكن هذه التسمية لم ترق للشاعر لما أن شب عن الطوق. فكره أن يكون اسمه عبد المعطى قائلا: (إن من اسمه هكذا لا يكون شاعراً).

وهذا هو ما حمله على نبذ هذه التسمية، والتوقيع بتسمية شاعرية هى (م.ع.الهمشري) متأثراً فى ذلك بشاعره الأثير فى الأدب الإنجليزى (ب. ب. شلى).

ظهرت مخايل الشاعرية على الهمشرى منذ طفولته، ولكن هذه الشاعرية لم تتفتح إلا فى مدرسة المنصورة الثانوية، التى جمعتنى به ونحن بين الصبا واليفاعة.

وكان بالمنصورة يومئذ شاعران يكبراننا سناً وهما: على محمود طه المهندس، والدكتور إبراهيم ناجى الطيب، وكانا فى أول الشباب يحاولان شق طريقهما إلى القمة.

وتصادقنا نحن الأربعة، وعقدنا حلفاً أدبياً لطيفاً يضمنا فى ندوات يومية على شاطئ النيل بالمنصورة.

والمنصورة أرض طيبة، تنبت الشعر والجمال، وتلهب القلب الخيال، ويشهر رجالها الظرف والذكاء والإغراق فى حب الأدب والفن، كما تشهر نساؤها بالجمال والخفة والشاعرية.

يضاف إلى هذا أن للمدينة رائحة التاريخ منذ عهد الأيوبيين وانتصاراتهم الخالدة فى الحروب الصليبية، ولا تزال بها حتى اليوم (دار ابن لقمان) التى نزل بها ملك فرنسا أسيراً، ولا تزال بها كذلك حديقة كبيرة تحمل اسم الملكة الأيوبية (شجرة الدر).

كان من الطبيعى أن تثمر صحبتنا نحن الشعراء الأربعة فورة كبيرة لا تخلو من غيرة فى بعض الأحيان، وأن ينجم عن هذه الغيرة سباق إلى القراءة فى الأدب العربي، وفى الآداب الغربية، وبخاصة الأدب الإنجليزي.

وهكذا أقبلنا فى سن مبكرة على التعرف على أعلام الشعر فى الأدب الإنجليزي. ومن ينابيعهم استقى الهمشرى ثقافته الأولي، متأثراً – أكثر ما تأثر – بشلى وكيتس وبيرون – الثلاثة ماتوا فى رونق الشباب – تأثر بهم حتى فى الموت، فمات فى الثلاثين.

بدأ الهمشرى شاعراً عاطفيا رومانسياً مغرقاً. ولكن حدثاً عاطفياً اعترض طريقه، ذلك أنه أحب، ومنّى بالفشل فى حبه، وهو الحب الوحيد الذى عاش فى قلبه إلى أن مات.

وحمله هذا اليأس على تصور الموت، فنظم ملحمته الكبرى (شاطئ الأعراف) التى ودع بها حبيبته، ثم شاء القدر أن يرحمه وينفس عنه، فوجه شعره وجهة أخري، وانقطع شعره العاطفى انقطاعاً تاماً، وبدأ الهمشرى كتاباً جديداً فى حياته، هو كتاب الشاعر المصرى الفلاح الذى وهب كل شاعريته للتغنى بجمال الريف.

نال الهمشرى شهادة الدراسة الثانوية فى سنة ١٩٣١، وترك المنصورة ونزح إلى القاهرة حيث التحق بكلية الآداب، فقضى فيها سنتين، ولم يقدر له أن يواصل دراسته بها، لأنه كان فناناً بوهيمياً، يكره النظام والرتابة فى كل شئ، ولا يحب أن يقيد نفسه بمنهج خاص.

ومنذ أول عهده بالقاهرة، اتصل بجماعة (أبوللو) التى قامت فى سنة ١٩٣٢، ورأسها المغفور له أمير الشعراء، وتولى أمانتها العامة المغفور له الدكتور أحمد زكى أبو شادي.

وأصبح الهمشرى من شعراء الطليعة فى هذه الجماعة وقد كان لمجلتها أكبر الفضل فى حفظ تراثه على صفحاتها.

وفى سنة ١٩٣٥، التحق الهمشرى بوظيفة فى قسم التعاون بوزارة الزراعة، كمحرر بمجلة التعاون.

وطابت حياته فى حقل التعاون، فقد كان مدير التعاون يومئذ هو الفيلسوف التعاونى الدكتور إبراهيم رشاد. وكان رئيس تحرير المجلة، هو الأديب القصاص الدكتور محمد أبو طايلة، وكان زميل الهمشرى فى تحرير المجلة، الشاعر والزجال والراوية الظريف الأستاذ محمد مصطفى حمام.

وهكذا أصبحت غرفة الهمشرى وأصحابه فى مجلة التعاون ندوة أدبية محببة.

وقد آمن الهمشرى بالحركة التعاونية وعرف مكانه منها منذ فجر عهده بها.

واتفق فى ذلك العهد، أن مات الشاعر التعاونى الإيرلندى الكبير جون راسل.

وقرأ الهمشرى حياة جون راسل، فكانت نقطة التحول الكبرى فى حياته.

ذلك أن جون راسل عاصر معركة بلاده ضد الاستعمار البريطاني، وأسهم فيها بشعره ونثره، ثم رأى أن الحركة التعاونية هى السبيل الأمثل لإنقاذ بلاده من الجوع والفقرة، فأصدر مجلة (الدوار الأيرلندي) التعاونية، التى تحولت على يدى راسل من مجلة ريفية يقرؤها الفلاحون الأيرلنديون، إلى مجلة عالمية تغمر أسواق الفكر الأوربي، وتعبر المحيط إلى أمريكا، حاملة دعوة راسل الكبرى إلى إقامة الحضارة الريفية.

ترك الهمشرى جميع تأثراته السابقة بشلى وكيتس وبيرون ووردذورث وروبرت بروك، وأقبل على جون راسل، يلتهم شعره ونثره ومبادئه، وأراد لنفسه أن يكون جون راسل المصري، الذى يكرس حياته لإسعاد الريف، ومده بأسباب الحضارة، ودعوة الأعيان إلى العودة إلى القرية للمساهمة فى تهذيبها وصقلها ومحاربة الرأسمالية والإقطاع والاستغلال، والمطالبة بأن يكون للفلاح مكانة فى الحياة النيابية، إلى آخر هذه الصرخات العالية التى أطلقها على صفحات مجلة التعاون، التى تحولت على يديه إلى مجلة تقدمية تحارب الحزبية فى عهد الحزبية، وتحارب الإقطاع فى عهد الإقطاع، وتمس الملكية فى عنفوان طاغوت الملكية.

لم يمهل القدر شاعرنا ليتم رسالته فى سبيل إقامة الحضارة الريفية.

لم يرحم القدر هذا الشاب القوى المؤمن، المخلص، وفى غمضة عين، فى أربعة أيام/ انطفأت شعلة حياة الهمشري، على أثر جراحة أجريت له لاستئصال الزائدة الدودية، فأصيبت أمعاؤه بالشلل فى أثناء العملية، ولقى وجه ربه فى اليوم الرابع عشر من ديسمبر سنة ١٩٣٨.

مات الهمشري، وقد كان أكثر الشعراء حباً للحياة، وفَرَقاً من الموت.

وقد يضللك من أمره أنه كان يكثر من ذكر الموت فى شعره، ويتوقعه فى كثير

من قصائده.

أما فى واقع حياته، فقد كان حريصاً على الحياة- كبير الآمال فيها، إلى حد أنه لم يكن يحب ركوب البحر حتى لا يغرق، وكان إذا سار فى الشارع، أثر أن يسير فى وسطه لا إفريزيه، خشية أن تسقط أحدى العمائر فتدفنه تحت أنقاضها.

وكان يفيض قوة وشباباً وحيوية، فهو عملاق، عريض المنكبين، تكاد حمرة الشباب تقفز من خديه، لا يشكو شيئاً فى جسده، ويحب أن يتأنق فى ملبسه، ويتخير رباطات عنق ذات ألوان زاهية كألوان مناديل صدره، ويزين عروة سترته دائماً بوردة كبيرة حمراء، ويمشى فى الأرض مرحاً، ويملأ الجو حوله بضحكاته العالية، ويشق طريقه فى ثقة وكبرياء واعتداد.

كل هذا، أحسب أننى كنت أميناً فى وصفه وأنا أرثيه قائلا:

أين هذا الشباب والأمل الضاحك بين الخطوب والأرزاء؟
وأحاديثك المليئة بالأحلام فى عالم قليل الرجاء؟
كنت ألقاك والحياة تجافينى وإعصارها يهد بنائي.
فإذا ما سمعت ضحكتك العذبة أحببت بعدها أعدائي.
وتمشى السلام فى جو نفسي، وتطهرت من طويل عنائي.
وقرأت الحياة فيك كتاباً شاعرى الآمال والآلاء.
وشباباً هو الربيع الموشى برقيق الظلال والأضواء.
حين تبدو وعروة الصدر فى ثوبك تزهى بالوردة الحمراء.
واحمرار الحياة يشعل خديك ونور الشباب فى لألاء
تطأ اليأس باعتداد الأماني، وتذل الزمان بالكبرياء.
وتغنى وتهب العيش نهباً، شأن من ألهم اقتراب الفناء..

***

ومن حسن حظ الأدب أن وفقنا الله إلى جمع شعر الهمشرى ونشره فى هذا الديوان، بعد أن أوشك هذا الشعر أن يضيع، بل لقد ضاع بالفعل أكثر من مرة.

ذلك أنه بعد وفاة الهمشري، همَّ الدكتور إبراهيم رشاد بجمعه وطبعه، وجمع منه قدراً ليس باليسير، ولكن لصاً سطا على البيت، فسرق هذا الشعر فيما سرق، ولعله أسف على هذا الجزء من الغنيمة، الذى لا يروى غلته.

ومرة أخرى همَّ الأستاذ التابعى بجمع ترات الهمشري، ولكن شواغل الحياة شغلته فلم ينجز المهمة.

ومرة ثالثة جمع الأستاذ محمد فهمى كثيراً من شعر الهمشري، ولكنه أخذه معه وسافر إلى الحجاز، ولم يعد.

وفى المرة الرابعة، حرصت على ألا يثنينى عن إنجاز المهمة شئ، فعكفت على جمع قصائد الهمشرى المتناثرة من مختلف مصادرها، كما حرصت على ذكر مصدر كّل قصيدة، أمانة للتاريخ.

وأستطيع أن أجزم بأن هذا هو كل شعر الهمشري، أوجله على الأقل، وأن ما ضاع من شعره – إن كان قد ضاع شئ – لا يزيد على أبيات معدودة مما نظم فى أول شبابه.

وهناك مسألة هامة أحب أن أوجه إليها عناية القارئ والناقد، تلك هى أننى رتبت قصائد الديوان ترتيباً زمنياً.

والزمن الذى اعتمدت عليه هو زمن نشر القصيدة، لا زمن نظمها الذى يصعب الجزم به، فقد ينظم الشاعر قصيدة ثم لا ينشرها قبل سنوات، أو قد ينظمها ثم يرسلها إلى صحيفة، فلا تنشر، وقد يعيد نشرها بعد ذلك بسنوات.

ومثال ذلك ملحمة (شاطئ الأعراف) التى نشر الهمشرى مقاطع منها فى السياسة الأسبوعية، خلال أربع سنوات، ثم نشرها كاملة فى ابوللو سنة ١٩٣٣.

ومهما يكن من أمر، فإننى إذا كنت قد التزمت بهذه القاعدة فى ترتيب هذا الديوان، فإننى قد حرصت فى كتابى (الهمشري: حياته وشعره) الذى نشره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، على محاولة تحديد زمن نظم أكثر قصائد الهمشري، على قدر علمى بها وبه.

وأخيراً، أحب أن أقول: إن تفضل وزارة الثقافة بإصدار هذا الديوان، ليس إلا عرفاناً لفضل هذا الشاعر الثائر، الذى جند قلمه، شعراً ونثراً، للدعوة التعاونية، ورسالة الحضارة الريفية، وأشهره فى وجه الملكية والأحزاب والإقطاع والرأسمالية قبل الثورة بأكثر من خمس عشرة سنة.

صالح جودت



تحية المساء[1]



لا تقـــل لى يـــا حبيبـــى ... أســــعد اللهُ مـــســاءك !
أى ســـعدٍ لى ســـيبقى ... يـــا منـــى الـــنفس وراءك

(١) المصدر: من مرتجلاته التى كان يتلوها علينا فى مدرسة المنصورة الثانوية سنة ١٩٣٠.



عاصفة في سكون الليل(١)



أشرقي كالصبح غراء الجبينْ
وانشري نورك يهدي العالمين
واطلعُي في ليل حزني كوكباً
تعصميني من ضلال العاشقين
واطرحي في قَفْر عمري زهرةً
علها تنمو وتزكو بعد حين
وابسمي تبسم لنا بيضُ المنى
واضحكي تضحكْ لنا غُرُّ السنين
ها هو الليلُ كما كان باءا
يحملُ الحزنَ لقلبي والحنين
هيكلُ الأحزانِ(٢) في مذَبحهِ
قرب العشاق قربان العيون(٣)
رتّل الشماسُ(٤) فيه لحنَه
وصدى ترتيله هذى الشجون
عطرهُ(٥) أحزان أزهار الربا
ونداهُ عبرات البائسين

(١) المصدر: مجلة أبوللو، العدد الخامس من المجلد الأول يناير سنة ١٩٣٣ - ص ٥٥٤ وقد عدل الشاعر بعد ذلك بعض ألفاظها واختصر بعض أبياتها، وأعدها للنشر بمجلة التعاون في أخريات حياته، فظهرت بها في عدد فبراير سنة ١٩٣٩ وقد أثرنا إثبات القصيدة على صورتيها لتكون الصورتان موضع نظر القارئ في تطور ذوق الشاعر بين عامي ١٩٣٣ و١٩٣٨ وسيجد القارئ الصورة الأخرى من القصيدة.

(٢) هيكل الأحزان: الليل

(٣) قربان العيون: الدموع والنوم.

(٤) المراد بالشماس: هنا الموت.

(٥) أي أن العطر يلفه الليل هو أحزان الأزهار.

وسرىّ النـــسيم فى أحـــشائِهِ
مـــنُهَجٌ ذابـــت وأرواحٌ فَنِـــين
كـــلُ شيء هـــان فى شَرع الهـــوى
يــا ملاكــي، والهــوى لــيس يهــون
لم يــر الليــلُ ســوى بنــتِ هــوىً
قــرأتْ مــا ســتعانى فى الجبــين
لبــستْ فى بدئــه ثــوبَ الهــوى
وبــأخراه ثيــاب النــادمين
وعميــد بــاتَ مطــوىَّ الحــشا
فى ســكون الليِـلِ مبحــوح الأنــين
قــام فيــه مثــل طيــف غــابر
وكــأن الليــلَ محــراب القــرون
ومغــنّ غلــب الحــزنُ عــلى
وتــر اللهــو لديــه والمجــون
لــيس يــدرى فكــره مــا لحنــهُ
وهــو رجــعُ الــسحر فى مــاضٍ شــطون
وأليــف ســامَرَ الليــلَ عــلى
ذِكْــر عَهْــدٍ مــن عهــود الغــائبين
كلهــم خَــفَّ . ولم تبــقَ ســوى
ذكريــات أرعــشت أفْــقَ الجفــون
أيهــا الليــلُ أتينــا نــشتكى
فاستمعْ شــكوى الحزانــى المُتعبيـنَ
هــدَّنا الحــزنُ وأَضــنَانا الأســى
وبرانــا الوجــدُ فى دنيــا الــشجون
قــد شــكوناكَ وجئنــا نــشتكي
لــك شــيئا فى خيــال الــذاهلين
إننــى يــا ليــلُ أحكــى غنــوةً[1]

(١) الصحيح فى اللغة أغنية، لا غنوة.

فَنيتْ فيكَ على مرِ السنين
واستحالتْ فى البلى قُبّرة
تتغنى فى دُجى وادى المنون
إننى يا ليلُ أحكى حزُمةً
من شعَاعٍ فى سماءِ الحالمين[1]
ضمَّها نحوكَ فكرٌ هائلٌ
أزعجَ الأربابَ بين الثائرين
واستحالتْ عندها من غضبٍ
زهرةً فى عالمٍ غير مُبين
تنفح الموت .. وتُدلى عودها
نحو أشباح المنايا العابرين

***

إننى عاطفةٌ قد غالها
منك فكرٌ طيّه الموتُ دفين
حاولتْ تعرف أسرارَ الأسى
منك يا ليلُ وأسرار الأنين
فاستحالت جَدولاً تعبره
فزعاتُ الموت ليلاً فى سفين[2]
هذه أغنيتى رتلتُها
لكِ يا دنياى فى دير السكون[3]
لَحْنها أنتِ، وحُزنى وقعْهُا
ونذيرُ الموتِ بعضُ السامعين
لا تلومى ما بها من حزَنٍ
إنما الأحزانُ موسيقى الحزين

(١) لأن الأحلام ترسم الأشياء أجمل من حقيقتها.

(٢) المراد بهذه التشبيهات تفسير ما تراه روح الشاعر من حزن وألم فى الحياة.

(٣) دير السكون هو الليل.

أعــذبُ الألحــان لحــنٌ أفرغــتْ
فيــه أنــاتُ الأســى طــى الحنــين
عــانقينى فى الــدجى ... اقــتربي
إننــى أفــزعُ ممــا تفــزعين
قرِّبــى خَــدكِ ... ضــمُينى إلي
صدرك الحانى ... الثمى هـذا الجبين
اتركينــى فيــكِ أفنــى مــثلما
فنيــتْ فى الله روحُ الناســكين
إنــما نــحن كوكــبٍ ضــلّ في
تيــه صــحراء بقــومٍ تــائهين
قــد نــسبنا كــلّ مــا كَــان لنــا
وتركنَــا فى غــد مــا ســيكون



شاطئ الأعراف[1]



هى ذكريات حزينة، تحاول أن تحجبها أكفان سنوات أربع، فهتكتها أشباح سوداء ما تزال تتراءى أمام عيني:

كنت آنئذ فى المنصورة، وقد مرت على فيها سنوات ثلاث تغيرت فى أثنائها نفسى ومالت إلى صورة باهتة من الأمل المكتئب اليائس.

ولست أدرى أكان جو المنصورة هو الباعث على ذلك، وهل كان فى أمسيات شتائها الحزين المنقبض ما بعث فى نفسى هذا الشعور الحزين المتشائم نحو الحياة، أم كان ذلك على إثر خلجة .. أستغفر الله ... بل خلجات كثيرة خفق لها قلبى فى أدوار حداثة مرت بين التاسعة والخامسة عشرة، التى انتهت وما انتهت إلى الثامنة عشر من عمري.

هى خلجات أنهكت قوى هذا القلب، وأحالت شعاع الأمل الربيعى الضحك إلى خطفات باهتة سمن شفق شتاء وما زالت تخفق على ضعفها فى محراب الحب.

وزادت هذه الحال فى نفسى سوءا، فهبطت نفسى من جراء ذلك إلى قرار من الحزن السحيق لا أدرى سببه فلم أجد بداً من أن أترك هذا البلد الحزين حسب مشورة الأطباء إلى بلد آخر أجد فى جوه سلوى، فاخترت القاهرة مقاماً.

ولكن ... كان ما خفت أن يكون، فقد هاجمت سماء المدينة الأزلية وروحها العتيدة الناعسة الحالمة على أعتاب القدم والأبد... أقول هاجمت كل ذلك الحزن إلى

(١) المصدر: مجلة أبوللو العدد السادس من المجلد الأول فبراير سنة ١٩٣٣ - ص٦٢٧، وكان الشاعر يومئذ طالبا بكلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن)، وقد أثبت الشاعر فى نفس العدد من أبوللو مقدمة عنوانها (كيف خلقت فكرتها) وتذييلا عنوانه (شرح وتعليق) فنقلناهما كما هما.

أبعد قراره فى نفسي، ولا سيما حينما وقفت على مقربة من الجزيرة أرقب النيل من ناحية بدالى فيها ذلك الأزلي[1]، كأنه شاعر يغنى فى جانب الموت أغانى تلاشت معانيها فى حواشى الألحان.

ثم تركت القاهرة إلى (نوسا البحر) وهى قرية تتكئ على النيل، ويخيم عليها جو المنصورة أكثر ما يكون وحشة وانقباضاً.

مكثت بهذه القرية خمسة أيام، كنت أختلف فى أمسياتها مع قريب لى إلى مكان هادئ يشرف عليه النيل فى مشهد رائع، طالعته على مبعدة أشجار باسقة من الصفصاف واللبخ والجميز وهائش الغاب، فكانت تكسبه روعة فى الليل ضافية، وكأنها عباد البراهمة فنيت نفوسهم فى ذهول العبادة، وهو ينصتون بألف أذن إلى مزامير الآلهة.

ثم كانت بعد ذلك كله نواة قصيدة (شاطئ الأعراف). فالنيل لم يكن غير نهر الحياة والموت فى هذه الأعراف، والظلمة المروعة التى كانت تألف نفسى إليها، هى رهبة الأبدية فى هذه الأعراف أيضاً.

وقد مضى الآن على هذه القصيدة سنوات أربع، ونشرت منها متفرقات فى (السياسة الأسبوعية). وهأنذا أعود بعد تنقيحها، فأقدمها إلى مجلة أبوللو الغراء كاملة لا ينقصها شيء.

لقد انتهت قصيدة شاطئ الأعراف، ولكن هذه الروح العلوية التى غمرت سماء حياتى بنور جمالها الباهت الحزين وهى تصاحبنى فى شاطئ الأعراف ما تنفك تصاحبنى بعد شاطئ الأعراف.

فإلى هذه الروح التى أرهفت أذنى لسماع أصداء مواكب الآباد، إلى هذه الروح التى تتغنى بها كل مشاعرى كما يتغنى الجدول بكل أمواجه، إلى هذه الروح العالية، وإليها وحدها أهدى هذه القصيدة.

م.ع. الهمشرى

(١) يعنى به النيل.

الذكريات

عنـــدما خـــدَّر الفنَـــاءُ شـــكاتي
وســـقاني كئوســـه المنـــسياتِ
بَعـــثَ الـــشعْرُ مـــنْ لدنُـــهْ نَـــسيماً
فـــائح العِطـــر طيِّـــب الـــنغمات
هـــزَّ قلْـــعَ الـــصبا فـــأيقظَ فِكـــري
فهفـــتْ بـــى ســـفينةُ الـــذكرياتِ
فى خِـــضَمِ الأفكـــار تطـــوى بـــى الوقـــ
ـــت وتهفُـــو إلى ضـــفافِ الحيـــاة

* * *

كُلّـــما حاوَلـــتْ لهـــنَّ رجُوعـــا
دفعهَـــا اللجَّـــاتُ منْهـــا إليهـــا
رقـــصتْ فى شراعهـــا الـــريحُ حتـــى
حطَّمتْـــــه وحطَّمـــــتْ دفتَيهـــا
رحمـــةً منـــكِ يـــا ريـــاحُ ورفقـــا
وَدَعِيهـــا ومَـــنْ ينُـــوحُ عليهـــا
فلـــهُ فى الحيـــاةِ كـــالبرْاقِ آمـــا
ل تُـــساريهِ فى دُجـــى شـــاطئيها

* * *

ترمـــقُ الـــشاطئين مـــن خَلـــلِ الدمـــ
ـــع حزَينـــا فـــلا يكـــاد يبَـــينُ
غـــير نُـــورٍ يلـــوحُ كـــالومض، شُـــقَّتْ
فوقـــهُ الـــسُّحُب فهـــو فيهـــا كنِـــينُ
وســـناً يَزدهـــى عليـــه كلـــون !!
طيـــفِ كـــاب، عـــلى الـــدُجى موهُـــونُ
هـــو حُـــبُّ الـــذين قَـــدْ ذكـــروهُ
وشَـــجَاهمْ بعـــد الفـــراقِ الحنـــينُ
وتُؤاتيـــه ضـــحة العـــيشِ همْـــساً

مثلما يسمعُ الجنينُ الهَزيما
يتمشَّى صخبُ العواصف فيه
مشبها فى كرى المنونِ نسيما
وضجيجُ الأيامِ يَنْغمُ كالجر
س خفوتا يسرى إليه بهيما
أبدا ما يزال يهمسُ فى المو
ت صَدَاها بأذنه مُستديما

* * *

وخلالَ الأصداء صوتٌ حنونٌ
تائهٌ بين ضَجةِ الأنواءِ
يتخطّى عصفَ الأعاصيرِ وثْباً
لا يُبالى بهولِ هذا الفناءِ
وله جنةٌ يُرجِّعُها المو
ت كنجوى من عالمِ الأحياء
تُرهفُ الأذنُ نحوها، ثم تُرخَي
فى ذهولٍ يُجيبُ بالإغضاء

* * *

إنه الحبُّ ما يزالُ يُعاني
كُلَّ هولٍ ويمتطى كل صَعْب
يجثمُ الصخر فيه والسَّربُ الدا
جى ويطوى سَهْلاً خصيبا لجدبِ
وسواءٌ ليه كل عَنُوت
أو ذَلولٍ على طريق الدربِ
ليس يخشَى اللَّجاجَ فى كل حين
أو يخافُ الردى على كل سرْبِ

* * *

ويكَ يا حبّ، أين تمضى إذا ما
نسجتْ حولك المنونُ شباكا
وبعثتَ الأنفاسَ معسُولةً حَيْـ

ـــرى إليهـــا تبثُّهـــا شـــكواكها؟
أتـــرى يـــا هـــوَى ســتقحمُ المـــو
تَ وتلقــى كـــالنفسِ منـــهُ ردَاكـــا؟
أو ســتبقى حتـــى تـــراكَ صَـــيُود[1]
فى غيـــاضِ الفـــرْدوسِ ترمـــى هُناكـــا؟
تنــزع الـــنفسُ للـــشرورِ وتهـــوى
هـــى منهـــا عنـــاصراً فى الـــرُّوح
إنـــما الـــشرُّ مفـــزعٌ لـــشجَاها
لـــو خَلَـــتْ مـــن قدَاســـة التـــسبيح
ولهـــا منـــه مَـــسبحٌ ومَطـــيرٌ
مطمـــئنٌ عـــلى فـــضاء اللُّـــوحِ[2]
وهـــو كالحـــبِّ كـــوثرٌ ونـــماءٌ
وهـــو مرعـــى للـــروح جـــم الـــسُّوحِ

* * *

أيهـــا الحـــبُ، أنـــتَ للمـــوتِ مـــوتٌ
ذو غـــلابٍ عـــلى الـــبلى مـــستخفٌ
أنـــتَ صِـــنوُ ســـالحياة وارثـــة المـــو
ت، ونـــورٌ عـــلى الإلـــه يـــرفُّ
ســـوف تبَقـــى بعـــدَ الفنـــاءِ ســـبُوحاً
فى فـــضاءٍ مـــن الأثـــيرِ يـــشفُّ
تلحـــظُ الكـــونَ فى سُـــباتِ المنايـــا
مثـــل رُؤيـــا تهْـــوِى بـــه وتَـــدِفُّ

* * *

الشاعر ينتبه فجأة على ضجيج
سفن الموت ...
فيرتاع ويناجى الموت

(١) الصيود: الصياد

(٢) اللوح: الفضاء بين السماء والأرض.

ويـكَ يـا وقـتُ إتَّـئِدْ! أَيْـن أمـضي
تائهـا فـوقَ هاتـهِ الأمْـواجِ
فـوق مكـسُورةِ الجنَـاحِ دَهَتهـا
عـصفةُ الجائحـاتِ والليـلُ داجِ
فى خِـضَم تـذْوى العواصـف فيـهِ
ناعيـاتٍ نُـورَ الـشُّموس الـسَّاجِي
عاصـفاتٍ عليـه تَعتنـقُ المـو
جَ وتعـدُو لغـير مـا مِعْـراجِ

سفن الموت

نـــصَلتْ مـــن غبارهـــا ســـفُن المـــو
تِ وســـارتْ بمـــن تُقِـــلُّ خفافـــا
لفهـــا المـــوتُ فى غياهـــبِ الـــسُّو
د وأسرى يطـــوى بهـــا الأسْـــدافَا
وبهـــا رايـــةٌ تُـــشِير إلى الـــشـ
ـــطِّ وروحٌ يهـــدى لـــه زَفْزافـــا[1]
كلـــما طافهـــا الفنـــاءُ بـــصوتٍ
رَفَعـــتْ قَلَعهـــا لـــهُ إزْهاقـــا

* * *

خاضـــتْ المـــوتَ مُسرعاتٍ مـــع الوقـــ
ـــتِ ترانـــى الحيـــاةَ فى طخيـــاءِ[2]
تَطِـــسُ[3] المـــوجَ خفـــةً ثـــم تعلـــو
فى ســـماءٍ مـــن الـــبِلى دكنْـــاءِ
وَشَّـــعَ المـــوتُ جانبيهـــا اصـــفراراً
فأفـــادتْ منـــهُ ضـــياءَ المـــساء
فى شـــفوفِ إبْريـــسَم[4] ســـابحاتٍ
بـــشراعٍ مرقـــوقٍ مِـــنْ ضِـــياءِ

* * *

طـــائراتٍ عـــلى جنـــاح حُبـــارَى
ســـابحاتٍ عـــلى بُطـــونِ ســـمُاني[5]

---

(١) الزفزفة: المشية الحسنة.
(٢) أى فى ظلام دامس
(٣) الوطس: ضرب الماء
(٤) الأبريسم: الحرير
(٥) الحبارى والسمانى أنواع من الطيور المعروفة.

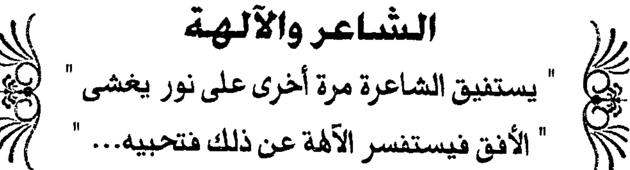
شـتَّتَ الوقـتُ جمعهـن فراحـت
عـابراتٍ عـلى الدَّرسـى أُحْـدنا
يـنفخُ النـدُّ فيـه ريـا خُزامـى
مُـومضٍ حاطـهُ الـشذَى إدجانـا
ينهـبُ الـشاطئان عبـقَ شَـذَاها
فيُـؤاتى زَهْـريها نَعْـسانا

* * *

وأرى فُلْكِـى الكـسيرَ عليـه
يتهـادَى مـن بينهـا مبَهوتـا
فاجأتْـه الـويلاتُ سـمن كـل صـوبٍ
خلّفتْـه مـن عَـصْفِها مبَغوتـا
فى ذُنـابى الأفـلاك يهفُـو إلى الـشَّـ
ـط فيُلـوْى بـه الـرَّدى مكبوتـا
فـإذا عـادهُ مـن الـشطِّ طيـفٌ
شَـذَّ مـن قلعـهِ يُـسارى الحوتـا

* * *

ولَكَـمْ مـرّتْ الليـالى أمـامى
مُـبسرعاتٍ يَلُحْـنَ مثـل الظِّـلال
وكـأنّ الـساعات فـيهن واليـوْ
م وكـلّ الأوقـات نـورُ الـزّوال
فيـك ماتـت هـذى الـسنون أيـا لَيْـ
ل وبـاقى الأحقـاب فى اضـمحلال
تنـشرُ الوقـتَ فى الحيـاة لتطويـ
ـه جديـدا والـبعضُ فى أسـهال





الشاعر والآلهة

" يستفيق الشاعرة مرة أخرى على نور يغشى "
" الأفق فيستفسر الآلهة عن ذلك فتحبيه... "

الشاعر :

أي نــــورٍ هـــذا الـــذى يبهـــر الأفـــ
ـــق ويزهـــو مغـــشيا جنباتـــه؟

الآلهة:

هـــو يـــا شـــاعرى الـــصغير رِكـــابي
ويَـــشعُّ الـــضياءُ مـــن مِـــشْكَاتِه
قـــد تخَطَّـــي إليـــك كـــلَّ هبـــوبٍ
ومُـــسف اللّجـــات فى مائجاتـــهْ
بـــدا فـــوق صـــفحةِ الأفـــق ((أيّـــو
س[1] يُقـــلّ الأنـــوار فى مركباتـــهْ

***

يـــا لَـــهُ مركبـــاً غلائلـــه النُّـــو
ر ومـــن خـــالص الأثـــير شراعـــهْ
احتوتْـــه الأنـــوارُ فى رَكبهـــا الـــضَّا
فى ودانـــى طـــرْفَ الأواذى شـــعُاعهْ
فـــتراءتْ مثـــل القناديـــل تَـــترى
حولـــه، فوقهـــا يَـــرفُّ التماعُـــهْ
أو رؤىً فى كـــرىً تـــراءى وِضَـــاءً
ضـــمَّ أطيَافهـــا إليـــه قلاعُـــهْ
قـــد تهـــادَى بـــين الظـــلام كحُلـــم
ذَهبـــيًّ عـــلى جنـــاحِ فِـــضيًّ
مـــن رُؤى أول الكـــرى وهـــى تَـــسرى

---

(١) له النور عند الإغريق

مُـــسرعاتٍ مـــن العيـــون الغُمـــضِ
حولـــه موْجتـــانِ قـــد حوَتَـــاهُ
وهـــو فيهـــا يَـــرِفُّ مثـــل الـــوَمْضِ
يُعْكَـــسُ الـــسِّحرُ فوقـــه كـــل حـــينٍ
فى زَهِـــى الأطيـــافِ مـــن كـــل محـــضِ

***

الآلهة تنصح الشاعر أن تحمله فيصر على مرافقتها

الآلهة :

أنـــتَ يـــا شـــاعرى تحمّلـــتَ صـــبراً
فى حيـــاةٍ محفوفـــةٍ بـــالزوالِ
هـــى رؤيـــا حلـــم ويقظتُـــه المـــوْ
تُ، وقفـــرٌ ســـماؤه مـــن آلِ
تبـــدأ العـــيش فى الـــذى تنتهـــى فيـــ
ـــه ســـوادٌ عـــلى قفـــير[1] خـــالِ
نهـــارٌ يمـــضى بـــساحة ليْلَيْـــ
ـــن، هـــو العـــيش وهـــو عمـــر خيـــالي

***

إيـــه يـــا شـــاعرى، تحملـــتَ صـــبراً
فى عـــذابٍ قـــد فـــاق كـــل عـــذابِ
لَكَـــأنى أراك فى نـــشوة الفكْـــ
ـــر شَـــكيًّا تـــشكو مـــن الأوصـــابِ[2]
أتُـــرى ترتـــضى اصـــطحابى إلى الجنْـــ
ـــة مثـــوى الـــشوادنِ[3] الأسرابِ
حيـــث تلقـــى مـــا تـــشهيه مـــن الآمـــا
ل فى الأشربـــاتِ والأســـلابِ؟

(١) القفير: خلية النحل
(٢) الأوصاب: المتاعب
(٢) الشوادن: الظباء الصغيرة

جنة الشعراء

تــستطيبُ الجلــوسَ فى ظــلِّ أيْــكٍ
رَفْــرَفَ الطــيرُ فوقَــه أسرابــا
يتغنــى بــين الــثمار يلحــنٍ
هــل ســمعتَ القيــانَ[1] عنّــت طِرابــا
مــن وحيــدين يَــسْجعانِ سروراً
وشَــجيِّين يــشدُوان انتحابــا
وجَــرَى المــاءُ فى الغــدير رحيقــا
وجَــرَت فوقــه الزهــورُ حَبابــا[2]
جنــةٌ صــاغها الإلــه مــن الــسِّحـ
ــرِ ففيهــا صــبابةُ الــسعداء
نُورهــا مــن وشــائعٍ[3] مــن هــواء
فهــى منــه فى رقــه القمَــراءِ
وتغنــى الأطيــارِ ســفيها اصــطخابٌ
فــصباها مــن عبقــرىِّ الغنــاءِ
مــن خيــال الأشــعار قــد صــاغَهَا اللـ
ــهُ، ففيهــا روائــعُ الــشعراءِ

***

ســترى (افرليــز)[4] تجــرى عــل العــشـ
ــبِ وتهفــو إلى شراع المراكــبْ
(تفــاتيس)[5] فى ضفائرِهــا الــصفـ

(١) القيان: الجوارى الحسان المنشدات.

(٢) كنفاخات الماء (الفقاقيع الصغيرة)

(٣) الوشائع: اللفائف.

(٤) دمية الفتاه الآلهة فى النيل فاستحالت حورية تعابث الأمواج والشراع

(٥) قصة حزنها مشهورة، حينما قهرتها آلهة بابل وعشتار فى بلدة نيكور.

ـــــر تُغنــى الثلــوجِ الأشــاهبْ[1]
وعـــذارى الينبـوعِ تعــزف موســى
فى ربيــع فــوق الـضفاف الــشواعبْ
ســوفَ تَلقــى هنــاك كــلَّ نعــيم
وتقّــضى فيهـــا جميـــع المــآربْ

الشاعر:

أمطــرت الرحمــاتُ يــا ربــة الــشعـ
ـــرِ وجادتــكِ فائــضاتُ اليمــينِ
كنــتِ ســلواى فى الحيـــاةِ، وفى المــوْ
تِ أراكِ عـــلى دُجـــاه خـــذَيني
(تتركــه آلهــة الـشعر الفـردوس وتهـم بالمسير
فيصبح الشاعر بها)
مـــا أري؟ تـــزمعين بعـــد رحـــيلا؟
ربـــة الـــشعر، ويـــكِ، لا تتركينـــي
أيـــةً تـــذهبين فى ذاك المـــو
تِ ... ولكـــنْ هيـــا ... خُـــذيني خُـــذيني

آلهة الشعر:

شـــان نفـــسي، وذاك فى غـــرامٌ
أن تُلاقـــى الخطـــوبَ والأهْـــوالا
اقتبـــلْ أنـــت نـــاعماً وتفكـــهْ
فى جنـــانٍ طابـــتْ جَنًـــى وظِـــلالا
ســـوف آتيـــك بالـــذى قـــد أراه
فـــوق شـــط الأعـــرافِ، فاهـــدأ بـــالا
أننـــى ســـوف ألتَقـــى بمنايـــا
تـــصرع الـــريح، تنـــسفُ الأجـــالا

الشاعر:

آه يـــا طـــائفَ الخيـــالِ تعـــالَ

(١) أى شهباء اللون

وابــق جنبــى ولا تُغــامرْ وَحــدكْ
كيــف تَلقــى الــرَّدى وأنــتَ ضــعيفٌ
وســهامُ المنــونِ يقــصدْن قــصَدكْ
ونــدىُّ الأنــوارِ يلفــحُ وجهــكْ
والنــسيمُ العليــل ينــسلُ شَــعركْ
فــإذا غالــك الفنــاءُ بــسهم
كيــف أرضى الفــردوسَ داراً بعــدكْ؟

آلهة الشعر:

قــرّ نفــساً، فــإننى لا أبــالى
بــشَعوبٍ ولــستُ أخــشى الحِمامــا
أنــا فى روُحِهَــا الكريهــة روحٌ
لا تُلاقــى المنــونَ إلا سَــلاما
أنــا كالبــارقِ الــسماوى نــورٌ
لا ينــى فى مُــضِّيه يترامــى
هــو يبــدو مــن حيثُ يحْسبهُ النــا
سُ تعــاطى مــن المنيــةِ جَامــا

***

هــاكَ فُلْكــى عــلى الــدجى يــتراءى
مستــضاء كالكواكــبِ اللَّــماحِ
بهــرَ المــوتَ نــوره، فهــو أعــشى
يتحاشــى مــن خطَفــه بــالرَّاحِ
يــومضُ الليــلُ بالــسَّنا مــستطاراً
فى اصــفرار يحكــى اصْــفرارَ الأقــاحى
صــنَعتهُ إلهــةُ الــشِّعر كــيما
تتخطــى بــه شِــبَاكَ الريــاحِ

***

فاصــطحبنى إذن عليــه وهيَّــا
فــوقَ هــولِ الفنــاءِ نمــضى ســويًّا
فلقــد تَطَّبيــك رؤيــا المنايــا

وتراهـــا حــــسُناً إليـــك صـــفَياً
كنُـــتَ طفـــلاً ســعلى المــشيبِ لَعوبــاً
ومَــــشيبا عـــلى الـــصبًا كُنتيًـــا[1]
نـــستمدُ الحيـــاةَ مـــن نُـــوركِ البـــا
لى وتهفـــو ســـناهُ شـــجيًا
لم تكـــن غـــيرَ طـــائفٍ مـــن ضـــياء
قـــد طـــواه بـــه ظـــلامٌ مجـــنحْ
حظُّـــهُ مـــن حياتـــه مـــا رآهُ
مـــن تهاويـــل جـــوِّهِ وهـــو يَـــسبْحْ
فهـــو مـــن ذِكرهـــا الحبيـــبَ مَطـــافٌ
لـــرؤى فى ضـــيائِه التِـــبْرِ تلَمـــحْ
ذُكـــراتٌ يرتـــادهنَّ لقـــاءً
معقبـــاً فى الخيـــالِ بعـــداً مُـــبرِّحْ

***

ونهـــير مُرقـــوقٍ كنفتـــهْ
غابـــةٌ بـــين دَغِلهـــا ينـــسابُ
يـــسطتْ فـــوق مائـــة العـــذبِ ظـــلاً
تحـــت عطـــف الأمـــواجِ لا ينْجـــابُ
حجتـــهُ عـــن العيـــون طـــويلا
وهـــداها لـــه الـــصفاءُ المطـــابُ
ســـحَر العـــالمينَ منـــه رحيـــقٌ
فـــإذا هـــم مـــن صَـــفْوِهِ شرَّابُ
تَطلـــبُ الـــسعدَ وهـــو منـــك قريـــبٌ
تـــدَّعى الحـــزنَ وهـــو منـــك بعيـــدُ
قـــد طويـــتَ الحيـــاةَ تجهـــدُ فيهـــا
ليـــت شِـــعرى، فهـــل جَـــدًا المجهـــودُ

---

(١) الكنتي: القوى

تنفخُ الناسَ منْ شذى زنبق (النُّود)[1]
وهم فى كرى الحياة رقودُ
قد أضعتَ الحياة كلَّ ضياعٍ
فى حطامٍ فانٍ هو التخليدُ

***

(الشاعر يستمع إلى أرغن الموت عن فلك الآلهة)

يا خيالي!، ماذا يطوفُ بقلبي
يا خيالي، ماذا يسارقُ أذني
أى شيءٍ احسُّ؟ أى دبيبٍ؟
مستلذٍ يخدِّر الروحَ منى

الآلهة:

أنه أرغن الفناء يغني
ويعيد الحياةَ فى مثل لحنِ
جَهورِى الموجاتِ تنفخُ فيه
مسمعاتٌ يَفضن من كلِّ فنِّ

***

هاكَ لحنَ الجمال.. هاك صداهُ
هاكَ لحنَ الهوى ولحنَ التفاني
هاك لحنَ الأسى.. ولحن التأسيِّ
هاك لحن الآمال .. لحن الأماني
هاك لحن الصبا ولحنَ التَّصابي
هاك لحنَ المشيب والحرمانِ
هاك كلُ الحياةِ مرَّتْ كلحنٍ
وصَداها يعجُّ فى الآذانِ

---

(١) النود: التمايل من النعاس

أرغن الغناء

واهاً لـهُ من نـاءْ[1] ... ألحانه زفزافْ
فى صمت وادى الفناء ... تعانقُ الأسْدافْ

***

يَضجُ فى الأمواجْ ... مصطخب الصَّوت
يزهى على الإدلاجْ ... من شَفَقِ المَوْتِ

***

مفيضهُ من دموعْ ... يسكبها اللحْنُ
وصمتها مقطوعْ ... ينهبه الحُزنُ

***

دَوَّى على الأصداءْ ... يمعنُ فى الظّلما
يسامرُ الجوزاءْ ... وينفخُ الحُلما

***

عَجيجهُ صيّاخ ... كالبوقِ فى الآذانْ
يهاجمُ الأرواخ ... من غير ما استِئذان

***

فالكون فى رَجْف ... كالكوكبِ الخفاقْ
خَاضَا من الخوْفِ ... فى مَسْبحِ الآفاقْ

***

وتارةً يخْفتْ ... فى غَسقِ اللّيلِ
كالروحِ لو تَصمتْ ... فى صَخب الويْلِ

***

(١) ناء: ناى

فَتحـــسبُ الموجـــا يلعـــبُ بـــالأرضِ
يرجهـــا رجـــا وبعـــدها يمـــضي

***

يعلـــو عـــلى الـــنجمِ ويَلمـــس الـــسَّقفا
كـــأنَّ فى حلـــمِ طيفـــا بـــه رفـــا
فطافـــت الـــذكرى يقلبـــهِ النّـــائى
كالظـــلِّ لـــو أَسرى بـــصفحةِ المـــاءِ

***

فى دُجنـــةِ الآبـــاذْ تـــرعشَ كالأشـــباحْ
كـــالجمرِ تحـــت الرمـــاذْ مـــن فوقـــه النـــدُّ فـــاحْ

***

فَـــلاحَ فى الليـــلِ بـــستانهُ الـــسَّاجى
معطَّـــرَ الـــذيلِ فى أفـــقِ داجِ

***

وتحـــت ظـــلّ وريـــفْ مَقعـــدُ مَـــنْ يهـــوَى
يخطـــف فيـــه رفيـــفْ مـــن الـــسنا أضـــوى

***

وتلـــكَ لابـــلَ هَـــذِى ملاعـــب لا تحـــصي
لـــيس لهـــا مـــن نفـــاذ[1] قـــطّ ولا تُسْتقـــصَي
كـــم مـــرّ فيهـــا ربيـــعْ ومـــرَّ فيهـــا خريـــفْ
وكـــم مـــشى فى خـــشوعْ ينـــاغمُ الـــشادوفْ

***

يلهـــو عـــلى النّبْـــتِ ويقطـــفُ الزّهـــرَا
يخـــفُّ فى صـــمتِ يـــسترِقُ الطّـــيرا

---

(١) لعل الشاعر أراد أن يقول ((نفاد)) لا ((نفاذ)) فنفاد هى تؤدى المعنى هنا، وأن أخلت بقافيـة من البيت.

صور اللحن فى الصبا

وأبـــدَل الـــنّغما إلى الـــصبا الغَيْـــسانْ
فـــصوّر العـــدما فى منظـــرٍ فتـــانْ

***

جـــوٌّ مـــن الأثـــيرْ مُـــذهّبٌ فِـــضي
ســـماء أيـــكٍ شـــجير يَـــــرفُّ فى الأرضِ

***

منـــوّرُ الّنـــوازْ كالمخمـــلِ المفـــوّفْ
طـــرّزهُ النّوبهـــارْ(١) مفرّقـــاً ومؤلـــفْ

***

(١) الربيع الجديد أصله فارسى نو جديد بهار ربيع

صور اللحن فى المشيب

وأبـــدلَ الـــنَّغْما إلى شـحوبِ المشيب
فـــصوَّر العَـــدما فى منظـــرٍ كئيـــب

***

جـــوٌّ مـــن الـــبرْدِ إعـــصارهُ ثَـــجُ
يُـــذيبُ فى الجلـــدِ روُحـــاً بـــه الـــثلجُ

***

ودَغْـــل مُـــصَوْح يَـــشقُّه الـــذُّبولْ
لا طـــائرٌ فيـــصدْح بـــه ولا خميـــلْ

***

صور لحن الأسى

وأبـــدلَ الـــنغما في رنـــةِ الحـــزْنِ
فـــصوَّر العَـــدما في منظـــرٍ مُـــضنِ

***

حديقـــةٌ فَيحـــاءْ في زمـــنٍ ربيـــعْ
يمـــشى انقبـــاضُ الـــشِّتاءْ في حـــسْنها الوديـــعْ

***

صور لحن الأماني

وأبْـــــدَل الــــــنغما إلى صـــــــــــــغيرِ[1]
فــــــصوَّر العـــــــدما مـــــن أزهــــــر الألـــــوانِ

***

مـــــشْجرةٌ غينــــــاءْ ســـــحرية الأزهـــــار
تــــسَطعُ فى دَكنـــــاءْ مــــن عبـــق الأعطـــارْ

***

(١) هكذا وردت فى الأصل ولعلها صفير



مطلع الشاطئ

الشاعر ينتبه مبغوتا



الشاعر:

ايــــه ربَّـــاه مـــا أراه أمـــامي؟
أى نــــورٍ فى أيـــما أســـدافِ؟

الآلهة:

هـــــو شــــطٌّ الأعــــرافِ ...

الشاعر:

أى شــطٍّ ... ذا المسمَّى بـشاطئ الأعـرافِ؟

الآلهة:

هـــو مثـــوى الألحـــان بعـــد شـتَاتٍ
ومقـــــرُّ الأرواحِ بعـــــد طَـــوَاف
ترقُـــب المـــوتَ والحيَـــاة تـــسيرا
نِ عـــلى الوقـــتِ وهـــو كالرجَّـــافِ

وصف الشاطئ

فى انتحـــــاءٍ عـــــن العــــوالم قـــــاصٍ
حيـــث يَرْقـــى الـــسكونُ مرقـــى الفـــضاءِ
وطيـــــور القـــــضاءِ تنعَـــبُ فى المـــو
تِ نعيبَـــــا يزيـــــد هـــــولَ الفنــــاءِ
غـــير أنّ الـــسكونَ يمهـــشهُ نهـــــ
ـــشا ويمـــشى الحفـــى عـــلى الـــضوضاءِ
سرمـــدى البقـــاءِ يحكـــم فى المـــو
تِ ويبقـــــى عـــــلى بقـــاءِ البقـــاءِ

***

وإذا مـــا اســـتعمتَ هالـــك صـــمْتٌ
فى عويـــــــل الآزال والآبـــــــــادِ
يـــستحبُ الفنـــاءَ هـــو بعيـــدٌ
فيُلاقـــى منــــه ســـكونَ الجـــادِ
حُلـــمٌ مـــزعجٌ تـــراه بهـــا الأر
ضُ وهـــذا الفنـــاء مثـــل الرقـــادِ
اســـتطارتْ لـــه وحقَّقـــه العـــد
مُ مـــن الخـــوفِ فى المنايـــا العـــوادِي

***

لـــيس شـــئُ يُحـــى المنـــى فيـــه إلا
ابْيـــضاض الثلـــوج فـــوقَ الـــصخورِ
مثـــل صـــوب العِهـــادِ تلحـــق البعــــ
ـــض وتهـــالُ فى اصـــطِخابٍ نكـــيرِ
تَطِـــسُ الـــصخَر والكهـــوفَ وتنقـــ
ـــضُّ عليهـــا مثـــلَ انقـــضاضِ النّـــسورِ
هَفِـــي! كـــل مـــا أرى فهـــو مـــوتٌ

ينــــــذرُ الأرضَ موعـــــدا بـــــالثّبورِ
يــــستريحُ الزمــــانُ والمــوتُ فيـــه
بعــــد طــــولِ التطــــواف والجـــولانِ
وكـــــأن الزمـــــانَ خـــــامرهُ الخـــــو
فُ فأضــــحى مــــع الـــردى فى احتـــضانِ
وتلاشـــــى بـــــه رويـــــدا رويـــــدا
ثـــــم أهــــوى عليــــه كالوَســـــنانِ
فـــــإذا بالفنـــــاء يحكـــــم فـــــردا
فوضـــــويّا عـــــلى جـــــلال المكـــــانِ

***

هـــــو وادٍ للمـــــوت ينَـــــشرُ فيـــــه
شِـــــبَه دنيـــــا تَفنـــــى وشـــــبهَ حَيـــــاةِ
يبـــــسطُ الوقـــــت كالخـــــضمٍّ ليَطويـــــ
ـــــه ويعـــــدو عليـــــه كالـــــسَّعْلاةِ[1]
مزَّقـــــت نفـــــسها الريـــــاحُ عليـــــه
داويـــــاتٍ مـــــن فوقـــــه مُعـــــولاتِ
لغـــــطٌ يـــــشبه الحيـــــاةَ بـــــما تحـــــ
ـــــوى ولكـــــنْ خلْـــــوٌ مـــــن الأصـــــواتِ

***

تبـــــصر الـــــدَّوْحَ صـــــاعداً فى فـــــضاءِ
يـــــتراءى عليـــــه كالأشـــــباحِ
فى لبـــــوُسٍ مـــــن الـــــدَّياجير داجِ
لفَّـــــه غيَهـــــبُ مُـــــسِفُّ الجنـــــاحِ
وتـــــرى الـــــبرْقَ مومِـــــضاً يترامـــــي
فى ثنايـــــا الأســـــدافِ مثـــــل الجـــــراحِ

---

(١) السعلاة: الغول، أو أنثى الغول

أو كحـــربٍ عـــلى الظــلام عَـــوانِ
قـــام بـــين الأجـــساد والأرواحِ

***

وتـــرى المـــوجَ فوقـــهُ يركـــبُ المـــو
جَ ويعلـــو مهاجمـــا شـــطآنهْ

ظلـــمات مـــن فوقهـــا ظلـــماتٌ
تعجـــز الطَّـــرفَ فى مَـــداها الإبانـــةْ
مُـــدجناتٌ .. هواضِـــبٌ .. تترامـــى
فى اصـــطخاتٍ .. فى ليلـــة أرونانـــةْ[١]
ربِّ أيـــن المفَّـــر منهـــا، وهـــذا
شـــبحُ المـــوتِ قـــد أطـــالَ جرِانـــهْ[٢]

***

هـــى هَـــذى الـــسفينُ تمـــضى عِجـــالاً
مُـــسرعاتٍ تجـــرى عـــلى التيـــارِ
تتلاشـــى فى بعـــضها ثـــم تـــحيا
لتعيـــد التمثيـــلَ فى الأعـــمارِ
مـــشبها بَعـــضُها عـــلى العُمـــر بعـــضاً
لـــو خَلـــتْ مـــن تبـــاينِ الأوْطـــارِ
وآ لهـــذا الفنـــاء!... وآ لهـــواهُ!
وآ لهـــذا القـــضاءِ والأقـــدارِ
أيهـــا الوقـــتُ كـــم أطحـــتَ بعـــيشٍ
خـــضلٍ كـــان وارفَ الأظـــلالِ
حيـــث كنـــا وقـــد تحقـــق فيـــه
كـــل حـــاجٍ مـــن ســـانح الآمـــالِ

---

(١) الأرونانة: الشديدة فى حر أو برد أو رياح أو أمطار.

(٢) أطال جرانه: مد عنقه

كــــل يــــوم يــــزداد حــــسناً ولطفــــاً..
ثــــم تمــــضى الغــــدى عــــلى منــــوال
لم يُكــــــدِّرْ ســــماءَه أى غــــيم
ومــــضى نــــاعماً بأحــــسن حــــالِ
وتؤاتيــــك أَنَّــــسة وعويــــلٌ
مــــن ظــــلال الكهــــوف والغــــيرانِ
أهــــى شــــكوى الأحــــلامِ يــــصرعها المــــو
تُ وشــــكوى ممــــا تقاســــى الأمــــاني
أم هــــى الــــروحُ تــــستغيثُ وتبكــــي
مــــن عــــدوٍّ فى المــــوت ذى شَــــنآن؟
أم هــــو المــــوت فى الظــــلال يُغَنــــى
أم عزيــــفٌ يُــــدوى مــــن الجَنَّــــانِ[1]؟

***

الآلهة:

إيــــه يــــا شــــاعرى، كفــــاك مُقَامــــاً
هــــا هنــــا ... فالفنــــاءُ جــــمٌّ الــــضِّفافِ
لــــيس شــــطُّ الأعــــرافِ هــــذا، ولكــــنْ
هــــو ركــــنٌ مــــن شــــاطئِ الأعــــرافِ
ســــتَرَى مخبــــأ الليــــالى وتلقــــي
مــــصرعَ الوقــــتِ فى دُجــــاهُ الــــضافي
حيــــث لا مَعْلَــــمٌ[2] هنالــــك يهــــدى
لا، ولا فوقــــه يُــــصاخ لِطــــافِ
فَــــسرَى فُلكُهــــا يــــشقّ الــــدَّياجي
فى ذميــــلٍ[3] مــــسيرهُ ركّــــاضِ

(١) الجنان: الجن

(٢) المعلم: علامة مرحلة الطريق، مفرد العالم.

(٣) الذميل: البعير، أو السير اللين

يمخـــرُ المـــوجَ والعبـــابَ بقيـــدُ و
مِ شـــتيم عـــلى الـــردى خـــوّاضِ
ثـــم أرْســـي وقـــد عـــراهُ رجيـــفٌ
فـــوق شـــطٍّ مـــن المخـــاوف نـــاضِ
لـــيس رُؤيـــا عليـــه غـــير ظـــلامٍ
لـــيس حـــسٌّ عليـــه غـــير انقبـــاضِ

قبر الليالي

فـــإذا هيكـــلٌ يَلـــوحُ عـــلى الأفـــ
ـــقِ عليـــه فى المنايـــا شـــحوبُ
قـــاتم الجـــوِّ، أغـــدف[1]، كنفتْـــه
بلجـــاجٍ مـــن الظـــلام شـــعوبُ
ترســـل الطـــرفَ نـــحوه فيلاقـــي
حجْنـــةَ[2] المـــوت فوقـــه فيـــؤوبُ
وحـــشةٌ تـــصرع الأمـــانَ وخـــوفٌ
إثـــر خـــوفٍ عـــلى الـــردى محـــسوبُ

***

يفـــزعِ الجـــن والأناســـى ويُـــضني
رُسُـــلَ الليـــل أن تخـــوض ظلامـــهْ

لـــو رأوه خـــرُّوا لديـــه ســـكارَى
يـــسألون: أيّـــانَ يـــوم القيامـــةْ؟
ولـــراعتُهم المخـــاوفُ تجثـــوُ
خلفـــه فى الظـــلام ثـــم أمامـــهْ
أيـــن ألقـــى الـــضياءَ فى ظُلـــمات
تَنهـــبُ الـــبرقَ فى الفنـــاءِ نهامَـــهْ؟

***

قـــف تأملـــه وهـــو يعـــترضُ المـــو

(١) أغدف: مظلم

(٢) حجنة: الجذية وتأتى بمعنى المقبرة فى اسم مكان بمكة.

جَ فيمـــــضى مــــن تحتـــه جَيَّاشـــــا
هــــو قـــبرُ الحيـــاة يقـــصده الوقــــــ
ـــتُ جَزوعـــا مـــن هولـــهِ رعَّاشَـــا
فـــإذا مـــا احتـــواهُ أرســـلَ نجـــوا
هُ رَذَاذاً مـــــن خلفـــــه وَرَشاشـــــا
هـــو دميـــعُ الزمـــانِ، وهـــو الرحـــــ
ـــمُ القلـــبِ، لم يلـــقَ فى الحيـــاة انـــحياشا

الآلهة تناجى الشاعر ثانية

الآلهة:

إيـــه يـــا شـــاعري، كفـــاك مقامـــاً
هـــا هنـــا، فالفنـــاءُ جَـــمُّ الـــضِّفافِ
لـــيس شـــطُّ الأعـــرافِ هـــذا ولكـــن
هـــو ركـــن مـــن شـــاطئ الأعـــرافِ
ســـترى مخبـــأ الليـــالى وتلقـــي
مـــصرع الوقـــت فى دجـــاه الـــضافي
حيـــث لا مَعْلـــمٌ هنالـــك يهـــدى
لا، ولا فوقـــه يـــصاخُ لِطـــافِ

***

فـــسرى فُلكهـــا يـــشق الـــدّياجي
فى ذميـــلِ مـــسيره، ركـــاضِ
يمخـــر المـــوج والعبـــاب يقيـــد و
مِ كريـــهِ عـــلى الـــردَى خـــوّاض

***

وإذا بـــى أحـــسّ صـــوتاً حنونـــاً
طائفـــاً فى الـــدرى بـــأرخم جَـــرْسِ
يتهـــادى عـــلى الـــسكونِ رَخهـــا
ويُنـــاجى الأرواحَ فى مثـــل همـــسِ
وهـــى فى المـــوت لا تحـــسّ ينجـــوى
مـــن غنـــاء ولا تُـــصيخُ لحـــسِّ
سَـــكنَتْ ســـكتةٌ يُعانقهـــا الـــصمـ
ـــتُ وأسرَى بهـــا فنـــاءٌ مغـــسيٍّ (١)

---

(١) مغسى: مظلم

أخـــذ الـــصوتُ فى ازداد (خفـــوتٍ)
وســـجوٍّ عـــلى الـــسكون مديـــدِ
مُـــستديرا عـــلى القـــضاء يُـــدانى
طـــرفُ هـــذا الفـــضاء خَـــدَّ الوجـــودِ
ويـــدا فـــوق هامـــة الأُفـــقِ نـــورٌ
ســـاطع الجـــوّ خـــاطفٌ مـــن بعيـــدِ
وإذا موكـــب يتيـــه عليـــه
مثـــل قـــصرٍ مـــن الـــضياء مَـــشيدِ

***

هـــو ركـــبُ الحيـــاةِ يمـــشى حثَيثـــاً
مـــستخِفاً إلى (ضريـــح الليـــالي)
فهـــو مثـــوى الأحقـــابِ بعـــد تمـــام
ومقـــرّ الأجيـــالِ بعـــد اكـــتمّالِ
قـــفْ تأمـــلْ فُلـــك الحيـــاة عليـــه
مَلَـــكٌ فى وضـــاءةٍ وجـــلالِ
عبقـــرى الخيـــالِ فى سُـــندسٍ خُـــضرٍ
يُعنـــى فى بهـــرةٍ واختيـــالِ

***

وسرَتْ خلفـــه (زوارقْ) شـــتى
تـــتراءى كأنهـــا أحـــلامُ
فـــترى (زورقَ الجـــمال) عليـــه
مـــسمعاتٌ غنـــاؤهن ســـلامُ
وتـــرى (زورقَ الـــشرور) عليـــه
مـــسمعاتٌ عنـــاؤهن مقـــامُ
وتـــرى خلفهـــا زوارق شـــتى
منـــشئاتٍ ... وكلهـــا آثـــامُ

***

جُبلـــتْ هـــذه الحيـــاةُ عـــلى الـــشـ
ـــرِّ وإن كـــان ناميـــاً فى الخـــيرِ

وأرى الخـــير مـــن ثـــمارِ ضرارِ
وجَـــدتْ خـــصبَ أرضـــها فى الـــشرِّ
إن هـــذا الـــتراب، هـــو قبـــيحٌ
فـــاح مـــن روحـــه أريـــجُ الزّهـــرِ
لـــيس هـــذا النعـــيم غـــير شـــقاءٍ
فحـــذارِ .. حـــذارِ مـــن أمِّ دَفْـــرِ [1]

***

ومـــضى الركـــبُ فى الـــردى، وتـــلاشي
أثـــرُ الركـــب فى (ضريـــح الليـــالي)
فكـــأنّ الحيـــاة كانـــت منامـــاً
وغـــرور الحيـــاة طيـــف خيـــالِ

(١) أم دفر : الدنيا

السكون الحاكم

أيهـــذا الـــسكونُ يـــا حـــاكمَ المـــو
تِ، وصـــــنو الآزالِ والآبـــــداتِ
كنـــتَ قبـــل الحيـــاةِ تحكـــمُ فى المـــو
تِ، وهـــا أنـــتَ حـــاكمٌ فى المـماتِ
أيهـــا العـــدم، أيـــن أسرى حبيبـــي؟
أيهـــا العـــدْمُ أيـــن أسرتْ حبيبـــي؟
أيـــنَ مثـــوى الـــضياء؟ أيـــن أراهُ؟
أيـــن مثـــوى الغنـــاءِ والأصـــوات

***

أيهـــا العـــدْمُ أيـــن تـــنعس فى الـــصمـ
ـــتِ وتَلقـــى لديـــه راحـــة جفنـــكْ
قِـــفْ ودعنـــى أبـــثْ إليـــكَ شـــكاني
والتبـــاعى مُهَمهـــماً فى أذنـــكْ
لم أجـــدْ فى الحيـــاة لى أُذُنـــاً تـــسمـ
ـــعُ شـــكواى أو فـــؤاداً حنونـــا
ولـــذا قـــد أتيـــتُ أشـــكوكَ مـــا بـــى
فلقـــد تـــرْحمُ الكئيـــبَ الحزينـــا

***

كـــان لى فى الحيـــاة قلـــبٌ طـــروبٌ
يتغنـــى كالطـــائر الـــصدَّاحِ
أحـــرقَ الحـــزنُ منـــه ريـــشَ جناحيْـــ
ـــهِ وأهـــوى بـــه كـــسير الجنـــاحِ

***

فتحمّـــل منـــه أمـــاهُ وفرّقـــ
ـــه عـــلى ذلـــك الفـــضاءِ شُـــعاعا
قبـــل أن يقـــضى الفـــؤادُ ويمـــضي
حـــاملا معْـــه فى الفنـــاء التباعـــا

ساحر الوادى المغني

في الأبيات التالية يتخيل الشاعر مغنيا في وادي الموت يغني الفانين لحنا صامتا، وهو بعينه المغني الذي كانت موسيقى الوجود تستمد ينابيعها منه وتفرقها على الربيع والأطيار والمياه والنور .. يتخيل الشاعر وقوف المغني صامتا بقيثارته المحطمة يعزف عليها فلا تسمع الألحان

ساحر الموتِ، طال صمتك، هيَّا
رجّعِ اللحنَ أيهذا الشادي
قم أيا عازفَ المنون وغَنٍّ
وابعث النَّغمَ فوق صمتِ الوادى
أترك الدوحَ والينابيعَ تحيا
لتُعيدَ الحزينَ من آهاتكْ
فلكم فاح نشرُها وهى ترى
لتحى الصباح في نغماتكْ

***

لهفي، ما أراك تبعثَ لحناً
فاخبر الشعرَ ما دهى قيثاركْ؟
سرعةً لليد التى عطلتها
وعفت في غنائها أوتاركْ

***

هاك موجُ الفناء يقذفه اليأ
سُ على شاطئ السكونِ الرهيبِ
يستجيب الأصداءَ وهى تُعاني
ما يُعاني، فما لها من مجيبِ

أرى روحــــكَ الـــشحوبَ دفوفــــاً
تـــشتكى للـــسكون مِـــن ألحانـــكْ
غَنهـــا مـــن ســـماء فنِّـــك لحنـــا
فلقـــد تـــستفيقُ مـــن أحزانـــكْ

***

كــــان إنـــشادك المبـــارك فجـــرا
مـــستهلا وضـــيءَ نـــورِ الحيـــاةِ
ليـــت شـــعري، فـــأين أذوي؟ وأبنـــتْ
قـــد أقـــرت ألحـــان ذى الأغنيـــاتِ؟

***

لهفـــى مـــا أراك تبعـــثُ لحنـــاً
فـــاخبر الـــشعر مـــا دهـــى فيثـــاركْ
ســـوءة لليـــد التـــى عطلتهـــا
وعفـــت فى غنائهـــا أوتـــاركْ

شرح وتعليق[1]

الأعراف، كما فسرها المفسرون مكان بين الجنة والنار، وأطلقت هنا على شاطئ خيالى يقع وراء عالم الحياة ويشرف على عالم الموت.

بعد أن مات الشاعر، حملته آلهة الشعر على زورقها السحرى بحر الوقت وأرست به على هذا الشاطئ.

والشاعر يصف لنا كل ما رآه فى طول رحلته من عجائب الموت التى تحلم بها كل شاعرية تسلم زمامها إلى الخيال المطلق.

وعندما يصل الشاعر إلى شاطئ الأعراف، يصف لنا هذا الشاطئ ثم يروعه بحر هائج مصطخب يشرق عليه شاطئ الأعراف، فيصفه لنا هذا البحر (بحر الوقت).

ويعترض هذا البحر على صفحة الأفق، هيكل قصر خرب، به فتحات مظلمة تنساب فى خلالها مياه بحر الوقت، وتفنى فى أحشاء المجهول والعدم، هذا الهيكل الحالك هو (قبر الليالي) التى كانت تدفن أشلاءها فيه أثناء الحياة.

وبينما كان الشاعر يرعى ذلك، طلع عليه موكب فخم من زوارق سحرية يتقدمها فلك عليه خيال ملاك يعزف على قيثارته.

هذا الملاك هو الحياة، تقود عناصر الوجود من الجمال والشر.. إلخ، فى زوارقها ومر ذلك الموكب فى بحر الوقت واختفى فى غياهب هذا القصر الذى هو قبر الليالى، ثم أرخى على العالم ستار العدم والصمت.

---

(١) هذا الشرح والتعليق كتبه الهمشرى بعد انتهاء الملحمة

طائر الحب فى عاصفة الموت

عنـدما يَـصْفو عـلى الرمـل الغـدير ... فيجـفّ المـاءُ والمـوج النثـيرْ
ويُنـضّى فـوق شـطّيه الغمـيرْ[1] ... لـذبولِ أورث الحـسنَ ضَـني

***

عنـدما مـا يـسكن شـدو العنـدليبْ ... فـوق غـصن الخميلاتِ رطيـبْ
ويلـفُّ الكـون فى صـمتٍ كثيـبْ ... لـذبولِ أورث الحـسنَ ضَـني

***

عنـدما تعـدو الريـاحُ العاصـفاتْ ... داويـات فى ثنايـا العـذبات
هاويـاتٍ فـوق صـخر الابـداتْ ... لـذبولِ أورث الحـسنَ ضَـني

***

عنـدما تأفـل فى المـوت النجـومْ ... كاسـفاتٍ نورهـا الزاهـى الوسـيمْ
ويغـشّى أفقهـا ليـلٌ بهـيمْ ... لـذبولِ أورث الحـسنَ ضَـني

***

عنـدما تـذكرنى طـى القـبر روحـي ... حسنك الضّاحى فتهفو من ضريحى
لـتراكِ .. فـترى أى قبـيحِ ... لـذبول أورث الحـسنَ ضَـني

***

سـتواتيكِ كألحـانٍ شـذيهْ ... ضـمَهَّا غيهـبُ ليـلِ الأبديـة
وهـو جبَّـار يـسوق البـشريَّة ... لـذبول أورث الحـسنَ ضَـني

***

سـتغنيكِ بلحـنِ ... فـائضٍ مـن كـل فـنٍّ

يا ملاكي

---

(١) المصدر: مجلة أبوللو المجلد الأول مارس سنة ١٩٣٣/٧٥٧.
الغمير: العشب الندى

ســــــــــتراعيكِ دجاهـــــــــــا
ويناجيـــــــــــكِ هواهـــــــــــا

يا ملاكي

فاســـمعيها فى الميـــاه الهامـــسةْ بـــين أشـــجار المـــروج الناعمـــة

يا ملاكي

ســـوف تـــشكو لـــك منـــكِ مـــن تـــــجنّيك وتركـــــي

يا ملاكي

فاســـمعيها فى الأغـــانى الخَافتـــةْ والأغاريـــد الحزانـــى الـــصامته

يا ملاكي

هبـــوة[1]

عن الشاعر الانجليزى : سكيف

لا تطـــــف بالغـــــارِ يومــــــاً، لا، لا
تـــذرف الـــدمعَ، ولا تنـــدب هنـــــا
بـــل إذا كانـــــتْ لـــديكم بـــضعةٌ
مـــن جمــــالٍ، فتلفـــــت نـــحونا
إن هــــــذا قُمقمـــــــي، فى طيـــــه
هبـــوة، فـــيما مـــضت كانـــت أنـــا

(١) المصدر: الأستاذ محمد فتحى مستشارنا الثقافى السابق بلندن وقد تلا هذه الأبيات بالإذاعة فى نعيه للهمشرى بعد وفاته، وكان المستر سكيف أستاذه هو والهمشرى بكلية الآداب سنة ١٩٣٣.

إلى نوسا[1]

منك الجمالُ ومنى الحبُ يا (نَوَسَا)[2]
فعلّلى القلب، إن القلبَ قد يئسا
يا حبذا نسمة من (توحةٍ)[3] خطرتْ
أطالت النفسُ من أسبابها النَفَسا
أضُمها ضَمَّ مُشتاقٍ به خَبَلٌ
قد رام كتم هوى أحبابه فنَسَا[4]
إن تسمعى قرَعَ ناقوسٍ بقريتكم
فى مطلع الفجر يَنعَى الليلَ والغلسا
فإنه قلبى المنكود يذكركم
فهل سَمعت بقلبٍ قد غدا جَرسَا؟
وإن تألق برقٌ فى سماوتكم
فإنه من لهيب القلبِ قد قبسا

***

الروحُ إن ظمَئتْ يوماً، فحاجتها
خمرٌ سماوية فاحت بها قدسا
وأنتِ يا (توحُ) روحانيةٌ خُلقتْ
لكى ترينا عُلا الجنّاتِ مُنعكسَا

***

هذا جمالك يدعونى لأعشقَه

---

(١) المصدر مجلة أبوللو العدد الثامن من المجلد الأول أبريل سنة ١٩٣٣.

(٢) نوسا: قرية تتكئ على النيل قريبة من المنصورة واسمها الكامل نوسا البحر وكانت للهمشرى فيها قصة حب كبيرة.

(٣) الاسم المدلل للمتغزل فيها.

(٤) نسا: قصر

لكــــنَّ ثغــــركِ يــــا دنيــــاى مــــا نَبــــسَا
اللهُ يــــشهدُ أنــــى حــــين أذكــــركم
أديــــل دمعــــاً عــــلى الخــــدينِ محتــــسبا
عــــسى نــــسيم الــــصَّبا يَــــسرى فيــــسعف بــــى
قلبــــاً يمــــوت حزينــــاً فى الغــــرام.. عَــــسي
فــــإن بعثــــتِ لنــــا مــــن (توحــــةٍ) خــــبراً
فكــــم يحبــــك هــــذا القلــــب يــــا (نَوسَــــا)

فجر الحسن (1)

أيهـــــا المـــــشرق فى عليائـــــــهِ
حـــسنكَ العـــالى عـــلى الـــدنيا سَـــبانا
أنــــتَ لحـــنُ الحـــب فى الأرض تغنـــى
ذلـــك الطـــير يـــضاحيه افتتانـــا

(1) المصدر مجلة أبوللو – العدد التاسع من المجلد الأول – سنة ١٩٣٣ ص١٠٣٨.

الذاكر الناسى[1]

يـــا مـــن يغنيـــه شـــعرى ... كـــالنور فى قـــرب شـــمسِ
ومـــن يغـــارُ فـــؤادي ... منـــه عـــلى حـــب نفـــسي
ضَـــلّ الـــذى قـــال يومـــاً ... إن البعـــاد يُقَـــسِّي
صـــحيح هجـــرك يُـــضني ... وذكـــر حبـــك يُنـــسي

(١) المصدر: نفس المصدر السابق

صورتك السماوية[1]

مـــا البـــدر إلا صـــورة | لـــك يـــا وحيـــداً فى البهـــاءْ
عكـــست محاســـنها البهيَّـــةَ | حـــين واجهـــت الـــسماءْ

(١) المصدر: نفس المصدر السابق

حبك[1]

لقــــد كـــان مثـــل النــــسيم الخفـــيِّ
يُحــــسُّ ولا يرتــــشيه البـــــصرْ
فلــــيما تجافيـــتَ شـــاع الهــــوى
وأصــــبح مثـــل شــــعاع القمـــرْ

(١) المصدر : نفس المصدر السابق

قِصَرُ الخلود[1]

خلقْنـا لنلهـو فى الحيـاة بحبنـا
ونـسعدَ فى رحْـب مـن العيـش واسـعِ
ومـا كنـتَ إلا الحسن فى كـل شـائعٍ
ومـا كنـتُ إلا الحـبّ فى كـل ذائـعِ
مـلأتَ الليـالى مـن سَـناكَ وسـامةً
وأترعتهـا مـن صـبوتى بمـدامعى
صـحيفتنا فى الأرضِ خالـدةٌ بنـا
ومـن بَعـدنا تبقـى بـشدو الـسواجع
فكـم لقّنـتْ هـذى الطيـورَ أحبـةٌ
فرجّعـت الـذكرى بـأفْق المـسامعِ
وفى الـنغم التخليـد مـن غفـوة الـردى
وفى سرمـدٍ مـن عـالم الحـب شاسـعِ
ويحزننـى أن يَقْـصُرَ الخلـد دوننـا
فيـا ليـت شـعرى... هـل ستبقى إذنْ معـى؟

(١) [illegible] : نفس المصدر السابق

حياتى

كــــأن حيــــاتى غنــــوةٌ جاهليــــةٌ
شــــدَتْها الليــــالى للقــــرون بــــلا معنــــي
كــــأنى أنــــا فيهــــا شــــجًى غنائهــــا
أقــــام لهــــا ذكــــرى تُغنــــي بهــــا الأذْنــــا

الشيخوخة[1]

الحمـــــــد لله أنــــــى　　　عـــلى حداثـــة ســـــني
هرمـــت فى كـــل حيـــب　　　وشـــبت فى كـــل حـــزنِ

(١) المصدر: نفس المصدر السابق

البدلة الصفراء[1]

يــــا قطــرة مــــن نـــدى | رفـــت عــــلى زهـــرةْ
يـــــا قمـــــراً ســـــاطعاً | قـــــد لاح فى صُــــفرة

***

يـــــا لمعـــــةً ســـــطعتْ | فى الفجـــــــر مــــــن دُرَّةْ
مَكّـــــنْ محُبـــــكَ مِـــــنْ | ثغـــــركَ ذا .. مَـــــرَّةْ
دَعْنـــى عـــلى فِيـــكَ كـــى | أُطفــــئ بـــى جمــــرهْ
ففــــى رضـــــابكَ لي | يـــــا منُيتـــــى خمـــــرهُ
كـــم أشـــتهى لـــو أمـــو | تُ راشـــــفاً ثغـــــرهْ
وإن أمُـــــتْ فـــــشعا | عٌ ذابَ فى قطـــــــــرهْ
أو أننــــــى نــــــحلةٌ | ماتـــــت عــــــلى زهـــــرهْ

(١) المصدر : نفس المصدر السابق.

القمر العاشق[1]

ألم تــرَ البـدرَ مـصفرَّاً بـه مـرضٌ
كأنـه أنـا يـا دنيـاى تـشبيها
صـادته منـك لحـاظ فى سـماوته
فبـات فى لوعـةٍ منهـا يُقاسـيها
فى الأرض منهـا قلـوب النـاس شـاكية
وفى الـسماء مـلاك الليـل يبكيهـا

***

أم هـل تـرى نـوره كالـدمع منسكباً
يهمـي علـى وَجنـةِ الأزهـارِ يرويهـا
يبـث أحزانـه للـنجم ممتـثلاً
وللنجـوم قلـوبٌ مـا تواسـيها
فيالـه مـن شَـجٍ قـد راح مُـشتكيا
إلى شَـجٍ مـن همـومٍ لـيس يَـدريها

***

هـذي النفـوس إذا حانـت منيّتهـا
ففـى عيونـك سـحر سـوف يُحييهـا

(١) المصدر: نفس المصدر السابق.

نصائح الشيب[1]

نصائح الشيب تحكي ... ضياء شمس الشتاء
ما تدفئ المرء لكنْ ... إحسانها في الضياء

(١) المصدر: نفس المصدر السابق.

الحب والطبيعة [1]

ألم تَــرَ للحــب كيــف انــبرى
يــصوّر فى الكــون أبهــى الــصورْ؟
وكيــف ترقــرق منــه النــسيمُ
وكيــف ترقــق منــه القمــرْ؟
وكيــف تهــذّب منــه الحمَــامُ؟
ولم يُــرَ فى البُــوم هــذا الأثــرْ؟

(١) المصدر: نفس المصدر السابق.

أيها التائه[1]

أيهــــا التائــــه خَفّــفْ مـــن خُطــــاكْ
إن فى القـــبر فـــؤاداً مـــا ســــلاكْ
شـــيّع الأحــــلام فى رقدتــــــه
وســــلا الكــــلَّ ولم يــــذكر ســــواكْ
وإذا ناديتَـــــه مـــــن قـــبره
هـــب فى القـــبر مجيبـــاً لنــــداك
لـــيس يبغـــى أن يـــرى الجنـــة فى
(نفخـــة الـــصور) ، ولكـــن أن يـــراك
وضريحـــى بـــين أشـــجار الأراك
فتعـــال، واســـقه عـــلّى أراك
إن اتخــذت اليــوم غــيرى فى الهــوى
فإنــا لــلآن لم أعــشق ســواك
هــاتف فى المــوت يــدعونى، كــما
كــان فى الــدنيا، إلى وكــر هــواك

(١) المصدر: وردت الأبيات الأول والثانى والرابع من هذه القصيدة فى المصدر السابق ووردت القصيدة برمتها فى مجلة (الثقافة) العدد ٢٥ من السنة الأولى - ٢٠ يونيه ١٩٣٩، فى المقال للمؤلف عن الهمشرى عقب وفاته.

مملكة السحر[1]

هذا ضجيجُ الليالي ... سُدَّتْ به أذُناكا
فلستَ تسمع شكوى ... من مستهام دَعاكا
وأنت فى ظُلمة النو ... رِ لا ترى عيناكا

***

هذا مداكَ قريبٌ ... فأين منى مدَاكا؟
أكبرت وصلى دلالاً ... وأكبرتْ ذكراكا
حُبيكَ فى الأرض لكنْ ... فوق الثرى مثواكا
لكننى من غرامى ... وحيرتى فى هواكا
صوَّرتُ منكَ خيالاً ... متى أراهُ أراكا

***

لا نال قلبى مُناهُ ... إن كان قلبى سلاكا
أنت الذى تتجنى ... مُعذَّبا مُضناكا
فما لقيتُكَ إلا ... كما التقى جَفناكا

***

يا ذاهلاً عن غرامى ... تدللاً .. رُحماكا
خلفتَ جسماً طريحاً ... لا يستطيع حراكا
لكنه من هواه ... يطيرُ حين يراكا
ملأت قلبىَ حُبًّا ... ولم أعد أهواكا
فلو طلبت مزيداً ... لما أصبتَ مُناكا

***

(١) المصدر: مجلة أبوللو – العدد العاشر من المجلد الأول ـ يونيه سنة ١٩٣٣ ص ١١٤٠

يـــا واحـــداً فى عُـــلاه
تحيـــــــةً فى عُلاكـــــا

لقـــد ترقّقْـــتَ حتـــى
شـــابهتَ منـــى هواكـــا

فلـــو تحوَّلـــتَ نـــوراً
لكـــان طـــرْفى احتواكـــا

ولـــو تحوّلـــتَ خمـــراً
لكـــان ثغـــرى احتـــساكا

ولـــو تحّولـــتَ روضـــاً
وقـــد نـــشرت شـــذاكا

لكنـــتُ فيـــه فراشـــاً
أرفّ حـــول ســـناكا

وكنـــتُ قـــضيّتُ عُمـــرى
أحـــسو رحيـــقَ جَناكـــا

إذا.....

عن الشاعر رديارد كبلنج(١)

نظم كبلنج هذه القصيدة ينصح بها ابنه، ولكن الموت لم يمهل هذا الابن فاستأثر به، وأصبحت هذه القصيدة نصيحة إلى أبناء الإمبراطورية البريطانية كلهم.

إذا اسطعتَ ألا تفقد العقلَ والحِجا
وظلْت على رغم الحوادث حازما
وقد ضلَّ كلّ الناسِ حولك وانتفوا
على كل ما قد كان منك لوائها
إذا أنتَ قد صَدقتْ نَفسكَ بينما
ظنون الورى ترتاب فى ذلك الصدقِ
وبالرغم من هذى الشكوك عَذرتهم
وقابلتَ هذا الشكَّ باللينِ والرفقِ

***

إذا اسطعتَ أن تَلقى انتظارك دائما
صبوراً ولم تملل عذاب الترقبِ
إذا اسطعتَ أن تبقى صدوقا مُكرما
إذا كذبتك الناس لم تتكذبِ

***

إذا بغضتكَ الناسُ وازداد ضِغنهمْ
عليكَ فلم تحقد وأنت رحيمُ
وبالرغم لم تظهر وقورا وطيبا
فإنك فى كل الأمور عليم

(١) المصدر: عن لوحة محفوظة عند الدكتور إبراهيم رشاد، الذى أوحى إلى الشاعر بترجمة القصيدة سنة ١٩٣٥.

بنـــيَّ إذا مـــا اســـطعتَ أن تتخـــيلا
ولم تـــكُ عبـــدا يُكـــبُر الـــوهَم والحلـــما
بنـــى إذا مـــا اســـطعتَ أن تتفكـــرا
ولم تجعـــل الأفكـــار مقـــصدك الأســـمى

***

إذا أنـــت لاقيـــتَ انتـــصارك هادئـــا
ولم تتـــذمر فى هزيمتـــك الكُـــبرى
وصـــاحبتَ ذيـــنَ العـــاهلين كـــما هـــما
سواســـية لم تَفتقـــدْ معهـــما أمـــرا
إذا اســـطعت أن تـــصغى إلى الحـــق قلتـــه
ليـــصبح فى هـــذا الوجـــود ضـــياءَ
يـــحوره الغوغـــاء إفكـــاً وضُـــلةً
ليغـــدو شِـــباكاً تُوقـــعُ البـــسطاءَ

***

إذا اســـطعتَ أن تلقـــى الـــذى قـــد بنيتـــه
وأنفقـــتَ فيـــه العمـــرَ وهـــو مهـــدمُ
وعـــدتَ إليـــه مـــن جديـــدٍ تقيمـــهُ
بمعولـــــك البـــالى ولا تتـــبرمُ

***

بنـــيَّ إذا جمّعـــتَ مالـــكَ كلـــه
وكوَّمـــتَ مـــا حـــصَلتهَ مـــن مكاســـب
وغـــامرتَ فى أمـــرٍ مَـــروم مخـــاطراً
بمَالـــكَ هـــذا كلـــه غـــيرَ حَاســـبِ

***

ولكـــن خـــسرتَ القـــدحَ خُـــسرانَ جَاهـــد
فعـــدت لتبنـــى بادئـــاً غـــير يـــائسِ

ولم تـــك بَكَّـــاءً عــــلى مـــا فقدتـــهُ
ولم تـــــك شَـــكَّاءً ولم تتـــــنفَسِ

***

إذا أنـــتَ أجهـــدتَ الفـــؤادَ مـــع العـــدا
لتمـــضى فى مَـــسعاكَ والغُـــنمُ ســـانحُ
وقـــد خـــارت الأعـــصاب منـــك ولم تعـــد
بهـــا فـــضلة تطـــوى عليهـــا الجـــوانحُ

***

مـــضيتَ بقلـــبٍ واهـــن الخَفـــقِ خَـــائر
تكـــرَّ وجـــسم كـــاد يُـــصبح هالكـــا
ولم تبـــق مـــن هـــذى القـــوى غـــير غزمـــةٍ
تـــصبح: ألا سرْ جاهـــداً فى نـــضالكا

***

إذا أنـــتَ خالطـــتَ الجماهـــيرَ صَـــائناً
فـــضائلك العليـــا فلـــم تتلـــوثِ
إذا أنـــت ســـايرتَ الملـــوكَ مُحافظـــاً
لطابعـــك الـــشعبى كالمُتـــشبثِ

***

إذا اســـطعت أن تُقـــصى عـــدوك عـــن أذى
وتـــأمنَ حتـــى صـــباحا لـــك وافيـــا
إذا أنـــت قـــدّرتَ الرجـــالَ جمـــيعهمْ
ولم تـــك فى هـــذا الحـــساب مُغاليـــا

***

بنـــى إذا جلـــستَ كـــل دقيقـــةٍ
مـــن الوقـــت تمـــضي، لـــيس تـــرحم، عاتيـــه

مــــلأت بهـــا كـــل الثـــوانى ولم تكـــن
لتتركهـــا تمـــضى سُـــدىً كـــل ثانيـــه

***

ســــتحكم فى الـــدنيا،بنىَّ ، جمَيعـــا
وتـــصبح للـــدنيا العريـــضة مالكـــا
وأعظـــم مـــن هـــذين شـــأنا ســـتغتدي
بهـــا رجـــلاً فـــوق الرجـــال لـــذلكا

أغنية الفلاح الإيرلندى لبقرته[1]

أبقار إيرلندا – وتسمى بأبقار كيرى – نسبة إلى مديرية كيرى بجنوب أيرلندا، متوسطة الحجم، ناعمة الملمس، سوداء اللون، لامعة جميلة المنظر، وادعة الأخلاق، متيقظة خفيفة الحركة، يدل شكلها على كرم أصلها وطيب عنصرها.

تتغذى هذه الأبقار عادة على مستوحش الكلأ ومستأسد النبت، وتعتبر مصدر ثروة كبيرة للفلاح الايرلندي، ويطلقون عليها (البقر الاقتصادي)، نظرا لأن من خصائصها أنها تدر لبنا دسما كثيرا، ولأن لحمها صالح للغذاء، رغم أنها لا تكلف الفلاح كثيرا، إذ أن نفقاتها قليلة جداً.

ويبلغ مقدار ما تنتجه البقرة الواحدة من اللبن كل عام حوالى ٦٠٠ جالون[2] يستخرج منها ما يقرب ٤ فى المائة قشدة.

يـــا ضـــاربا فى ربـــوع الريـــفِ مُغتربـــا
إن جئــتَ (مونــسترا) أو جئــت (كونتــا)[3]
فاســأل هُنــاكَ رعــاةَ الريــف عــن بقــرٍ
يكـــاد يـــشبهـا .. سَــلْهمْ كـــما شـــئتَا

***

هيهـــات تعثـــر فى الـــدنيا عـــلى أَحـــدٍ
يُربـــكَ واحـــدةً فى الحُـــسن تحكيهـــا

---

(١) المصدر: مجلة التعاون العدد الثانى عشر من السنة السابعة ديسمبر ١٩٣٥ ص ٧١٠ وقد ورد تحت عنوان، (نقلها إلى الشعر العربى حضرة محمد أفندى المهمشري) مما يشير إلى أن القصيدة مترجمة ويبدو أنها من الشعر الايرلندى وأغلب ظننا أنها للشاعر جورج راسل لأنها تمثل روحه الهائمة بدقائق الريف الايرلندي.

(٢) الجالون هو مكيال انجليزى يعادل أربعة لترات ونصف تقريبا.

(١) تنقسم ايرلندا إلى أربع مقاطعات، فى كل منها عدة مديريات، وهاتان بعضها.

يـــا حُـــسنها وهـــى ترعـــى فى خمائلهـــا
(أبقـــار كـــيرى) وتلهـــو فى مراعيهـــا

***

وإن تهـــادت إلى الأســـواق تائهـــة
معروضـــة الحـــسن، منهـــا يـــخجل البقـــرُ
يـــشدو لهـــا شُـــعراء الحـــى قاطبـــةً
ترنيمـــة الحـــسن والفَـــلاحُ يفتخـــرُ

***

هنـــاك ترجـــو العـــذارى الغيـــد لـــو رَبَتَـــت
حريـــر معطفهـــا فى رقـــة الآســـى
الكـــل يمـــدحها، لا بـــل يُلاطفهـــا
والمـــل يـــدعونها (حيّويـــة النـــاسِ)

***

وثـــم أبـــيضُ فى الأبقـــار مُختلـــفٌ
أو أحمـــر نـــافر الأخـــلاقِ خـــوّارٌ
لكـــن أبقـــار كـــيرى فى وداعتهـــا
هيهـــات تـــشبها فى اللطـــف أبقـــارُ

***

أحـــرى بألبانهـــا أن تغتـــدى أكـــلا
يَطيـــبُ معَذبـــهُ الغـــرَّ الـــسلاطينا
أحـــرى بهـــا تُغـــذى كـــلَّ مـــدرع
مستبـــسل فى الـــوغى يَغـــشى الميادينـــا(1)

***

قولـــوا لمـــن يكتـــب التـــاريخ مجهـــدا
أبقـــار كـــيرى عظـــام الفـــضل والـــشانِ

(1) الشعب الايرلندى شعب حربى اشتهر بأبطاله وفرسانه فى ميادين القتال.

ضُـــمَّ اســـمها – دون لأيٍ – فى الخلــود إلى

***

(جــدار طــروادة[1] أو كلــب أوســيان[2]
وأنــتَ يــا أيهــا الفنــان، راســمها
فى ظـــل عوســـجةٍ فى المـــرج لفّـــاء
صـــوِّر لنـــا هـــذه الأبقـــار راعيـــةً
خُـــضر الأعاشـــيبِ فى أكنـــاف أفيـــاء

(١) يحكى أن الإغريق لما أجهدهم حصان مدينة طروادة مدة عشر سنوات على غير طائل، أجمعوا أمرهم على أن يأخذوا المدينة بالخديعة، بعد أن عجزوا عن أخذها بالقوة، فتظاهروا بأنهم يريدون ترك المدينة مقدمين قربانا للآلهة عن خطيئتهم لما أقدموا عليه من محاولة فتح المدينة، وعلى هذا أقاموا جوادا خشبيا ضخما خبأوا فيه جندا محاربين، وانصرفوا، وظن أهل طروادة أن الإغريق نزحوا عن المكان تاركين هذا الجواد ضمن ما تركوه فأدخلوه داخل أسوار المدينة، ولما جن الظلام تمكن الجنود المختبئون فيه من فتح أبواب المدينة لجيوشهم فدخلتها وفتحتها.

(٢) أوسيان: هو بطل إيرلندى أسطورى من أبطال القرن الثالث بعد الميلاد، وقد جاء ذكره فى الأدب الكلتي، وكان له كلب سلوقى لازمه فى حروبه وفى صيده، واشتهر معه.

أغنية الفلاح المصرى لجاموسته الصغيرة المحبوبة

عندما طرقت أيدى الصباح الذهبية أبواب القرية، واكتظت الطرق بالحركة والحياة اليومية، وسارت قطعان الماشية فى الدروب الخضراء تشق الضباب المشبع بالضياء وتشم الهواء المعطر العليل، وخلفها الفلاحون مرحين فرحين بالصباح، تهلل شيوخهم بالتكبير، وتمتلئ أفواههم بالتسابيح، وتغنى فتياتهم أغانى الربيع، ويرون ابتسامته فى السماء، وقبلته فى الماء، وتهتف عليهم الطيور الصداحة من فوق الغصون، ترتل من كتاب الحب مزامير البساطة والإيمان.

رأى الشاعر الجاموسة تسير بين هذه الكائنات يقودها الفلاح فخورا فى رفق ولين، ويغنى لها ممتدحا فضلها، شاكرا طيب صنيعها، فأوحى ذلك إليه أن ينظم أنشودة ريفية يتغنى بها الفلاح إلى الجاموسة التى تعتبر صديقته الوفية المطيعة وزميلته فى الكفاح.

هتَّافةَ الصُّبحِ، إن الفجرَ قد هَتفَا
والصبح يكشِفُ عن لألائه السُّجفا
والشمس تُرسل للدنيا تحيتَها
وتبتغى من ذُرى الأشجار مُشترفَا

***

هذى الرعاة تغنى الصبحَ فى بهج
والحقل ينشر منه فى الضحى بدعًا
قومى املأى الصُبحَ صوتا منكِ يبُهجنا
يا فتنة الصبح إن الصبحَ قد طلعا

***

قد جُبتُ كلَّ بِقاعِ القُطر مُغترِباً
من ثغَرْ دمياط حتى سفح أسوانِ
علِّى أرى شبَهًا يُحكيكِ فى دَعةِ

أو خفـــةٍ أو جمــالٍ مِنــكِ فَتــانِ
لم ألــق غــيركِ يــا جاموســتى أبــداً
وحــشا عــلى القريــة الحــسناء يــسبينا
مــن أى ينبــوع حــسنٍ تــستقى وهَجَــاً
عينــاكِ؟ هــل ســحر هــاروت بوادينــا؟

***

يــا ســحر خَطــوكِ إذ تمــشين تابعــةً
فى الــصبح أمــكِ نــحو الحقــل فى مَــرحِ
تتلــو عليــك فتــاة الريــف غنوتهــا
وتعــبر القنــوات الخــضر فى مَــرحِ

***

إذا ســمعتُك طــاف الريــف مطــردا
أمــام عينــي فيلقــاني وألقــاهُ
أرى الحقــولَ وأرعــى الريــف مــن أمــم
شــمسٌ وظــلّ وأشــجارٌ وأمــواهُ
أحــرى بزهــر الربــا أن يغتــدى أكــلاً
وأن يكــون عــلى الريحــان مرعــاكِ
أدعــوك جاموســتي؟ لا ... أنــت صــاحبتي
بــل أنــتِ فــاتنتي .. يــا حُــسن مــرآكِ

***

عــلى حليبــكِ غــذى الريــف فتيتــه
فأصــبحوا فيــه أبطــالا صــناديدا
مــن كــل ذى همــةٍ بــالروع مــضطلع
حــازت حــصيدته فخــرا وتمجيــدا

***

لــو أن ريــشة فى الفــن عاليــة
تهتــز بــالوحي فى جــو التــصاوير

إذن رســـــمتك فى مخــــضلة أبــــدا
فيحـــاء تـــضحين فى ظــــل النـــواعير[1]
أو فـــوق ســـهلٍ مـــن الأهـــرام مُنـــبطح
أو فى ربـــا الخُلـــدِ فى فـــردوس إيـــزيسِ[2]
تـــرعين ســـائمةً، تمـــشين تائهـــة
تغـــدين ناعـــسة فى جنـــب آبـــيسِ[3]

(١) النواعير: السواقى

(٢) آلهة من آلهة المصريين القدماء، وكانوا يسمونها أيضا سايت وتسيت، وهى أخت أوزوريس وأم حورس، وبعد أن كانت فى أول الأمر آلهة محلية فى الدلتا، أصبحت فيما بعد ثالوثا مع أوزوريس وحورس. وتعتبر ايزيس فى عرف قدماء المصريين آلهة الطب والزواج وزراعة القمح وغير ذلك، وهى رمز المرأة المصرية الأولى، وفى العهد الإغريقى والرومانى انتشرت عبادتها فى اليونان وإيطاليا وبعض المقاطعات فى فرنسا، وعندئذ كانت تعتبر رمزا للأنوثة والولادة ورمزا للطبيعة. أما هيكلها فى (فيلة) فكان يقدس إلى عهد جيستنيان فى الدولة الرومانية.

(٣) العجل أبيس من معبودات قدماء المصريين، وله ذكر خالد فى تسابيحهم وصلواتهم.

القرية المهجورة[1]

أبيات مختارة من قصيدة (القرية المهجورة) للشاعر الإنجليزى أوليفر جولد سميث

وآسـوأتاه لأرض أصبحتْ غَـنَمًا
ترعـاه عاجلة الأسـقام والنـوبِ
تـزداد ثروتهـا والقـوم تخـوتهم
تهـوى فتوتهـا خـوارة العَـصبِ
أهـل الإمـارة مـن صِـيدٍ غطَارفـةٍ
أو مـن ذوى الجـاه والألقـاب والرُتـبِ
أحـوالهم أبـدا رهـنٌ لمُنْقلـبِ
تَحـول مـن زاهـر يومـا إلى عَطـبِ
نفخـة مـن ذوى السلطان تخلفهـم
كنفخـةٍ خَلقّهـم قبـل فى الـنِعم
لكـن أهـل القـرى الأبطـال كلهـم
فخـر الـبلاد الـشدادَ العَـزمِ والهمـمِ
إذا همـو ذهبـوا وانثـل صرحهُـم
وغـالهم غائـلُ الأرزاء والـسقمِ
فـلا مـرَد لهـم... لا شيء يخلفهـم
مـن بعـدهم . كـل شيء بـاتَ للعَـدمِ

(١) المصدر : عن نسخة خطية عند الدكتور إبراهيم رشاد سنة ١٩٣٦.

الـربيـع[1]

شـــمسٌ تفـــيضُ عـــلى أرضٍ تُباهيهـــا
جـــداولا مـــن عيـــون النـــور تُرويهـــا
يـــا حبـــذا شـــمسُ آذارٍ وبهجتهـــا
وطـــول أنفاســـها[2] والحـــب يُوهيهـــا[3]
تـــرِف عـــلى جبهـــة أحـــلى أمانيهـــا
كأنهـــا النـــور، موســـيقى لهـــا أذن
بـــين القلـــوب تغنيهـــا فتـــضحيها
هـــو الربيـــع إذا هَبـــتْ شـــمائلهُ
هـــزَّ البـــسيطة دانيهـــا وقاصـــيها
فـــصلٌ جميـــلٌ مـــن الجنـــاتِ مَـــشرقه
تبـــدى الطبيعـــة فيـــه كـــل مـــا فيهـــا
كـــأن أيامـــه والـــسحر يطلقهـــا[4]
أحـــلام حـــسناء طافـــتْ فى لياليهـــا[5]
كـــأنما النـــور فـــوق العُـــشبِ مَـــسرحَها
والزهـــرُ أسرابهـــا رفّـــتْ عـــلى فيهـــا[6]

***

زار الحقـــول وأحيـــا كـــلَ ناميـــةٍ
فتاهـــت الأرضُ فى أبهـــى غواليهـــا

---

(١) المصدر: مجلة التعاون العدد الثالث من السنة الثامنة، مارس سنة ١٩٣٦ ص٢٥٢.

(٢) كناية عن طول النهار فى الربيع.

(٣) كناية عن خفوات الأشعة ورقتها.

(٤) كان الربيع ساحر يطلق من جرابه أيام الربيع الجميلة.

(٥) كان الأرض فى الربيع حسناء متبرجة، وكان الأيام أحلام هذه الحسناء، فهى جميلة مثلها.

(٦) معنى هذا البيت يتمم معنى البيت السابق والمقصود أن آفاق النور الرفافة فوق عشب الأرض يتخللها الزهر مرتعشا فى أثنائها تحكى مسرح هذه الأحلام التى ترفرف هفافة فوق ثغر الحسناء.

وصــبَّ فى الزهــر أعطــارا تفــوح بهــا
ولقـــنَّ الطـــيرَ أنغامـــاً يُغنيهـــا
فـــالجو بحـــرٌ مـــن الألحـــان مُـــصطفقٌ
غَـــشّى الحـــدائقَ حتـــى كـــاد يُطميهـــا
والـــريح هامـــسةٌ تـــسري مُولهـــةً
تـشكو هـوًى ظـل طـولَ الفـصَلِ يُـضنيها[1]
كأنهـــا فى ثنايـــا النـــور خافتـــة
شـــكوى محـــب يكـــاد الـــشوقُ يفْنيهـــا[2]

***

وتحـــسب الزهـــر والأنـــداء تُـــضحكه[3]
مـــداهنا[4] ســـطعت فيـــه لآليهـــا
تـــسبيكَ حُـــسنا، فـــان أهويـــت تَقطفهـــا
مَـــدتْ لهـــا الـــشمس أيليهـــا لتُخفيهـــا[5]
والبرتقـــال نـــواقيسٌ مُذهبـــةٌ
النحـــلُ ينقـــسها والـــريحُ تحكيهـــا
تجيـــب شـــدو غـــدير، مـــاؤهُ سَـــلسٌ
يجـــرى عـــلى لؤلـــؤ الحـــصباء يبريهـــا
فى روضـــةٍ صـــدحت أطيارهـــا وضَـــحتْ

(١) أى كان الريح لرقتها تحكى عاشقا يضنيه الحب.

(٢) أو أن هذه الريح مثل شكوى عاشق أخذ الحب عليه كل مذاهبه فكادت تفنى هذه الشكاوى من اضمحلاله وفنائه فى حبه.

(٣) الأنداء جمع ندى، وهو قطرات الماء التى تبلل الأزهار فى الصباح والمساء. تضحكه أى تجعله يضحك، وذلك لأن الندى يلمع عادة فى الأزهار فيخيل للرائى أن هذه الأزهار تضحك.

(٤) المداهن جمع مدهن، وهو الوعاء الذى تضع فيه الحسناء أدوات زينتها والمعنى أن هذه الأزهار والندى يلمع فى داخلها تشبه هذه المداهن تلمع فيها الحلى والجواهر.

(٥) هذا الندى فوق الأزهار مثل اللآلي، تغريك وتدفعك إلى قطفها وسرقتها فإن مددت يدك إليها مدت الشمس يدا خفية وخبأت هذه اللآلىء وهذا كناية عن عملية تبخير أشعة الشمس لندى الصباح.

أزهارُهـــا حـــين جادتهـــا عواديهـــا
تـــوحى إلى العـــين مـــن أنوارهـــا صـــورا
شـــتى المنـــاظر فـــوق الأرض توحيهـــا
طعـــن فيهـــا، فلـــو أرســـت أشـــعتها
عـــلى خـــلاء، أرتهـــا فتنـــة فيهـــا

***

فقُـــمْ بنـــا نجـــتلى نـــور الربيـــع عـــلى (الـــ
ـــسنبلاوين) ونلهـــو فى ضـــواحيها
ونرســـل الـــروح تـــسمو نـــحو فاتنهـــا
خلـــصانة خلعـــتْ عنهـــا أمانيهـــا
فطالمـــا عَـــذبَتها مـــن تـــدللها
وطالمـــا أرهقتهـــا مـــن تجنيهـــا
وتلـــك لـــو كنـــت تـــدرى، خـــير مرحلـــةٍ
للأنجـــمِ الزُّهـــرِ تهـــدينا بزاهيهـــا

أغنية الفلاح للجاموسة الراعية[1]

(الوقت فى الصباح، الزمن الربيع، مروج واسعة تخضر فى أشعة الشمس اخضرارا مشعشع، أطيار تزقزق فوق أشجار السنط والتوت والجميز، يسمع ساقية عن بعد يكاد صوتها يتلاشى فى الفضاء البعيد. يرى داع مقبلا وأمامه قطيع من الماشية تتقدمه جاموسة صغيرة فاتنة تملأ الجو (بنعيرها) الموسيقى المتقطع النغمات، الهادئ النبرات، المفاجئ الانتظار المنتظرة المفاجأة .. الراعى .. يربت الجاموسة الصغيرة ويغنى لها.

تـــنقلى .. تـــنقلي مـــن جـــدولٍ لجـــدَولِ
جاموســتي يــا ســاحرة جــوبي الحقــول النــاضرة

تنقلى تنقلي

يــشدو لــك العــصفورُ ويهمــــس الغـــديرُ

تنقلى تنقلي

خطوتـــك الحـــسناء يمـــشى بهـــا الرجـــاء

تنقلى تنقلي

تـــنقلى فى الريـــفِ ويـــالمروج طـــوفى

تنقلى تنقلي

جـــوبى مـــع الـــصباحِ يـــا منيـــة الفـــلاحِ
يـــا ظبيـــة البطـــاحِ تـــنقلى ... تـــنقلَى

من جدولٍ لجدولِ

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد الرابع من السنة الثامنة أبريل سنة ١٩٣٦ – ص ٣٤٨.

هـــذا هـــو الربيـــعُ وجـــــوه البـــــديعُ

تنقلى ... تنقلي

وفى لظـــى الخريـــفِ فى حوشـــك الوريـــفِ
وفى ظـــلال اللـــوفِ بجانـــب الـــشادوفِ

نامى هناك نامي

وإن أتـــى الظـــلامُ ورَجـــعَ الأنـــامُ
يركبـــك الغـــلامُ إلى فنـــاء الـــدارِ

تنقلى .... تنقلي

يبعد الراعى والقطيع ويختفيان وراء التلال البعيدة، ويخف الصوت رويدا رويدا. وأخيراً يتلاشى فى الفضاء المنور كأنه أحلام زرقاء تتهادى مع النسيم وهو يعتنق حقول البرسيم.

الأغنية المسائية[1]
أو
عودة الراعى

عندما أرخى الليل سدوله على القرية ورجعت كل سائمة، كان الراعى يسير فى ناحية الأفق متهاديا وقد شبك عصاه بيديه خلف عنقه يهدى قطيع عنمه أن يضل الطريق، وكان يحلم بلقاء زوجته التى تنتظره على باب المنزل لتقبله قبلة مسائية ترفه عنه ما لاقاه أثناء النهار من تعب، وبينما هو ذاهل فى هذا الحلم، إذا به يسمع من بعيد – فى الوهم – صوتا جميلا يغنى هذه الأنشودة.

صوت الهاتف:

هـــا هـــو الليـــل مُقبـــلٌ بتهـــادى
فارســـاً يمتطـــى ظهـــور الـــتلالِ
ونـــسيم المـــاء يـــسرق عطـــرا
مـــن ريـــاض ســـحيقة فى الخيـــالِ

***

صـــور المغـــرب الـــذكُى رُباهـــا
فهـــى تحكـــى مدينـــة الأحـــلام
نفحـــت فى الخيـــال منهـــا زهـــور
(غـــير منظـــورة) مـــن الأوهـــام

***

ووراء الـــسياج زهـــرة فُـــلِ
غازلتهـــا أشـــعةٌ فى المـــساءَ
نـــشر النـــسم سرهـــا وهـــو يـــسري

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد السادس من السنة الثامنة يونيه ١٩٣٦ ص ٥٢٦.

في ريـــاض مطلولـــة الأفيـــاء

***

ودهـــاليز مـــن ظـــلالٍ ونـــورٍ
صـــورت ســحرها يـــد الأطيـــافِ
عـــشش الطـــائر المـــسائيُّ[1] فيهـــا
ســـاكبا لحَنَـــه الحنـــون الـــصافي

***

إن هـــذى الأزهـــار تحلـــم فى الليـــ
ـــل، وعطـــر النـــارنج خلـــف الـــسياجِ
وخريـــر الميـــاه والـــشفق الـــسحـ
ـــر، وهمـــسا مـــن النـــسيم الـــساجى

***

والنـــدى والظـــلال تـــنعس فى المـــساء
وهـــذا الـــشعاع خلـــف الغـــمام
بعـــض ألحانـــه تـــأنَّق فيهـــا
فـــتراءت فى هـــذه الأجـــسام

وصمت الهاتف .. وإذا بالليل ترف فيه أحلام هفافة زاهية، وإذا بالأرغول – أرغول الراعى – يرسل هذه السيراناد[2] يناجى بها زوجته.

كـــم مـــشينا بـــين الحقـــول طـــويلا
نـــشتكى الـــشوقَ والهـــوَى والغرامـــا
وإذا مـــا تعبـــت نجلـــس حينـــا
فـــوق شـــط الغـــديرِ نـــشكو الـــسقاما

(١) الكروان

(٢) السيراناد : هى أغنية شعرية يغنيها الشاعر العاشق على نغم الفيثار تحت نافذة حبيبته فى ليلة قمرية.

تحـــت تعريـــشة مـــن الكـــرم نرعـــى
قمـــر الليـــالى فى جـــلال الـــسكون
وخريـــر الميـــاه فـــاض غنـــاء
مثـــل قلبـــى يُهـــدى إليـــك حنينـــي

***

والنـــسيم العليـــل يعبـــقُ عطـــرا
يتهـــادى فى غـــيرةٍ مـــن دلالـــك
ونجـــوم المـــساء تحنـــو علينـــا
بـــشُعاع يحكـــى شـــعاع جمالـــكْ

***

قلـــت: غنـــى ففـــى غنائـــك لحـــنٌ
ســـوف تـــصغى إلى صـــداه الـــسماءُ
قلـــت: إن الـــشجون تمـــلأ قلبـــى
وحـــرام عـــلى الـــشجون الغنـــاءُ

***

وســـكتنا حينـــا وغـــشى علينـــا
فى ســـكون الظـــلال صـــمتٌ طويـــلُ
وانتهينـــا والبُـــوم تنعـــبُ فى الليـــ
ـــل وصـــوت الـــذئاب فيـــه مهـــولُ

***

فقطعنـــا حبـــلَ الـــسكون، بـــصوتٍ
أبـــدى مـــازال يمـــلأ أذني
قلـــتُ هيـــا قـــومي، فـــإن فـــؤادي
يـــا حيـــاتى يهـــدهُ طـــول حزنـــى

***

قلـــتُ أخـــشى الفـــراق. قُلـــتِ تـــشجع

سوف أطوى على هواكَ الليالي
قلت أخشى الزمان، قَلتِ ضلالٌ
سوف يبلى والحب ليس ببالِ

***

حبنا كان قبل خَلْق الليالي
وسيبقى بعد انقضاء الزمان
سوف أهدى إليكِ فى النور شوقى
وغرامى ولوعتى وحناني

***

والتففنا معا إلى الغرب نَرعى
عالما من غمائم وضياء
وغصونا كأنها شرفات
تاه فى بهوها رفيف الغناء

***

قلتِ ما الكون؟ قلت يشبه عندى
بعض ما فى الخيال من أحلامكْ
قُلتِ ما الليل؟ قلتُ يشبه عندى
بعض ما فى الفؤاد من آلامكْ

***

قُلتِ والنور؟ قُلتُ سحر جبينكْ
قُلتِ ما النسم؟ قُلت طيفُ خيالكْ
وغناء الطيور من تلحينكْ
إن سحر الحياة سحرُ جمالكْ

***

أنتِ لحنٌ مستعذبٌ عُلويٌ
قد تهادى من عالمٍ نوراني
سمعتْ وقعَه السماويَّ روحي

فأفاقـــــت فى معبـــــد الأحـــــزانِ

***

أنـــت حلـــمٌ منـــوّرٌ ذهبـــىٌّ
طـــاف فى أفـــقِ عَـــالمِ مـــسحورِ
وتـــجلى عـــلى غياهـــبِ روحـــي
بجنـــاحٍ مـــن الـــضياء البـــشيرِ

***

أنـــتِ عِطـــرٌ مُجَـــنحٌ شـــفقىٌّ
فـــأوح الجـــرح فى همـــود الـــذهول
قـــد سرى فى الخيـــالِ طيـــب شـــذاهُ
مـــن زهـــورٍ فى شـــاطئ مجهـــول

***

أنـــت يـــا زوجتـــى العزيـــزة ظـــلٌ
مـــستحب فى ربـــوة الأحـــلامِ
غمـــرَ الـــروح فى ســـكينتها الـــسحر
فتاهـــت فى عـــالم الآلامِ

إلى القمر [1]

عن الشاعر الانجليزى بيرسى بيش شلى

أشباحبٌ أنتَ من هَمٍ وتفكيرِ؟
وساهمٌ أنتَ من ضنكٍ وتكديرِ؟
إن رحتَ ترقى سماء لا أليفَ بها
كما يواسيك فى ترحالكَ النورى
تسير بين نجوم ليس يؤنسها
عمر ومَسراكَ فى هَذْيِ الدياجير
لم تلقَ عينك ما يغرى انتباهتها
ولم تجد فى سراها أي تغيير

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد العاشر من السنة الثامنة، أكتوبر ١٩٣٦ – ص ٩٨٦.

إلى الفراش الأصفر[1]

يــــا طيـــائراً لا يكـــفُّ — هــل أنــت نجــمٌ يــرفُّ؟
أم أنــت خطفــة نُــورٍ — أم أنــت قلــبٌ يخــفُّ؟

***

تطــيرُ نــدباً طروبـــاً — فــوق الزهــور تــدفُّ
شَــابهتَنى فى شــبابي — بــل أن جــسمي أخــفُّ
قــد كــان ريــشُ جناحي — مــن عَــسجدٍ يُستــشفُّ
وكنــتُ بالــدهر دومــاً — مُـــستهزئاً أســتخفُّ
حتــى لقَيــتُ شــديداً — مــن الليــالى يــشفُّ
قــد شــابَ قلبــي، فنفــسي — عــن الــسرور تعَــفُّ
وأصــبح الحــزنُ حــولي — مــن كــلِ جنــبٍ يحُــفُّ
وســوف يــذبلُ قلبــي — غــداً ودمعــى يجُــفُّ

(١) المصدر: مجلة التعاون - العدد الثالث من السنة التاسعة مارس ١٩٣٧ - ص ٣٤٢.

طلوع الشمس وغروبها[1]

طَلعــــتْ ذكـــــاء[2] كأنهـــا فى نورهـــا
كــــأسٌ يُـــشيعهُ هـــوى الأنفـــاسِ
مـــا زال يرقـــى صـــاعداً مُتهاديـــاً
حتـــى هـــوى فطغـــى عـــلى الأغـــراسِ
وكــــأن أزهـــارَ الطبيعـــة كُلهـــا
مـــن حولـــهِ فى حـــسرة الجُـــلاسِ

(١) المصدر: مجلة التعاون ـ العدد الخامس من السنة التاسعة مايو ١٩٣٧ ـ ص ٦٠٥.

(٢) ذكاء: الشمس.

نواقيس المساء [1]

عن الشاعر الإنجليزى توماس مور

نــــــواقيس المــــــساء، ومـــــا أحـــــيلى
إذا طنـــــــت نـــــــواقيس المـــــــساء
فكـــــم مـــــن قـــــصةٍ قـــــد أنـــــشدْتها
وتنـــــشد ... بعـــــدَ حَينـــــى والفنـــــاء

***

ســـــيبقى لحنهـــــا الـــــداوي... سَـــــيبقي
بجُلجـــــلُ كـــــل يـــــومٍ فى الفـــــضاء
ويَعـــــبرُ هـــــذه الوهـــــدَات غَـــــيرى

مـــــن الـــــشعراء ركـــــب فى غنـــــاء
يُرتـــــل مَـــــدحكِ العـــــالى ويـــــشدو
يـــــسحركِ يـــــا نـــــواقيس المـــــساء

(١) المصدر: مجلة التعاون - العدد العاشر من السنة التاسعة، ديسمبر سنة ١٩٣٧ - ص ١٤٦٤.

إلى شجرة الليمون[1]

شجرة الليمون من أجمل الأشجار وأزهاها وذلك للخضرة العميقة التى تشيع فى أوراقها، ولها نوار أبيض ناصع البياض تفوح منه رائحة رقيقة لطيفة تضمخ كل الجو الذى تنشأ فيه، ويزرع شجر الليمون فى كثير من حدائق الريف، وهذه الأبيات الأربعة تحية إلى هذه الشجرة الجميلة الحالمة.

قد فاح عطرك فى الفضاء كأنه
سحرىٌّ لحن طاف قرب نُعاسِ
هو روح موسيقى سَرْت فى دوحة
من بيعةٍ[2] سحرية الأجراسِ
وتلألأت فوق الصباح عرائسٌ
تساقطتْ نفّاحة الأنفاس
هبطت بروحى فى ضرام خيالها
أرض السلام وخدّرتْ إحساسي

---

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد العاشر من السنة التاسعة، ديسمبر سنة ١٩٣٧ – ص ١٤٦٣.

(٢) البيعة: الكنيسة

العــودة[1]

(١)

تبين هذه القصيدة كيف أن المدن تفسد الذوق وتغير من نفسية الريفى فينكر ما كان يألفه من معاهد صباه ومغانى طفولته فى قريته.

لقــد رنقــتْ[2] عــين النهــار وأســدلتْ
ضــفائرها فــوق المــروج الــدياجرُ
وقــد خــرج الخُفّــاش يهمــسُ فى الــدُجى
ودَبــتْ عــلى الــشط الهــوامُ النــوافرُ[3]
وطــارت مــن الجميــز تــصرخ بومــة
عــلى صــوت هِــرٍ فى الــدجى يتــشاجرُ

***

وفى فــترات ينــبحُ الكلــبُ عَابــساً
فيعــوى لــه ذئــبٌ مــن الحقــلِ خــادرُ

***

مــشيتُ وحيــدا مُطــرق الــرأس باكيــا
وقــد شَردْت فى الحــزن منــى خــواطرُ
حزينــا تهــادى فى الظــلام كــأنني
إلى الأفــق المجهــول فى الليــل ســائر
لقــد أشــعلتْ كُــل المــآذنِ نورَهــا
ولاحــتْ عــلى الأفــقِ البعيــد المقــابرُ

---

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد الأول من السنة العاشرة، يناير سنة١٩٣٨ – ص ٣٨.

(٢) الترنيق: اختلاج العين ساعة اليوم.

(٣) حشرات الليل.

وقـد عقـدت نـار العـروش[١] سـحائبا
عليهـا، وفاحـت بالـدخان المجـامرُ[٢]
ومـن تلعـةٍ[٣] تبـدو الـبروج[٤] ونوقهـا
حَمـامٌ عـلى الـصمت المخـيم ذاكـرُ
ينـادى أليفـا ضـلَّ فى الـدغلِ[٥] مـسلكاً
ولم يُبـصر الأبـراجَ والـسربُ عـابرُ
وقـد جمـش[٦] الـبردُ الـشفيفُ[٧] جنَاحَـه
فمـدّتْ لنتـفْ الـريشِ منـه منـاقرُ
يُراعـى نهـارا لـيس يقبـل ليلـهُ
مـن الفخـت[٨] فيـه تـستكِّن الهـوادرُ

***

شـعورُ انقبـاضٍ فى الظـلام ووحـشة
وصـمت وحـزن .. شـدَّ مـاَ أنـا نـاظرُ
فمـن أيـن قلبـى يـستمد المـصادرُ؟
وفى مهـبط الـوادى تقـوم عـرائس[٩]
مـن الكـرم، والنـاطور[١٠] فى الليـل سـاهرُ

(١) العروش: البيوت المسقفة بعسيب النخل والمقصود بمعنى البيت هو الدخان الذى يخرج من خصاصات بيوت الفلاحين ساعة المساء وهم يعدون الطعام بعد عودتهم من حقولهم.

(٢) المجامر: المواقد.

(٣) التلعة: المستشرف من الأرض.

(٤) بروج الحمام، وهى كثيرة فى الأرياف المصرية، وتوجد عادة خارج القرى.

(٥) الدغل: الملتف من الشجر، وجمعها أدغال.

(٦) جمش: قبض.

(٧) الشفيف: القارس.

(٨) الفخت: هو شعاع القمر أول ما يبدو والمقصود أن الحمام يحسب نور القمر فى الليل نهاراً لانعكاس أشعته على ماء المطر فهو ينتظر انقضاء هذا النهار الطويل ليأوى إلى أبراجه.

(٩) العرائس: التكاعيب.

(١٠) الناطور: حارس الكرم.

وقـــد أشـــعل النـــيران فيهـــا ليـــصطَلي
فـــرفّ لهيـــب فى العـــرائس واهـــر(١)
يزمـــر فى الأرغـــول والليـــلُ ســـامعٌ
ويُـــصغى إلى الأوهـــامِ والليـــلُ زامـــرُ

***

أرى الـــسهل فى صـــمتٍ كئيـــبٍ ووحـــشةٍ
تخـــيم فـــوق الليـــل والكـــون غـــامرُ
فمـــن أيـــن قلبـــى يـــستمد خفوقـــهُ
ومـــن أيهـــا لي تـــستمد المـــصادرُ؟

(١) واهر: باهر، ساطع

العـــودة [1]

(٢)

فى هذا الجزء الباقى من القصيدة يصور الشاعر ماجاش فى نفس العائد من ذكريات، وما اضطرب فى قلبه من صور لماض سحيق مختزن بالتهاويل والأشباح وهو يرى مغانى غرارته ومعاهد طفولته وترى بلهنيته دراسة العالم، ويرى الديار قد عفت غير طلسم ويرى الأشجار قد صدحت غير أوراق حوائل تلوى بها الصبا والشمائل، لقد غرت المدن وبهرجها الزائف شبان القرية المتعلمين، وفتيانها الأشداء الأقوياء، وملاكها الأثرياء، فنزحوا إليها تاركين القرية قاعا صفصفا، تذكر العائد كل هذا، فراح يبكى قربته ويتذاكر تاريخها المجيد وصور السعادة التى مثلت حينا من الزمان على مسارحها، ويتمنى لو أنه يقضى حتى لا يرى هذه الجنة التى كانت له مربعا ومخرفا، ومشتى ومصيفا، تلعب بها أيدى البلى وتتناوبها الأحداث.

رجعـــتُ إليـــك اليـــوم مـــن بعـــد غُربتـــي
وفى الـــــنفس آلام تفــــيضُ ثـــــوائرُ
رجعـــتُ وعقـــلى تائـــه الفكـــر شـــاردٌ
وأبـــتُ وقلبـــى واهـــن الخفـــق خـــائرُ
فيـــا أرضَ أحلامـــي، أألقـــى طفـــولتي
ويـــسعدنى يـــومٌ مـــن العُمـــر آخـــرُ؟
تعـــسفتُ فيـــكِ الليـــل والـــريح صَرصرٌ
وخـــضتُ إليـــكِ المـــوجَ والنهـــرُ ثـــائرُ
أتيـــتُ لألَقـــى فى ظِلالـــك راحـــةً
فيهـــدأ قلبـــى وهـــو لهفـــانُ حَـــائِرُ
أمـــوتُ قريـــر العـــين فيـــك مُـــنعماً
يُخـــدرنى نَفـــحٌ مـــن المـــرجِ عـــاطرُ

---

(١) المصدر : مجلة التعاون – العدد الثانى من السنة العاشرة فبراير سنة ١٩٣٨ ص ١٤٦ – وقد آثرنا فى أن ننشرها على حدة مع مقدمتها كما اثبتها الشاعر ر م أنها استطراد للقصيدة السابقة.

ويلحفنـــى هـــذا البنفـــسج، ولـــتكنْ
مـــسارح عينـــى ... الرُبـــا والمحـــاضرُ
وآخـــر مـــا أُصـــغى إليـــه مـــن الـــصدى
خريـــرك يفنـــى وهـــو فى المـــوت سـائر

***

ولكـــن بـــلا جـــدوى أتيـــتُ فلـــم أجـــد
ســـوى قفـــرةٍ أشـــباحُها تتكـــاثرُ
وقـــد نـــصبتْ أيـــدى الـــشتاء سـياجها
عليهـــا، وأســـوارُ الظـــلامِ تحـــاصرُ
وقـــد خـــيم الـــصمتُ الهتـــوفُ مـــع الـــبِلي
عليـــكِ، وأرواحُ الـــدجى تتنـــافرُ
وقـــد هـــاجم الغـــاب الكثيـــف غِيَاضَـــهَا
ليغزوهـــا والمـــوجُ يزيـــدُ هـــادرُ
وهـــبَّ نـــسيمٌ بـــاردٌ مـــن كهوفهـــا
تجاويـــه فى الـــريح هـــذى المغـــاورُ
وقـــد رفـــرفَ الخفـــاشُ فيهـــا وحوَّمـــتْ
عـــلى الـــشط غربـــان الفنـــاء الكـــواسرُ
وداويـــة للبـــوم مـــن فـــوق سرحـــة[1]
قـــضى[2] فوقهـــا مـــن قـــارس الـــبرد طـــائرُ
تُرتـــل لحـــنَ المـــوتِ فى مَعبـــد الـــدُجي
وتـــروى أســـاطيراً روتهـــا الـــدياجرَ
كأنـــك فى سِـــفْر الليـــالى ملاحـــمٌ
يُرتلهـــا فى جانـــب المـــوت شـــاعرُ

***

(١) سرحة: شجرة.

(٢) قضى: مات

لقـــد حَكَـــم المـــوتُ المُـــشَتِّتُ حُكمَـــه
علينـــا وأحـــداث الليـــالى الجـــوائر
فيـــا كوكبَـــاً فـــوق العواصـــف سَـــاهماً
يتابعـــه طيـــفُ الـــدُّجى وهـــو غـــائرُ
ويـــا شـــعلة النـــوتى تخفـــقُ فى الـــدُّجى
وقـــد هاجمتهـــا الـــريح والنـــوء صـــافر
ويـــا زهـــرة فى شـــاطئ الحـــزن أينعـــتْ
وقـــد أتحفـــت منهـــا الخريـــف بـــواكرُ
نمـــتْ وحـــدها ... لم تلـــق غـــيرَ ظلالهـــا
أليفـــاً تُـــشاكيه الأســـى وتـــساورُ

***

ألا فاســـتريحى الآن حـــسبكِ واهـــدئي
فلـــن تحمـــلى مـــا تـــستبيح المقـــادرُ
ركبـــتِ مـــع الآمـــال كـــل مهوبـــة
وعـــدتِ كـــما عـــاد الطريـــدُ المهـــاجرُ
رأى خلـــف أســـوار المدينـــة دوحـــةً
حنَـــتْ فوقَـــه بالظـــل واليـــوم نـــاجرُ(١)

***

لقـــد فرغـــت فى عـــالم الحـــزن جـــولتي
ومـــا فرغـــتْ منـــى الليـــالى الـــدوائر
فيـــا أفـــق الـــدنيا ويـــا فجـــرَ ليلهـــا
ومـــن خفَقـــتْ فيـــه المُنـــى والخـــواطرُ
ومـــن تـــسبح الأحـــلام فى ملكوتـــهِ
حيَـــارَى، وتفنـــى فى هـــواه المـــشاعرُ
أيـــا شـــفقاً فى عـــالمِ جـــو أرضـــه

(١) ناجر: شديد الحر.

خيالٌ على الوادى المهوم ساهرُ
تحفُّ بها فى الصمت أشجار جَنة
يفاوحنى منها على الوهم عَاطرُ
وأسمعُ موسيقى بها ذهبية
تفيض بها فوق المروج قَياثِرُ
وأتركُ عينى فى الخيالِ تشقُّه
فألمح أشباحاً هُناكَ تُسامُر

موت المغـــرد

لقـــد هـــدأتْ ريـــح الكهـــوف ونفـــضتْ
عـــلى الأفـــق مـــن حلـــم المـــروج بـــشائرُ
وقـــد خففـــتْ بـــينَ العـــرائس نـــسمةٌ
يُعابثهـــا فى غفـــوة الفجـــر ثـــامرٌ[1]

***

بـــدا الـــصبح فـــوق المـــرج أصـــفر ناصـــلا
فلاحظـــه زهـــرُ الرُّبـــا وهـــو حـــائر
ومـــا نفحـــتْ فـــوق الربـــاوة[2] زهـــرةٌ
ولا دف[3] فى هـــذى الخمائـــل طـــائرُ
وقـــد نتَـــفَ الـــشحرورُ[4] فى الـــرَوض ريـــشَهُ
وحلَـــتْ مـــن الصفـــصاف فيـــه ضـــفائرُ
وقـــد خَيمـــت فـــوق العـــرائس وحـــشة
وصَـــمتٌ عـــلى أوراقهـــا الـــصُفر نـــاشر[5]

***

لقـــد خـــفَّ نَـــسمْ الـــصبح يهمـــسُ ناعيـــا
إلى الـــسهل أن قـــد فـــارق الكـــون شـــاعرُ
لـــذا نَقـــس[6] النحـــلُ الزهـــورَ فجلجلـــتْ
ونابـــتْ عـــن الأجـــراسِ هـــذى الأزاهـــرُ

(١) غفوة الفجر: أى فى سريعة طلوع الفجر – ثامر: أول ما يبدو منه.

(٢) الرباوة: أى الربوة

(٣) دف الطائر: حلق ليقع

(٤) الشحرور: مغرد حسن الصوت

(٥) ناشر: أى منشور

(٦) نقس: دق الناقوس.

طلوع الفجر[1]

نظمت هذه الأبيات على مقربة من ترعة السلمانية بمركز السنبلاوين.

فى سكون الليل والفجر غريقْ
نبه الوسنان[2] صيّاحُ السحرْ[3]
ما لهذا الشرق يبدو فى حَريقْ
أذعر الأنجُم منه والقمرْ؟

***

أيها النعسان فى دنيا السنَا
تتمطى فى سرير الشفقِ[4]
الندى حولك يَهمى موهنَا
والأزاهير حيارى الحدقِ

***

ارفع الكُلة[5] تبصر عجَبا
عَالماً يسبحُ فى بحر الضياءْ
وعيونا دافقات ذَهبا
فى مقاصير عطورٍ وغناء[6].

(١) المصدر: مجلة التعاون - العدد الخامس من السنة العاشرة - مايو سنة ١٩٣٨ - ص ٤٣٨.

(٢) الوسنان: النائم

(٣) صياح السحر: الديك

(٤) صورة رمزية للفجر تمثله طفلا فى مهده، والمهد هنا هو الشفق.

(٥) الكلة: الناموسية.

(٦) صورة أيضا للنور والسحب وأصوات الطيور.

هتف الكروان في الأفق البعيد
كالمصلي تحت محراب القمرْ
ناسكٌ في الليل يدعو وبعيد
هَامَ وجداً بالذي صاغ السَّحرْ

***

وغصون الجزورين [1] ارتعشت
في الدجى مثل قلاعٍ خافقه
واقفات من بقايا سُفُنٍ
في بحار السحرِ ظلت غارقة

---

(١) الجزورين : أشجار معروفة في ريف مصر ، سامقة الأعواد

مسارح الشفق[١]

نظمت هذه القصيدة فى قرية منفة بجوار مدينة السنبلاوين – مسقط رأس الشاعر – وقد كستها الطبيعة حلة قشيبة من الزرع والنخل.

يـــا ليـــالى (بالـــشهيّد) عـــودى
محــسنات كـــما مـــضيتِ عَـــذابا
وأرينـــى التـــسرور منـــك ســـلافا
وكـــما كنـــت فـــارجعى أكوابـــا[٢]
وامـــلأى الكـــأس لا تخـــافى عـــذولا
وامزجـــى بالـــسرور فيـــه شرابـــا

واتركينـــى بـــين الـــشعاب طَريـــحا
فاقـــد الحـــس لا أفيـــقُ صـــوابا

***

شـــأن نفـــسي، وذاك فى غـــرام
أن تـــحب النبـــاتَ والأعـــشابا
وتلـــذُ الجلـــوس فى ظـــل أيـــكِ[٣]
رفـــرفَ الطـــيرُ فوقـــه أسرابـــا[٤]
وانـــحنتْ تحتـــه الغـــصون سُـــكارى
مـــائلاتٍ أعطافهـــا إعجابـــا

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد السادس من السنة العاشرة، يونيه سنة ١٩٣٨ – ص ٥٤٧.

(٢) السلاف هي الخمر: أى أن مثل هذه الليالى بوقتها ولطفها مثل الكئوس وكان اللعب والمرح فيها خمر صافية.

(٣) الملتف من الشجر.

(٤) أسراب: جماعات

يتغنـــى بـــين الـــشمار بلحـــنٍ
هـــل ســـمعت القيـــان[١] غنـــتْ طِرابـــا
مـــن وحيـــدينِ يـــسجعان سروراً
وفريـــدين يـــشدوان انتحابـــا
وجـــرى المـــاء في الغـــدير رحيقـــا
وكـــأن النـــوار فيـــه نجـــوم
ركبـــت تحتـــه الميـــاه ســـحابا
وحكـــى الـــسرو[٢] فى الرُبـــى مُـــستهاما
وحكـــى بينـــه الغـــديرِ كعابـــاً
فهـــو مـــن فـــوق عاشـــق مـــستلذٌ
يرشـــفُ الرِّيـــقَ خِلـــسةً وانتهابـــا
وسرى النَـــسمُ، فى شـــذاه مُـــلابٌ[٣]
فـــائحٌ نـــشره يحـــاكى القِنابـــا
وكـــأن الهـــواء أضـــناه مـــابي
فـــسرى موُهنـــاً ورقَّ وطابَـــا
ودنـــت للغـــروب شـــمس كـــستها
صـــبغة العـــسجد الفتـــين[٤] إهابـــا
قـــد تبـــدت وقـــت الأصـــيل ككـــأسٍ
سَـــكبتْ خمـــره فغـــشى الـــشِعابا
فتنـــة الأرضِ طـــالَ بُعـــدكِ عنهـــا
طـــول يـــومٍ .. أمـــا كفـــاك اجتنابـــا؟
أرســـلى شـــعَرك الجميـــل عليهـــا
ألبـــسنيها مـــن الـــضُحى جِلبابـــا
وصِـــليها . لا تـــستحى مـــن رقيـــبِ

---

(١) القيان: جمع قينة، الجارية الحسناء المنشدة.

(٢) الحباب: فقاقيع الكأس، والمعنى أن الماء مثل الخمر والزهور العائمة فوقها مثل الفقاقيع.

(٣) الملاب: ضرب من العطر الفاخر، والمعنى أن النسيم برقته يشبه العتاب بين الأحباب.

(٤) القتين: الصقيل.

تركتْ عينه عليك خِضابا[1]
وافرشي العسجدَ الرقيقَ ملاء
واسدلي الليلَ خير سترٍ حجابا
مسرح تسبحُ النواظر نشوى
منه في عَسجدٍ يموج عُبابا
زعفرانٌ غشّى السماء وورد
شاد في المغرب الذكي قِبابا
وتمشى السكون .. إلا من البلـ
ـبل صوت جتاب الرُبى خلابا
يشكر الشمس في ابتهالٍ مدينٍ
أسلبتْي ضوءها عليه ثيابا

***

واختفى النور هاربا من كَمِيٍّ[2]
أطلق الخيل في ظلام عرابا
وبدا البدر في السماء كَعين
من لجينٍ يَسيلُ منها مُذابا
أصفر شفَّه السُهاد طويلا
وحَماهُ الكَرى الغرام فآبا
عاشق يذرُع الفضاء من الوجـ
ـد ليُطفي من الهيام التهابا
تحت سترٍ من الحجاب خفيف
مستشف يحكي عليه سرابا
ونجوم الجوزاء كالبدر يطفو
ـلَّ في باطن العُباب احتجابا
غابة الليل والحمائم فيها
قد برى نوحها البكاء فذابا[3]

(١) حمرة الخجل
(٢) الكمي: الفارس المسلح
(٣) أي كان السماء والنجوم فيها غابة يرفرف فوقها سرب من الحمام.

ليلية[1]

صورة من المساء فى القرية

ولىَّ النهارُ وأقبل الغسقُ
والصمتُ يجثم خلفه الأفق
والروضُ ينشرُ فيه موكبه
هذا الضباب، ويلمح الشفقُ
والدوح مرتعش يخالسه
بين السحائب كوكب خِفقُ

***

صه، فالمساء هنا كمُختشع
فى الدير جللّ قلبه الفَرقُ
والروض رنقَّ للنعاس فلا
طير يرفُّ به ولا ورقُ
أرخى الظلامُ عميقَ وحشَته
فوق الديارِ وأخلتْ الطُرقُ

***

هذاك راعٍ غابَ مُنحدراً
خلف السياج ولفهُ الغسَقُ
ماذا بوادى الشرق؟ وكوكبةٌ
غيباءُ فوق رُباه تحترقُ؟
لا ... بل هناك قد حَبَا قمرٌ
خلف الروابى الخُضر ينبثقُ

---

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد العاشر من السنة العاشرة ديسمبر سنة ١٩٣٨ ص ٩٧٨.

عاصفة فى سكون الليل[1]

أشرقـــى كـــالفجرِ غـــرّاء الجبـــين
واتركـــى نـــورك يَهـــدى العـــالمين
واطلعـــى فى ليـــل حُزنـــى كوَكبـــا
تَعـــصمينى مـــن ضـــلال العاشـــقين
واطرحـــى فى قَفْـــر عمـــرى زهـــرةً
علّهـــا تنمـــو وتزكـــو بعـــد حـــين
وابـــسمى تبـــسمْ لنـــا بـــيضُ المُنـــى
واضـــحكى تـــضحكْ لنـــا غُـــرُّ الـــسنين

***

هـــا هـــو الليـــل كـــما كـــان بـــدا
يحمـــل الحـــزن لقلبـــى والحنـــين
هيكـــلُ الأحـــزانِ ... فى محرابـــه
قـــرّب العـــشاق قُربـــان العيـــون
عطـــرهُ أحـــزانُ أزهـــار الرُبـــا
ونَـــداهُ عَـــبرات البائـــسين
وسرى النـــسم فى احـــشائه
مُهـــجٌ ذابـــتْ وأرواحٌ فَنـــين
كـــل شـــئ هـــان فى شرعِ الهـــوى
يـــا ملاكـــى ... والهـــوى لـــيس يهـــون

***

(١) المصدر: مجلة التعاون – العدد الثانى من السنة الحادية عشرة، فبراير سنة ١٩٣٩ وهو أول عدد يصدر من المجلة بعد وفاة الشاعر، وكان قد أعدها للنشر قبل وفاته، وهذه هى الصورة الثانية للقصيدة نفسها، كما بينا من قبل.

لم يَــرَ الليــلُ ســوى بنــتِ هــوى
قــرأتْ مــا ســتعاني فى الجبــين

لبــستْ فى بدئــه ثــوبَ الهــوى
وبــأخراه ثيــاب النــادمين

***

وعميــد بــات مطــويَّ الحَــشا
فى ســكون الليــل مبحــوح الأنــين
قــام فى الليــل كطيــفٍ غــابرٍ
وكــأن الليــلَ محــرابُ القــرون

***

ومُغَــنٍّ غلــب الحــزنُ عــلى
وتــر اللهــو لديــه والمجــون
لــيس يــدرى فكــرهُ مــا لحنــهُ
وهــو رجْــع الــسحر مــن مــاضٍ شــطون

***

أيهــا الليــل أتينــا نــشتكي
فاســتمع شــكوى الحزانــى المتعبــين
هــدنا الحــزنُ وأضــنانا الأســى
وبرانــا الوجــد فى دنيــا الــشجون
قــد شــكوناك وجئنــا ذشــتكى
لــك شــيئا مــن خيــال الــذاهلين

***

إننــى يــا ليــلُ أحكــى غنــوةً
فنيــت فيــك عــلى مــر الــسنين
واســتحالت فى الــبلى قُــبّرةً

تتغنــــــى فى دُجـــــى وادى المنـــــونْ

***

إننــــى يـــا ليـــلُ أحكــــى حُزمـــة

مـــن شُـــعاعٍ فى ســـماء الحـــالمين

ضـــمّها نـــحوك فكـــرٌ هائـــل

أزعـــجَ الأربـــاب بـــين الثـــائرين

واســـتحالت زورقـــا تعـــبره

فزعـــات المـــوت لـــيلاً مـــن سـنين

***

هـــذه أغنيتــــى رتلتهـــا

لـــك يـــا دنيـــاى فى ديـــر الـــسكون

لَحْنُهـــا أنـــتِ .. وحزُنـــى وَقْعُهـــا

ونـــذيرُ المـــوتِ بعـــض الـــسامعين

لا تلـــومى مـــا بهـــا مـــن حَـــزَنِ

إنـــما الأحـــزان موســـيقى الحـــزين

أعـــذب الألحـــان لحـــن أفرغـــت

فيـــه أنـــات الأســـى طـــى الحنـــين

عـــانقينى فى الـــدجى .. إقتربـــى

إننـــى أفـــزع ممـــا تفـــزعين

قربـــى خـــدك . ضـــمينىَ إلى

صـــدرك الحـــانى .. الثمـــى هـــذا الجبـــين

إنـــما نـــحن كركـــب ضـــل فى

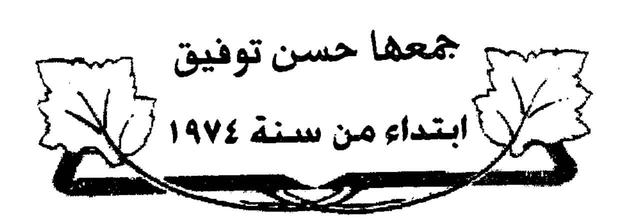
تيـــه صـــحراء .. يقـــوم تـــائهين

قـــد نـــسينا كـــل مـــا كـــان لنـــا

وتركنـــا فى غـــدٍ مـــا ســـيكون

(٣)

قصائد مجهولة للهمشرى





الربيع

شمس تفيض على أرض تباهيها ... جداولاً من عيون النور ترويها
يا حبذا شمس «أيلول» وبهجتها ... وطول أنفاسها والحب يوهيها[1]
ترفُّ أنوارها فوق الحقول كما ... رَفَّتْ على جبهة أحلى أمانيها[2]
كأنما النور موسيقى لها أذن ... بين القلوب تغنيها فتضحيها!!

***

هو الربيع إذا هبت شمائله ... هز البسيطةَ دانيها وقاصيها!
فصل جميل من الجنات مشرقه ... تبدى الطبيعة فيه كل ما فيها!!
كأن أيامه والحب يشملها ... أحلام حسناء طافت في لياليها!
كأنما النور فوق العشب مسرحها! ... والزهر أسرابها رفت على فيها!![3]

***

زار الحقول وأحيا كلَّ ناميةٍ ... فتاهت الأرض في أبهى غواليها
وصَبَّ في الزهر أعطاراً تفوح بها ... ولقن الطير أنغاماً يغنيها!!
فالجو بحر من الألحان مصطفق ... غَشَّى الحدائق حتى كاد يطميها!
والريح هامسة تسرى موهلة ... تشكو هوى ظل طول الفصل يضنيها
كأنها في ثنايا النور خافتة ... شكوى محب يكاد الشوق يبليها
وتحسب الزهر والأنداء تضحكه ... مداهناً سطعت فيها لآليها![4]
تسبيك حسناً فإن أهويت تقطفها ... مَدَّ الضياء لها أيديه يخفيها!
والبرتقال نواقيس مذهبة ... من فوقها نغمات الطير تدويها

(١) طول أنفاسها أي أشعتها التي لا تحجبها السحب والحب يوهيها أي أنها رقيقة.

(٢) ترف تلمع.

(٣) دفتي رفرفت.

(٤) مداهن جمع مدهن وهو وعاء الدهان.

تجيب شجو غدير ماؤه سلس ... جرى على لؤلؤ الحصباء يجليها[1]
فى روضة صدحت أطيارها وصحت ... أزهارها حين جادتها غواديها[2]
توحى إلى العين من أنوارها صوراً ... شتى المناظر فوق الأرض نوحيها
طبعن فيها فلو أرست أشعتها ... على خلاء أرتها فتنة فيها!!

***

فقم بنا نجتلى نورَ الربيع على ... (السنبلوين) ونلهو فى ضواحيها[3]
ونرسل الروح تسمو نحو فاتنها ... خلصانة خلعت عنها أمانيها![4]
فطالما عذبتها من تدللها ... وطالما أرهقتها من تجنيها!!
فتلك لو كنت تدرى خير مرحلة ... للأنجم الزهر تهدينا بزاهيها!

محمد عبد المعطى الهمشري

---

(١) يصقلها.

(٢) الفعل ضحا من الضحى.

(٣) السنبلوين المدينة المعروفة.

(٤) خلصانة خالصة.

الأنشودة الأخيرة

من والد يشيع ولده

خلِّيـــانى ألقـــى الـــردى خلِّيـــاني ... قـــبلها التقـــى بيـــومٍ ثـــان!!

***

فى الكـــرى مـــا أزال أسـمع رعـــداً ... مـــن ومـــيض الـــشمال فى آذاني

تـــتراءى لى النجـــوم عـــلى الأفـــ ... ـــق حِيـــارى تلـــج فى الخفقـــان

***

مـــا أرى؟! هـــذه الطبيعـــة لاحـــتْ ... تحـــت جـــنح مـــن الـــدياجير داني

ويلتـــي!! إنهـــا الحقيقـــة تبـــدو ... وأنـــا كنـــت قبـــل فى حـــسبان

مهرجـــان الحيـــاة هـــذا أراه ... فى ســـواد الظـــلام رؤيـــا عيـــان

أنـــا مـــا زلـــت فى الحياة أقـــاسي ... أنـــا مـــا زلـــت فى عـــذابى أعـــاني

خلـــت أنـــى قَـــدْمِتُّ فى النـــوم حتـــى ... لا أرى منـــه مـــا تـــرى العينـــان

***

خليـــانى ألقـــى الـــردى خليـــاني ... قـــبلها ألتقـــى بيـــوم ثـــان

***

إن هـــذى النـــيران أطفأهـــا الثـــ ... ـــلجُ فنامـــت فى راحـــة وأمـــان!

شـــيعتْ هـــذه الحيـــاة ولمـــا ... تـــشتكى مـــن لـــواعج الأحـــزان

تركتنـــى عـــلى الثلـــوج وحيـــداً ... شـــارد اللـــب دامـــع الأجفـــان؟!

كنـــت قـــبلاً أهـــوى الحيـــاة كثـــيراً ... حيـــنما كنـــت فى حمـــى الخـــلّان!

حيـــنما كنـــت لاهيـــاً فى نعـــيم ... وارفِ الظـــلِ ســـابغِ الأفتـــان

يـــا زمانـــاً أنفقتـــه مـــن سرور ... طالمـــا جـــدتَ بالهنـــا يـــا زمـــاني

قـــد سئمت المقـــام فى ظـــل عـــيش ... فوقـــه الخـــوف ضـــارب بِجِـــران

لست أخشى الردى ولو كنت وحدي ... ســـوف ألقـــى الـــردى قـــوى الجنـــان

***

خليـــانى ألقـــى الـــردى خليـــاني ... قـــبلها ألتقـــى بيـــوم ثـــان

***

كلـــما أذكـــر القبيلـــة لمـــا ... غـــادرتنى وحـــدى بهـــذا المكـــان!!

أقـــرع الـــسن نادمـــاً لبقـــائي ... فى اغـــترابٍ قـــاصٍ عـــن الأوطـــان

ليتنـي كنـت قـد تمالكـت نفـسي وتَمَمْـتُ الـسرى مـع الركبـان!
يـوم فـارقتهم نـسيت وليـدي! مـن ذهـولي. وكـدت أن أنـساني!!
أي بنـي الـذى تربـى يتـيماً وبعيـداً عـن رحمـة وحنـان!!
لـست أنـسى.. وقـد مـددت ذراعـاً مـستغيثاً مـن ذلـك العـدوان
ثـم أبـديت صـورة شـمت منهـا نخـوة منـك.. أظهرتهـا اليـدان!
أهـمى مـدت لكـى تجـر بعـزم مركـبَ الـثلجِ عـن أبيـك الفـاني!!

«واقعة من القصص الغربي» «م.ع. الهمشري» بالمنصورة

بيتان من قصيدة هجاء

سبحان من خَلَقَ القرودَ وصوَّرَا ... وقضىَ علينا أن نراك وقَدَّرَا

ما كنتَ إلا خنفساء عُتقتْ ... أو عنكبوتاً فى الوجود مكبَّراَ

مرثية

كتبت فى فناء كنيسة قرية

فى هذه الأبيات يريك الشاعر T. Gray صورة من فلسفة الحياة والموت الذى يرخى مناره على فلاحى القرية السذج البسطاء، ويرسم أمامك صورة طلية للدعة والهدوء الذى يكتنف مضيقهم المظلم:

لقد دق ناقوس الكنيسة مؤذناً ... بيوم فراق كان بالأمس خافيا
وسار القطيع يقطع الدرب خائراً ... يجاوب أجراس الكنيسة ثاغيا

***

ومن خلفه الراعى وهو متعب ... يغالبه خطو ضعيف التنقل
مضوا.. وأنا وحدى يؤانسنى الدجى ... وقد تركوا الأرض الفضاء له ولي

***

وقد رحل النور الكئيب مشيعاً ... زهور الربا والليل يزحف قادما
وقد شمل الجو الهدوء كأنه ... شجى تناسته الهموم فهوما

***

وداوية للبوم من تحت شرفة ... على عرشها اللبلاب مادت فروعه
تشاكت إلى البدر الحزين بمهجة ... تئن وطرف لا تكف دموعه

***

لذا أرسل البدر الضياء مسائلاً ... ليعرف ما هذا الجديد الذى حدث!!
فقالت له اليوم: ابن آدم راعني ... فمثواى فى الأطلال صار له جدث

***

هنا.. حيث أكداس الحشائش تبتني ... من العشب أكواماً يعابثها النسم
مقابر قوم كان بالأمس جدهم ... يضاهى النجوم بل ليكبره النجم

***

وهذا نسيم الصبح يختال ضاحكاً ... يدل بعطفيه على المرج ساريا
وقد أرسل «الخطاف»[1] فيه تحية ... إلى الصبح فى لحن ترقرق صافيا

***

(١) طائر.

وأذن هتاف[1] الصباح مرتلاً … ليوقظ من قد ظل فى النوم رائحا
صحا كل من فوق البسيطة.. غيرهم … وراحت تحيه الطيور صوادحا!!

***

مواقدهم.. يا لهفتى أين نارها … لقد خمدت من بعد طول لهيبها
وزوجاتهم هيهات تبصر وثبة … لواحدة منهن نحو حبيبها!!

***

وولدانهم.. أواه.. أين مسرة … وأين ابتسامات تضيء ثغورهم
فكم ظفروا عند اللقاء بقبلة … وكم ملأوا باللهو والأنس دورهم

***

لكم لان محصول الشتاء مطأطئاً … لهم هامة تحت المناجل طائعا
وكم هوت الأشجار من ضرباتهم … تطامن خداً للمعاول أضرعا[1]

***

وكم بعثوا سرب النعائم فى الضحى … إلى الحقل فرحى يستحثون سيرها
وكم قاوم المحراث كل يبيسة … لمسلكه فيها فهشم صخرها

***

فيا من يرى فى العيش كل تشوف … إلى المجد والأصل المكرم والمال
رويدك لا ترميهم بتهكم … إذا أنت أصغرت البساطة فى الحال

***

إن عتو المرء بالمجد والعلا … وبالجاه والإثراء لابد أن يمضي
ألا كل حسن فى الحياة وعزة … مآلها يوماً إلى ظلمة الأرض

***

ولا تمتهن هذى القبور إذا خلت … من الذكر فالأيام تعدو على الذكر
فكم رنمت هذى الكنيسة مدحهم … وحسبهم هذى الترانيم فى الفجر!!

***

وهل تحسب الأنصاب ترفع والدمى … تعيذ حياة فى الضريح إلى الميت
فهيهات تغنى صيحة المجد فى البلى … ولا الملق المرثى فى مسمع الموت

***

(١) الديك.
(٢) ذليلاً.

ففى هاته التيهاء[1] كم قبر ماجد وكم قبر جبار وكم قبر غطريف
وكم قبر فيها زاهد متعبد وكم قبر قسيس وكم قبر عريف

***

ويا رب قلب كان يسطع نوره من الملأ الأعلى على الكون.. من يدري؟
وأيد تهز الصولجان وتعتلي على نغم القيثار بالروح والفكر

***

ولكنه العلم الجحود أبى لهم بفض مغاليق الكهانة والفهم
فلم يبصروا أسلابه وثراءه وأسراره العظمى.. وماتوا على غم!!

***

وكم درة ألافة قد أكنها يجوف له، بحر إلى أبد الدهر
وكم زهرة فى بطن صحراء أينعت وأذوت ولم تطرأ على البال والفكر

***

وكم «همدن»[2] قد قام فى وجه ظالم أراد على غلات محصوله بغيا
وكم كان فيهم مثل «ملتن»[3] لم يدع من القول ذكرى فى المهات بها يحيا

***

وكم فيهم من كان مثل «كرمول»[4] قوى جنان لا يهاب الردى قط
أكنتهم هذى الصفائح تحتها وأرخت لهم جيداً لدى الترب لا يعطو[5]

***

لقد أبت الأقدار أن يتملكوا عنان المعالى فى ظلال المعارك
وألا يخوضوا فى الدماء إلى العلا لكيلا يكونوا فى عداد الفواتك

***

رفاتهم قرت بأطيب موضع ولم يمتهنها فى مضاجعها عبث
فرعياً لهم أنى استراحت قلوبهم وجاد ثراهم من صحاب السما غيث

***

(١) الصحراء.
(٢) بطل من أبطال التاريخ.
(٣) شاعر إنجليزى عظيم.
(٤) بطل إنجلترا الأعظم.
(٥) يشرئب.

لقد قنعوا بالزهر فوق قبورهم وبالنضب الشوهاء والرسم والنقش
وأبيات شعر عاثرات تكفنت هم بدموع من بجانبهم يمشي!!

***

وأسماؤهم قد رتلتها بشجوها إلهة موسيقى القريض بتحريف
وكم آية قد نورتها وسورة أحب لها لقيا الردى ساكنو الريف

***

ومن يرتضى أن يترك العيش قانعاً إلى حي يلقى فى ضريحه نسيا
ولا يرمق الآفاق يرتاد حسنها يشيع نوراً كان منه له محيا

***

تصيحُ من القبر الطبيعةَ تشتكي أحتّى من الأجداث تحيا المشاعر؟!
حسبت شكايات الحياة وبؤسها تبيد إذا ما غيبتها المقابر!

***

فيامن[1] ذكرت الخاملين مناجياً بشعرك قوماً منهم خاملي الذكر
لعل فتى يوماً يناجيك شعره وأنت رفات لست تشعر فى القبر

***

وشيخ ضعيف أشعل الشيب رأسه ودب كلال فى حشاه من الوجد
يحدث عنك الذاكرين بآهة تسارق دمعاً بات يهمى على الخد

***

يقول: لكم شاهدته فى حياته!! يسير الهوينى وهو يخترق السهلا
يبكر فى الفجر المنور مسرعاً وينفض عن أقدامه العشب والطلا!!

***

وكم فى ظلال السنديان رأيته يريح من الجسم الضعيف كلاله
ويرهف أذناً للخرير وشجوه ويلحظ فى شط الغدير جماله

***

وكم كان تحت الأيك يمشى مغمغماً بأفكاره الشتى ينظمها شعرا
وإن هو أضناه المسير لضعفه تهالك فوق الرمل يستوسد الصخرا

***

وطوراً أراه باسماً مستهللاً!! ضحوك المحيا يقطع الدرب فى وثب

---

(١) يناجي الشاعر نفسه.

وآنـاً أراه مطـرق الـرأس خاشـعا ... كـصب شـجته خيبـة الحـب فى الحـبّ

***

وفى ذات يـوم.. فى الـصباح.. التمسته ... على السهل.. تحت السنديان.. وفى الأيكِ
فلـم أره فيهـا.. فرحـت مـيمماً ... إلى النهـر علّى قـد أراه عـلى الفلـك

***

ولكـن بـلا جـدوى طلبـت وجـوده ... فأعيـانى البحـث المـبرح والتعـب
ومـر نهـار ثـم آخـر إثـره ... ولما أقـصر عنـه فى البحـث والطلـب

***

وفى ثالـث الأيـام أبـصرت نعـشه ... يـسير وئيـداً فى خـشوع وفى صـمت
ومـن خلفـه القـسيس يطـرق رأسـه ... وينـشده فى الـسير أنـشودة المـوت

***

فقـدم - رعـاك الله - خطـوك واقـترب ... لتـشدو بأبيـات كتـبن عـلى الحجـر
عـلى صـلدة لا تـستكن لمعـول ... يظللهـا فرعـاء مـن شـائك الـشجر

***

هنا[1] بـين هـذا الـصخر فـوق نتوئـه ... ينـام فتـى مـا رام مـالاً ولا مجـدا
ثـوى بـين أطبـاق الـصفائح راضـياً ... وقـد تخـذ الأرض القـرار لـه مهـدا

***

لقـد فـك طلـسم المغـاليق عقلـه ... وذلـل للـشعر الكهانـة والعلـما
ولكنـه بـالرغم منهـا أصـابه ... من الـدهر خطـب مـات مـن وقعـه غـما

***

لقـد كـان فى الـدنيا عيوفـاً مكرمـاً ... سـخياً وفيـاً طـاهر الـنفس والـذيل
وقـد كـان ذا أصـل كـريم بجـاره ... وقـد كـان ذا فـضل وقـد كـان ذا نبـل

***

فـلا تكـشفوا بعـد الممات هناتـه ... ولا تطلبـوا فى الـترب عـن أصـل بلـواه
فكـل الـذى تبغـون لا تدركونـه ... دعـوه.. وقولـوا - مـات - يرحمـه الله

محمد عبد المعطى الهمشري
بمدرسة المنصورة الثانوية

(١) كتابة على القبر.

الشاعر المنتحر

ذكرى أحمد العاصي

أفزعه الشوق إلى وكره — وحنَّ فى الليل إلى فجره[1]

وهب مذعوراً يزيح الكرى — ليرفع الطّنة من أمره

وراح فى الوهم يغنى على — أيكته. والزهر فى نشره

وفاض بالساحر من سجعه — فأسكر النوار من سحره

***

ما حسب الموت ولكنما — أسلمه الموت إلى سكره!!

حتى إذا ما فاق من حلمه — أسلمه الصحو إلى ذعره!!

فظل فى حزن يناغى الصبا — ينشده الباكى من شعره

تحن ذى الروح لما تشتكي — فيه، وقد تصبو إلى ضيره

فإنما آلامه راحة.. — لو أبعد الأوهام من فكره!

وكيف بالشيب وهذا الصبا — يسخط فى يأس على عمره!

وإنما الشيب عناء غدا.. — للذنب عذر منه فى بطره

لكنما الدهر وأطواره — قد حير الإنسان فى سره

قد يحملُ اليافع فى عمره — ما يقصم الكنتى من ظهره

«وبلبل الأيك» ضعيف القوى — برحه البارح من سمره

يشكو أليفاً طار عن روحه — لكنه ما طار من ذكره!

كانت له الدنيا وما تشتهي — من طفره فيها ومن بشره

فأوقف الحزن على عهده! — وأوقف الشؤم على نذره!!

وساءل الأطيار عن شدوه! — وساءل النمام عن نشره!!

لعل فيها من رأى طيفه! — أو يعرف المجهول من خبره!!

---

(١) حساسية الشاعر هنا كحساسية بلبل مائت أوهمه الفكر أنه على قيد الحياة فأراد أن يتحقق من ذلك: لخنم.

لم يحـزن الآس حتـوف عـرا — دفاقـة الآس.. ولم يـبرد
كـل لـه هـم حمـاه الـضنى — أن يحمـل الآلام عـن غـيره!!

***

يـا أيهـا القلـب عـزاءً فـما — يـأمن ذا المعـن فى طـيره
فـإنما الطـائر فى مـأمن — مـا دام ذا الطـائر فى وكـره
والمـوت حـصاد هـشيم عـدا — مـن غـير مـا قـصد عـلى زهـره!
وإمنـا قلـب الفتـى طبلـة — تـزف ذا العمـر إلى قـبره!!
يـا عنـدليباً[1] شـاقه أيكـه — فحـن فى المـوت إلى بـره
قـد فَقَـدَ الآمـال فى نظـرة! — منـه ولـو تخطـر فى فكـره!
حَـسَّنَ لليـائس مـن عيـشه — موتـاً يتيـه الحـزن مـن شره
فـأرقص المـرضى عـلى بابـه — مـن مدحـه «الحـدباء» فى شـعره[2]

***

يـا أحمـدا.. يبكـى عـلى أحمـد![3] — أوقعـه الطـالع فى نـيره!!
فـذاق مـا قـدَّر مـن حلـوه — وذاق مـا قـدَّر مـن مُـرِّه!
مـا ورث الإنـسان عـن آدم — إلا شـقاءً دب فى أثـره
الحمـد لله عـلى خـيره! — والحمـد لله عـلى شره!!
فكـل مـا نرجـوه فى علمـه! — وكـل مـا نخـشاه فى نكـره!!
وكـل مـا يلقـاه منـه الفتـى — ينـسبه جهـلاً إلى دهـره!!

***

وإن سـألت الـشعر عـن حاجـة — مـن ذلـك «الكـابوس»[4] أو أسره!

---

(١) العندليب: البلبل. بره: أى عطفه.

(٢) أى أن وصفه جمال الموت جعل المرضى اليائسين من الحياة يرقصون على باب الموت. الحدباء النعش وقد وصفها الشاعر المنتحر أجمل وصف.

(٣) كان الشاعر يعتقد أن هناك شخصاً آخر اسمه أحمد العاصي أوجده القدر فى إهابه فقاسمه الحزن.

(٤) وصف للعالم كما كان يراه العاصي.

فـالكون مـا زال عـلى عهـده!
والوقت مـا زال عـلى [illegible]ه!!

والـشمس مـا زالـت تـؤم الـورى!
والبـدر مـا زال عـلى [illegible]!!

مـا زاد في الكـون سـوى غنـوة
لقنهـا الأيـك إلى [illegible]ره!!

يقـول أواه عـلى أحـمـد!
أواه.. أواه. عـلى فـ[illegible]ره!!

محمد الهمشري

مدرسة المنصورة الثانوية

الأغنية التائهة

أيهــا الليــلُ أتينــا نــشتكى
فاســتمعْ شــكوى الحزانــى المُتعبــين
هــذّنا الحــزنُ وأَضــنَانا الأســى
وبرانــا الوجــدُ فى دنيــا الــشجون
قــد شــكوناكَ وجئنــا نــشتكي
لــك شــيئا فى خيــال الــذاهلين

***

إننــى يــا ليــلُ أحكــى غنــوةً
فَنيــتْ فيــكَ عــلى مــرِ الــسنين
واســتحالتْ فى الــبلى قُــبّرة
تتغنــى فى دُجــى وادى المنــون

***

إننــى يــا ليــلُ أحكــى حزُمــةً
مــن شــعَاعٍ فى ســماءِ الحــالمين
ضــمَهّا نــحوكَ فكــرٌ هائــلٌ
أزعــجَ الأربــابَ بــين الثــائرين
واســتحالتْ عنــدها مــن غــضبٍ
زهــرةً فى عــالمٍ غــير مُبــين
تــنفح المــوت .. وَتُــدلى عودهــا
نــحو أشــباح المنايــا العــابرين

***

إننــى عاطفــةٌ قــد غالهــا
منــك فكــرٌ طيّــه المــوتُ دفــين
حاولــتْ تعــرفَ أسرارَ الأســى
مــنك يــا ليــلُ وأسرار الأنــين

فاســـتحالت جَـــدولاً تعـــبره
فزعـــاتُ المـــوت لـــيلاً فى ســـفين

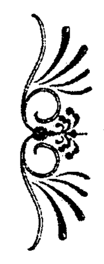
***

هـــذه أغنيتـــى رتلتُهـــا
لـــكِ يـــا دنيـــاى فى ديـــر الـــسكون
لَحْنَهـــا أنـــتِ، وحُزنـــى وقعْهُـــا
ونـــذيرُ المـــوتِ بعـــضُ الـــسامعين
لا تلـــومى مـــا بهـــا مـــن حـــزَنٍ
إنـــما الأحـــزانُ موســـيقى الحـــزين
أعـــذبُ الألحـــان لحـــنٌ أفرغـــتْ
فيـــه أنـــاتُ الأســـى طـــى الحنـــين
عـــانقينى فى الـــدجى ... إقـــتربى
إننـــى أفـــزعُ ممـــا تفـــزعين
قرِّبـــى خَـــدكِ ... ضـــمُينى إلي
صـــدرك الحـــانى ... الثمـــى هـــذا الجبـــين
اتركينـــى فيـــكِ أفنـــى مـــثلما
فنيـــتْ فى الله روحُ الناســـكين
إنـــما نـــحن كوكـــبٍ ضـــلّ في
تيـــه صـــحراء بقـــومٍ تـــائهين
قـــد نـــسينا كـــلّ مـــا كـــان لنـــا
وتركنَـــا فى غـــدٍ مـــا ســـيكون



حلم السيراناد

«السيراناد أغنية يغنيها الشاعر العاشق فى ليلة قمرية على همسات القيثار تحت نافذة حبيبته»



أُفَدِّى بقلبى العليل الوفي ... حبيبى الجميلَ الذى لا يفي
إذا أنت قبلت عنِّى النَّسيم ... فإنى بتقبيله أكتفي!!
لقد متُّ شوقاً لطيف الخيال ... فهلا أراك به مسعفي؟

***

قتلت فؤادى وأنت تغني ... بصوت رخيم.. ألم تعرفِ؟
وعذبتنى فى هواك الأليم ... وقلبى ضعيف.. ألا تكتفي؟!
وأسهرت عيني.. وأبكيتها ... وحبك فى مهجتى مدنفي
يقولون إن الدموع شفاء ... فمالى بدمعى لا أشتفي!
سل النجم ينبئك أنى سهرت ... أراعيك منه بطرف خفي

***

أتذكر ليلةَ أمسِ وقد ... أتيتَ كبدر السماء الصفي
ففاض على الكون منك افتتان ... تسربَ من حسنك الألطفِ
وشاع الضياء بكل مكان ... ودب على النيل كالخائف
فصحت تسائل – ماذا الضياء؟ ... وهذا «ملاك الدجى» مختفي
فقلت جبينك يا فتنتي ... أضاء السماء فى الدجى المسدفِ!!

المرثية الحزينة

لم يبــقَ مــن أثــر الجــمال عليــكِ إلا جــلال قــد تنـوَّر فيــكِ!
رسـم الخشوعُ على جبينك صـورة فـازددتِ حـسناً عنـد مـن عـشقوك
وكـساك نـور البـدر منـه صـفرة فزكــا هــواهم عنــدما نظــروك!
أثـرى حياتـك سـحرها ونـسيمها طــارت إلى الأَجــرامِ عــن عينيــك

***

سـلب الـبلى منـك الحيـاةَ وطالمـا سـلب الـورى منـك الـذى سـلبوك
شـغفتك أموال الرجـال فعضضِتها بــذخائر القــبلات مــن شــفتيك
عـشقوا التمتـع فيـك حتـى أنهـم لمــا قــضوا أغراضــهم تركــوك
ياممــا رحمــتِ قلــوبهم فــأغثتهم مــن نــارِ حــبهم فهــل رحمــوك؟
لم تبـكِ أعيـنهم عليـكِ بدمعـةٍ ولــو انهــم حفظــوا الجميـل بكــوك

***

هذى الطيور، مع الخرير، مع الـصبا وصــدى الــسواقى كلهـا ترثيـك!

نداء الفجر

النسيم العطرى نَدَّى جبيني ... والضياء الليلى حفَّ جفوني!
وطيوف الأحلام تخفق حولي ... فى همود الكرى، ورف السكون
فتح الفجر فى الظلام مقاصيـ ... ـر خيال للشاعر المفتون!
غلف السحر أفقها فتراءت ... كبقايا من عالم مسكون

***

فتعالى إليَّ.. ها أنذا وحـ ... ـدى أناجيك فى حفيف الغصون!!

***

أنت فجر يشع فى ظلماتي ... يكشف السحر فى مروج حياتي
فتغنى فيها ملائكةَ الرحـ ... ـمة أنشودةَ الخلود الآتي!
أنت سحر يبدو وراء خيالي ... أنت نور يرف فى مشكاتي
وعيون فجرية تتجلى ... لتنير الكئيبَ من ليلاتي!

***

فتعالى إليَّ.. ها أنذا وحـ ... ـدى أناجيك فى ذهول صلاتي!!

***

طفت فى المعبد المقدس فى الفجـ ... ـر، أناديك فى ضجيج الجموع!
فى يدى الشمعدان يخفق فى الصمـ ... ـت، ويخبو على ظلال الركوع!
وعلى مذبح الغرام تقربـ ... ـت بروحى فى ذلة وخشوع
غير أنى رأيت هذا قليلاً ... فتقربتِ بعدها بدموعي!

***

فتعالى إليَّ.. ها أنذا وحـ ... ـدى أناجيك فى رفيف الشموع!!



القرية المهجورة
قطعة مختارة من الأدب الإنجليزي
للشاعر أوليفر جولد سميث

ننشر فيما يلى ترجمة أبيات مختارة من قصيدة (القرية المهجورة) للشاعر الإنجليزى أوليفر جولد سميث وقد ترجمان اثنان من شعرائنا المعدودين وهما الأستاذ الدكتور أحمد زكى أبو شادى والأستاذ م.ع. الهمشري.

١- ترجمة الدكتور أبو شادي

ويـل لأرض هـوت ... فريـسة للسقام
حيث الغنى قد نما ... حيث الرجال الحطام
يا ربما يزدهي ... أو يمحق الأعيان
فنفخة خلقهم ... كخلقهم كل آن
لكنما الزارعون ... فخر البلاد الجلاد
إن هدموا مرة ... فما لهم من معاد

٢- ترجمة الأستاذ م. ع. الهمشري

واستوأتاه لأرض أصبحت غنماً ... ترعاه عاجلة الأسقام والنوب
تزداد ثروتها والقوم نخوتهم ... تهوى فتوتها خوارة العصب
أهل الإمارة من صيد غطارفة ... أو من ذوى الجاه والألقاب والرتب
أحوالهم أبداً رهن لمنقلب ... تحول من زاهر يوماً إلى عطب
ونفخة من ذوى السلطان تخلقهم ... كنفخة خلقتهم قبل فى النعم
لكن أهل القرى الأبطال كلهم ... فخر البلاد الشداد العزم والهمم
إذا هموا ذهبوا وانثل صرحهم ... وغالهم غائل الأرزاء والسقم
فلا مرد لهم.. لا شيء يخلفهم ... من بعدهم كل شيء بات كالعدم

أنشودة النيل

أبـــو البحـــار ومـــا تحويـــه مـــن ســـمك
يـــا نهـــرُ أنـــتَ ومـــن ينـــشى الرياحينـــا
والـــدوح والطـــير والأعطـــار تخلقهـــا
واللـــون أخرجتـــه يزهـــو أفنانينـــا

***

تُعطـــى إلى الطـــائر الـــصداح مأكلـــه
مـــن الجـــدب ومـــا تحـــى مـــن الثمـــرِ
لكـــى يطـــير إلى الآفـــاق مُـــستقلاً
ويـــأمن المـــوت جوعـــا وهـــو فى ســـفَرِ

***

وأنـــتَ تُعطـــى ســـماكَ البحـــرِ عـــن سَـــعةٍ
مـــا تـــشتهيه مـــن المـــأكول دِيـــدانا
تحـــى لهـــا العُـــشب كـــى ترعـــاه فى دَعـــةٍ
والـــريح تنـــشقه روحـــا وريحانـــا

***

نـــشرتَ قـــوس[1] إخـــاء رمـــز نهـــضتنا
وكـــم نـــشرتَ لنـــا يـــا نهـــر مـــن سُـــورِ
وكـــم نـــشرتَ خبـــالاً، كـــل جـــوهرة
مركـــب مـــن مـــزيجِ النـــورِ والمطـــرِ

***

(١) المعنى بقوس الاخاء هو قوس قزح، وهو نصف الدائرة المنشورية التى تحلل عليها الطيف إلى ألوانه السبعه عقب ركود ثورة الطبيعة.

وكوثرٌ أنتَ للبرسيم ينهلهُ
عَذباً وفيضٌ على الأعشاب يحيها
وللمراعى التى فاضت روائحها
تمدها برحيق الماء تسقيها

***

ورب زَهر نما فى ظله ورقٌ
من رقةٍ كجناح الطائرِ الشادى
ورب قَمح وغابٍ مزهرٍ أبدًا
أحييتها أنتَ يا نهرٌ على الوادى

***

وكم بَكرت إلى الغيطان تمنحها
من سَلسَلٍ راحَ يجرى فى البساتينِ

وكم بعثتَ إلى الجميز من مَددٍ
مرقوقٍ سار فى الشرايين
وأنت خصبٌ على الجوزاء نبصره
فى غيثها وهو يهمى فى الخميلاتِ
تعلو بخارا إلى آفاقها صُعدا
وتستحيل مياهاً فى السمواتِ

مصادر القصائد المجهولة

فيما يتعلق بهذه الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر محمد عبد المعطى الهمشرى فإنى أود هنا أن أشير إلى مصادرهاالمتنوعة، فضلا عن بعض ما أريد توضيحه من إشارات وتعليقات أرى أنها مهمةأو أن فيها فائدة للباحثين الجادين .

هناك قصائد جمعها محمد فهمى فى كتاب الروائع لشعراء الجيل سنة ١٩٤٥وهى إحدى عشرة قصيدة، وقد اخترتها كلها لتبدأ بها هذه الأعمال الشعرية باستثناء قصيدة واحدة، لأنها غير مكتملة ، حيث يقول محمد فهمى عن هذه القصيدة إنها مقتطفات من الملحمة الفلسفية الخالدة شاطيء الأعراف.

القصائد التى جمعها محمد فهمى – وفقا لترتيبها فى الكتاب، وهو الترتيب الذى التزمت به هنا – هى عشر قصائد، وكلها ليست مؤرخة سواء بتواريخ كتابتها، وهى مهمة صعبة تماما، أو بتواريخ نشرها، وهى مهمة يسيرة :

١ – النارنجة الذابلة

٢ –إلى جتا الفاتنة فى مدينة الأحلام

٣– حدائق الشفق

٤– تأملات أو حياة شاعر

٥ – أغنية النخيل

٦– العودة

٧–اليمامة

٨– أمسية شتائية فى ضاحية

٩– إلى القمر

١٠– المغرد

وقد جمع محمد فهمى هذه القصائد من مصدر واحد، هو مجلة أبولو.

أما صالح جودت فقد اعتمد فى جمع قصائد الهمشرى على مراجعة أعداد مجلتين اثنتين لا أكثر هما أبولو والتعاون، ولم يرجع إلى سواهما من المجلات، وهذا ما أتاح لى أن أكمل مهمته غير المكتملة.

أما القصائد التى قمت بجمعها خلال انهماكى الطويل والممتع فى جمعها، فإن من بينها أول قصيدة ينشرها الهمشرى فى حياته، وذلك يوم الأربعاء ٣ أبريل سنة ١٩٢٩ وكان وقتها فى الحادية والعشرين من عمره، وهذا بيان بما قمت بجمعه من قصائد مجهولة للهمشري، وهى قصائد لم تنشر من قبل فى أى كتاب.

وقد قمت بترتيب قصائد هذا القسم وفقا لأسبقية نشرها فى الجرائد التى قامت بنشرها، وهى على النحو التالى :

١ - الربيع - منشورة فى جريدة البلاغ الأسبوعى - يوم الأربعاء ٣ أبريل سنة ١٩٢٩

٢ - الأنشودة الأخيرة - منشورة فى جريدة البلاغ الأسبوعي - يوم الأربعاء ١٢ فبراير ١٩٣٠

٣- بيتان من قصيدة هجاء - قيلت القصيدة سنة ١٩٣٠ والبيتان موجودان فى ثنايا كتاب صالح جودت عن الهمشرى ، لكنه لم يضمهما لديوانه، وتكمن أهمية البيتين فى أنهما غريبان تماما على عالم الهمشري، وقد كتبهما فى هجاء أحد زملائه خلال المرحلة الثانوية بالمنصورة .

٤ - مرثية كتبت فى فناء كنيسة قرية - منشورة فى جريدة السياسة الأسبوعية -يوم السبت ٨ مارس سنة ١٩٣٠

٥ - الشاعر المنتحر - القصيدة فى رثاء الشاعر أحمد العاصي، وهى منشورة فى جريدة السياسة الأسبوعية - يوم السبت ٢٠ ديسمبر ١٩٣٠

٦- الأغنية التائهة - منشورة فى مجلة الأسبوع - يوم ٣ يناير ١٩٣٤

٧- حلم السيراناد - منشورة فى مجلة الأسبوع - يوم ١٧ يناير سنة ١٩٣٤

٨- المرثية الحزينة - منشورة فى مجلة الأسبوع - يوم ٤ أبريل سنة ١٩٣٤

٩- نداء الفجر - منشورة فى مجلة الأسبوع - يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٣٤

١٠ - القرية المهجورة - منشورة فى مجلة التعاون - عدد مارس سنة ١٩٣٦ وهى واردة فى ديوان الهمشري، لكن صالح جودت يذكر أنه قد حصل على نسخة خطية منها، من بين مقتنيات الدكتور إبراهيم رشاد

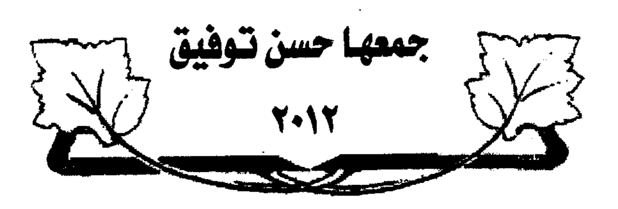
١١ - أنشودة النيل - منشورة فى المجلة الجديدة - عدد ١١٤ الصادريوم ٢٦ أغسطس سنة١٩٣٦ أى خلال حياة الشاعر، وهذا النص هو الأسبق فى النشر بطبيعة الحال، وقد أجريت عليه تعديلات فيما بعد، وهى ما نجدها فى النص المنشور ضمن الديوان، نقلا عن مجلة التعاون - عدد يناير سنة ١٩٣٩

ومن المهم هنا أن نعرف أن الهمشرى كان ينشر قصائده فى عدة مجلات، ثم يعيد نشرها من جديد فى مجلات أخرى، بعد إجراء تعديلات على نصوصها، أو دون أية تعديلات .

ولا بد أن أذكر هنا أيضا أن ديوان الهمشرى الذى جمعه صالح جودت يضم اثنتى عشرة قصيدة قصيرة، وتبدو كل قصيدة منها مستقلة عن سواها، وهى تبدأ بقصيدة فجر الحسن وتنتهى بقصيدة أيها التائه، لكن الهمشرى كان قد نشرها - مجتمعة وليست متفرقة - تحت عنوان لمحات - راجع عدد مايو سنة ١٩٣٣ من مجلة أبولو .

(٤)

كتابات نثرية للهمشري



جمعها حسن توفيق

٢٠١٢

جمال الريف المصري

فى الريف المصرى جمال لا حدود له تلمسه حياة خافقة فى كل ما اهتز به وخطر فيه، ودب عليه. ولكن كثيراً ما يصم ضجيج المدن أذن الإنسان أن تسمع نداء الريف، وهتافه به، وتعشى أنوارها الوهاجة الكاذبة عينيه فلا يكاد يرى الفجر الصادق المنبثق من آفاق هذا العالم الريفى القديم الذى لم تطمس جماله فتن المدنية وخدعها.

فى هذا الريف تنتشر الحياة المقدسة الأولى التى برأها الله سبحانه وصورها، ويجد الجمال الحق، والحب الطاهر، والإيمان الصادق، والقناعة الراضية التى تعز من كل مشهد بسيط، وتكبر من كل صغير قليل.

هنا الطبيعة ملك عادل بين أهل الريف أجمعين – لا فرق عنده بين عظيم أ حقير، وغنى أو فقير.

فالظل مشاع للجميع يستظلون به!!

والشمس مجمرة الطبيعة العظيمة التى يجتمع حولها الريفيون أجمعون لينعموا بالدفء والحرارة وهم كلهم فى ذلك سواء!!

والطيور، وهى جوقة الطبيعة، و«أوركستراها» الفخم لا تفضل قوماً على آخرين وإنما تشنف بألحانها آذان الريفيين أجمعين.

وغصون اللبلاب الغضة تألف هذه المنازل والأكواخ الوضيعة فتتشبث بها وتعرش فوقها وهى التى لو شاءت لاستكبرت على قصور المدن استكباراً ولضنت بجمالها عليها.

والشمس الفتانة تنسج بأنوالها الذهبية الساحرة من الندى المنشور على هذه الأكواخ الفقيرة والعرائش المتضعة خيوطاً كنسيج من الأحلام الزاهية تفيض فيه الأصباغ والألوان فيبدو كأنه حلية وشح بها قوس قزح هذه المنازل القروية ليرفع من قدرها ويعز من شأنها.

هذا موجود كله فى الريف!

وهذا قليل من جمال الريف!

وهذا القليل والكثير بعض من جمال الريف!

ومن مهام التعاون الكشف عن هذا الجمال المختبئ وراء المدن وإظهاره للناس حتى ينعموا به، ويكحلوا بنوره عيونهم، ويغنيهم عما يتوهمونه فى المدن من جمال ينقص الريف.

من مهّام التعاون أن يدحض مزاعم الأعيان المتغيبين ويهتف بهم «هذا هو جمال الريف الذى تكذبون به. فهل يفتح الله بينكم وبينه بالحق فتهرعون إليه وتزيدون من جماله وتعمرونه؟!»

والشعر وهو أحد رسل التعاون، والزهرة الجميلة النامية على شجرته المتفرعة العظيمة – مهمته أن ينوب عنه فى الإشادة بجمال هذا الريف والتسبيح بحمده، والغناء بمدحه وقد رأينا أن نأتى هنا على مثالين من الشعر الريفى أحدهما عربى والآخر غربى بحيث يكون قصدهما واحداً، ويرمى إلى الغاية الكبرى التى نرجوها وهي:

تعمير الريف، وتحبيب أهله فى الحياة فيه بمختلف مظاهرها من إنسان وحيوان ونبات فيتضافر الأعيان، والأهالى فى الهيام به والعمل على إنهاضه، وبهذا تتحقق المدنية الريفية التى هى غاية التعاون فى البلاد الزراعية.

الطائر «السماك»

قصة طائر

على غصن دان، من شجرة صفصاف تنحنى فويق جدول صغير، جلس الطائر السماك ساكناً لا يتحرك، كانت الشمس تفيض بشرقتها المسجورة خلل الأغصان، فتضيء ظهر الطائر الأخضر المزراق اللامع، وتخفق فوق صدره الكستنائى العميق اللون، لقد كان الطائر جميلاً رائع الجمال.

وكان الربيع يخفق فى كل ما حوله، وتنثر أعراسه غير المرئية النحف أفنانين وأطرافاً، ولكن الطائر المزراق كان غارقاً فى أغوار سحيقة من الفكر، ذاهلاً عن كل ما حوله، عن الريح الهازجة فى ثنايا أفنان الصفصافة فوقه، وعن النهر المتألق الهدار ينساب تحته.

وكانت ترانيم الأطيار وخرير الجدول، يفيضان فى تيار واحد متوافق النغمة، متناسق الجرس، غير منقطع الينبوع، ولكن الطائر الأزرق ظل عاكفاً، ساهماً، ساكناً، لا يفوه بنأمة، ولا يسكب نغمة، تنفخ القوة فى لازمة هذه الجوقة التى ترتفع رويداً رويداً.

ولقد يكون النعاس ضرب على أذنيه، فقد ظل ساكناً جامداً وإن كانت عيناه مفتوحتين محملقتين إلى الماء وإلى الأظلال الخفاقة الراقصة عليه وفجأة بدأ يتحرك ويقف فقد رأى جرذاً برياً يسكن أعشاب الضفة يقترب من جحر تخرج منه زقزقة خافتة كأنها هى لأفراخ صغيرة من الطيور. ولمعت عينا الجرذ وسرت فيهما نشوة جامحة ولكنه كان هرماً أثقلت عبئه السنون. ورغم أنه لم ير الطائر السماك الجاثم فويق الغصن فإنه كان يعتقد أن أم هذه الأفراخ لابد وأن تكون على مقربة منها ترعاها بشكتها وتحميها وأن مجهوده سوف لا يظفر بنصيب. لقد كان الجرذ البرى يعرف تماماً أن «للسماك» منقاراً ذرباً قوياً وأن صديقاً له «أى للجرذ» قد فقد بصره أن طعنه سماك حانق غاضب بمنقاره.

ولبث الجرذ غير بعيد يدنى من الجحر ويشم التراب، والسماك يصوب نحوه

نظرات قادحة بالشرر. ولكن الجرذ شاء، بعد لأى أن يلوى عما كان اعتزم وأن يبحث عن فريسة تكون أسهل منالاً فانطلق فى الماء وأخذ ريش «السماك» يهبط رويداً رويداً حتى عاد إلى طبيعته.

وعلى الأثر كان سرب من السمك يشق طريقه فى الماء وهذا ما كان الطائر يتلهف إليه وينتظره.

وفى أسرع من عقيق البرق رؤيت خطفة من النور الأزرق تنطلق كالسهم، فتغطس فى الماء، فتملأ أفقها المحدود رشاشاً يمتد سقاطه حتى الغصن الذى جلس عليه السماك فى مجثمه وفى عرض منقاره جسم صغير فضي، لم يستغرق هذا من الطائر غمضة عين حتى حمل الفريسة إلى فراخه زغب الحواصل.

وعاد ثانية وثالثة ورابعة يكر مفاجئاً السرب ثم ينطلق وفى عرض منقاره هذا الجسم الصغير الفضى يطعمه لفراخه.

وفى المرة الخامسة ابتلع فريسته فاختفت فى جوفه وسدت جوع حوبائه.

وكان مأوى طائرنا السماك فى شكل فقير متواضع كان فى بداءة عهده جحر جرذ برى ثم هجره وآوى إليه الطائر بعد أن كنفه بعظام السمك وأشلائه. أما فراخه فكانت تحتل غرفة صغيرة فى نهاية السرب الضيق أى على مبعدة قدمين من المدخل.

ومرت الأيام سراعاً، وكانت كلها أيام عمل وجد ومثابرة للطائر الذى كانت حالته لا تنبئ عن ذلك لفرط هدوئه واستقراره ووقار هيئته.

لقد كان الرائى إليه وهو جاثم على الغصين من شجرة الصفصاف الكهلة فى غيهب الشفق يظن أنه ساهم شارد النظر يديم نظراً حالماً فى خياله المنعكس فى الماء. ومن وقت إلى آخر يقوم بهزة يضطرب فيها رأسه ويمتد إلى الأمام ثم يعود إلى حالته من السكون.

وفى ذات مساء كان الطائر جاثماً كعادته فى مكانه من الدوحة، كان نور الشمس الغاربة يصب وهجاً فى الماء ويغمر الغاب والأشجار والأعشاب بملاءات ذهبية ساحرة هى من صنع السماء أشبه ما تكون!

وفى هذه اللحظة الهادئة الساكنة، التى لا تتنفس فيها نسمة، ولا تهمس نأمه ولا ترف نغمة، مزق الصمت صراخ حاد عميق سريع قادم من ناحية العش أذعر

الطائر الحالم وأثار الخوف فى صميم قلبه.

وأدار نظراً حائراً حوله يبحث عن مصدر الصوت وأخيراً رأى عينين براقتين تشعان فى دكنة المساء.

ترى ماذا يكون هذا العدو ذو الصراخ المرعب والعينين المشتعلتين؟

وخرج أخيراً ابن عرس من الأعشاب وتقدم من العش.

لقد كان شجاعاً.. شجاعاً قوياً. وقد وهبته الطبيعة الأسنان الحادة والمخالف المسنونة، والجسم اللدن السريع.

ولم يكن يعرف الخوف أو يعرف الخوف نفسه إليه السبيل ولهذا تقدم من باب السرب الضيق يشم بأنفه ولكنه لم يلبث أن أحس رؤاحة من الهواء فوق وجهه، وصرخة داوية فى أذنه الحساسة، ومنقاراً صلباً رفيعاً يلتمس عينيه.

لم يتريث الطائر فى مهاجمة هذا العدو المخيف، ولم يقف مفكراً مقدراً الفرق بين قوته المحدودة وضآلة جسمه وبين قوة هذا العدو وكبر حجمه، وأخذ يكر مهاجماً ابن عرس وارتفع صراخه فى الجو فأقبلت أسراب الطير تخف لنجدته سراعاً فلم يجد ابن عرس إلا الفرار من هذا الطائر الغريب الذى لا يقوى على التغلب عليه.

ولم يعد الطائر إلى عشه إلا بعد أن أرخى الظلام ضفائره على عيون النهار، وانبثق القمر، وطلعت النجوم.

وكان صباحاً سعيداً فى اليوم الثانى حين خرج الطائر المزراق تتبعه فراخه على شجرة الصفصاف. وقد سرت فى الهواء روح عطرية ورفعت أزهار الشط هامها إلى السماء الزرقاء كأنها مجامر خيالية.

وأدارت الفراخ نظراتها حولها حين رأت العالم الغريب لها لأول مرة ولم تلبث هذه الحيرة أن تلاشت إذ أحست بالطوى يمزق أمعاءها فراحت تزقزق.

وفهم الطائر الكبير حاجة أولاده إلى الطعام فراح يصوب إلى الماء نظره ولم يلبث أن خف كالبرق إلى الجدول وغطس فى الماء وأعمل منقاره فى سمكة كبيرة فنفذ المنقار خطأ بين عينيها.

وحاول الطائر الصعود بالسمكة فلم يقدر. وظل منقاره معلقاً بها، وزاد ثقله ولم يلبث أن غار مع السمكة إلى القاع.

وكان آخر ما سمعه زقزقة صغاره تنشده لحن الموت!!

ملاحظات فى المرور

موظفو التعاون والمجتمعات :

موظف التعاون هو أكثر موظفى الحكومة اتصالاً بالأهالى اتصالاً مباشراً وأكثرهم معرفة بحاجاتهم ومعاطفة على شئونهم ولذلك وجب عليه أن يكون على صلة دائمة بالهيئة الحاكمة فى المركز أو فى المدينة التى يقيم فيها ويتعرف على الكثيرين ممن تربطهم والريف شئون وأشغال وأنا أعتقد أن السبيل الوحيد إلى ذلك هو بالاشتراك فى الأندية الاجتماعية والرياضية التى تنشأ فى المركز أو فى المدينة والتى يؤمها كثيرون من الموظفين وغير الموظفين من الأهالى والأعيان.

فى هذه الأندية يقع التعارف بين حضرة موظف التعاون وبين رجال الحكومة الآخرين المقيمين فى المدينة أو المركز ويستطيع بواسطة هذه الصداقة أن يقضى كثيراً من مطالب الريفيين الذين هم أعضاء فى الجمعيات التى يشرف عليها ويرعاها من غير أن يلقى صعوبة ما، ولما كان التعاون نظاماً اجتماعياً قبل كل شيء فوجب علينا نحن التعاونيين أن نتعرف الوسط الذى نعيش فيه ونختلط بالأقوام الذين تربطنا وإياهم شواغل اختلاطاً غير يسير.

أما فى الأندية الرياضية فإننى أجد لزاماً على موظفى التعاون أن يشتركوا فيها لأن فيها ترويحاً لنفوسهم من عناء العمل، وتقوية لأجسادهم وأعصابهم ومجالدة لصبرهم وهذه كلها خلال يجب أن تتوفر فى موظفى التعاون.

ويسرنى أن أقول إننى قد شاهدت فى مديرية الشرقية هذه الروح الطيبة وهى روح الاشتراك فى الأندية - وقد سَرَتْ فى نفوس موظفى التعاون وأثمرت ثمرات طيبة وإنى لأرجو أن يقتدى موظفو التفاتيش الأخرى وينهجوا نهج موظفى التعاون بالشرقية.

حلاق .. طبيب!

كثيراً ما يمارس مهنة الطب فى أريافنا المصرية قوم جهلاء هم أبعد ما يكون عن الطب والتطبيب. وكثيراً ما تذهب أرواح الفلاحين ضحايا جهل هؤلاء الحلاقين

المطببين.

ولقد حدث أن زرت فى زورتى الأخيرة جمعية تعاونية ولما اكتمل عدد أعضائها تذكرت أحد الأعضاء وكنت قد تعرفت إليه فى زيارة قبل هذه فسألت عنه فقيل لى إنه مريض وإنه قعيد المنزل فلما سألت عن سر مرضه لم أظفر بجواب شاف ولهذا اعتزمت أن أزور الرجل فى منزله. وأدليت برغبتى هذه إلى أحد الحاضرين فقادنى إلى حيث يقيم المريض ولما دخلت عليه غرفته المظلمة العميقة الحلوكة فى رابعة النهار أحسست بقشعريرة تسرى فى جسدى ولم أستطع أن أفلت من فمى تنهدة عميقة.

ودخلت هذا الغار أو إن شئت فسمه الجب الذى هو غرفة والتى يقدر أن يرقد فيها مريض هو أحوج ما يكون إلى حرارة شمس وإلى هواء نقى وإلى مناظر طبيعية بهجة تفيض حيوية وتنسيه وحشة الظلام والوحدة الموت!

وبعد جهد جاهد تعودت عينى هذا الظلام واختلط نورها بجو الغرفة واستطعت أن أرى السرير وأن أرى هيكلاً لم أستطع أن أتبينه لولا حركة لمحتها فوق السرير ولولا صوتاً خافتاً مبحوحاً صادراً من هذه الناحية.

تقدمت نحو الرجل وأنا ساهم البال مذهول اللب. أهكذا يتحول هذا الجسم القوى العضلات، الممتلئ بالحياة والشخصية القوية الجبارة إلى بقايا عظام وإلى آهة خافتة؟

وسألت الرجل عن مرضه فأخبرنى أن ذلك يرجع إلى عام فائت فقد ذهب إلى حلاق القرية وسأله أن يفتح دملاً له فى فخذه فما كان من هذا الحلاق إلا أن أعمل فى جسم هذا الفلاح مبضعه – وما كان هذا المبضع غير مقص – فتسمم الجرح وكاد يودى بصاحبه لولا عناية الرحمن.

ولكن ترى هل شفى الرجل؟ كلا. لقد أصيب بداء ملح يشف روحه ويضنى جسده.

فهل توقف الحكومة أمثال هؤلاء السفلة المجرمين – وأقصد بهم هؤلاء الحلاقين الذين يمارسون مهنة الطب – أقول، هل توقفهم الحكومة عند حد حتى ينجو الريف المصرى من أذاهم ومن أخطارهم؟

المعابر القروية ووجوب إصلاحها :

وأقصد بالمعابر القروية هذه الطرق الطويلة الضيقة، المستقيمة الملتوية، المرتفعة المنخفضة، التى تتخلل الحقول إلى القرى المصرية المتناثرة فى أنحاء الوادي.

تعتبر هذه المعابر الطرق الوحيدة التى تركبها قوافل المدينة من المركز أو المدينة إلى القرية وإننا لنتساءل هنا ترى هل تصلح هذه المعابر لسير هذه القوافل فيها؟

الجواب على ذلك مفهوم هو لا.

إن كثيراً من هذه المعابر – إن لم يكن معظمها – لا يصلح مطلقاً لسير المركبات فيها ناهيك عن سير السيارات ولذلك يجد كثير من الملاك والأعيان وكبار الموظفين صعوبة كبيرة فى زيارة هذه القرى.

فمن المسئول عن إصلاح هذه الطرق؟ أهى الحكومة أم هم الريفيون أنفسهم؟

إن على الحكومة واجباً وعلى الريفيين أيضاً واجب، على الحكومة أن تسعى إلى إصلاح هذه الطرق بكل الوسائل وعلى الريفيين أن يحافظوا على هذه الطرق بعد إصلاحها فلا يجورون على ترابها – كما هى العادة المتبعة فى الريف – ولا يتركون ماء الرى يغطى عليها فتتحول إلى منزلق وإنما يجب عليهم أن يساعدوا الحكومة مساعدة جدية فى إصلاح هذه الطرق والمحافظة عليها.

الأدب الديمقراطى والتعاون يتخلصان من الرأسمالية

للأستاذ الهمشري. المحرر بمجلة التعاون

الأدب والحياة:

ما هو الشيء الذى يجعل شعباً من الشعوب أو أمة من الأمم خالدة الأثر، عريقة المجد بين الأمم الأخرى أو ما هى الأشياء التى تفخر بها أمة وتتيه على أترابها؟

يجيب بعض الناس على هذا فيقولون إنه اتساع المملكة أو ثروتها هما اللذان يجعلانها عظيمة ولكن هذا محض الخطأ.

ويجيب بعض أناس آخرين على هذا قائلين إن مركز الأمة بالنسبة لغيرها أو كثرة الموانئ والمرافئ هو سر نجاحها. ولكن رأى هؤلاء أيضاً لا يدخل فى دائرة الصواب. ليكن لأمة كل هذه المزايا ولكن إن لم يكن لديها رجال يفهمون هذه المزايا ويستخدمونها فى الطريق السوى وفى الغرض الأسمى فإنها لن تكون عظيمة العظمة الحقيقية. إذن يمكننا أن نجيب على سؤالنا الأول بما يأتي:

إن الأمة تعتمد فى عظمتها أو فخامتها على الرجال والنساء الذين ينسبون إليها وأن الأشياء التى ينشئها هؤلاء الناس والطريق الذى يتخذونه لإنجاز هذه الأشياء والآثار التى تجعلها بين أحدوثة جليلة بين الأمم. فكثير من هؤلاء الناس يقومون بأعمال خالدة كبناء الطرق والكبارى والمساجد والكنائس الجميلة والمعابد إلى غير ذلك وقد تبدوا هذه الأشياء فى نظر بعض الناس أقل من المظاهر الطبيعية الأولى التى ذكرتها. ولكن هذه الأشياء تعلم الناس كيف يفكرون وكيف يقولون الحق. وحينما تمتلك أمة من الأمم أياً من هذه المفاخر التى ترثها عن أبنائها السابقين فإنها ستعتز بهذا التراث العريق الخالد وتحافظ عليه جهد طاقتها لسببين:

١) لأن هذه الآثار جميلة فى ذاتها.

٢) لأنها أنشئت بتكريس الجهود لها وبنشاط أبنائها العظيم وسعيها المتواصل إلى إنجازها. ولهذا فهى ذكريات خالدة لأرواحهم الخالدة التى تحرص على ألا تدع

النسيان والموت يمتدان إليها بعد أن يموت أولئك الأبطال بنوها.

فإذا ما زار أحد الأجانب اليوم مصر مثلاً فإنه لن تروعه هذه الصخور والموانئ الممتدة على ساحل البحر الأبيض. لن تروعه الإسكندرية أو القاهرة بقدر ما تروعه الأهرامات الجميلة والمعابد الهائلة، إنه سيقف حيالها قائلاً ومحدثاً نفسه:

ما أعظم الفن فى هذا البناء..

وما أجمل أجمل التصميم..

وإذا ما دخلها ورأى النقوش والتماثيل قال وقد زاد ابنهاراً:

لله در هؤلاء الفنانين ما أنضج فكرهم وأوسع أفق حياتهم أى فرح روحى كان يشيع فى نفوس هؤلاء المثالين الذين أتقنوا هذه التماثيل والصور والنقوش؟ أى شعر وأى فلسفة وأى نشاط؟ أى لطف وسمو نفسي.

إن هذا الأجنبى يمتدح العامل حينما يعجب بعمله وعند امتداح هذا العامل يمتدح الشعب الذى نشأ عنه هذا الذهن العبقري.

ولكن إذا فرض وكان الشعب مهملاً مستهتراً كثيراً بما خلفه السلف له من تراث فإن هذا الشعب لا يحفظ هذه الآثار وإنما يتركها للعم فإذا ما أتى جيل جديد رأى أنه قد سرق منه إرثاً كان يعتبره إرثاً مجيداً خلفه له أجداده الأقدمون والكثير منهم يقضون سراة حياتهم يبحثون عن هذا التراث المجيد عن قصد الجمال التى لم يقصدها الفناء والتى فازت بالبقاء.

فإذا ما ظهر بها راعهم الجمال المدفون تحت التراب والخلود الذى نسج عليه الإهمال نسيجاً كثيفاً ورأوا أرواح أجدادهم القدامى تطل عليهم وتحدثهم حديث القرون.

الأدب والحياة:

وبعض هؤلاء الأجداد الأجلاء يتركون رسالتهم فى ألفاظ تشيع فيها الأنوار والظلال والحركات والسكنات والآمال والآلام وكل ما كان يكتنيهم أثناء حياتهم وهذه الرسالة إنما تحدث هؤلاء الأبناء حديثاً قوياً خالداً لا ينقطع.

هذه الرسالة هى الأدب، وقد تكون شعرية أو نثرية وهى مهمة شاقة لا يقوم بأدائها إلا أفراد قلائل ممن أوتوا الإلهام وهبط عليهم وحى خاص.

وإنك لتقرأ هذا الحديث الخالد هذا الحديث الذى ترويه القرون وكان كل لفظ فيه مخزن الكنوز، أو قارورة العجائب ففى مخزن الكنوز قد يجد الإنسان كثيراً من اللآلئ النفيسة الجذابة الجميلة. يجد عقوداً من الفريد وعناقيد من الجوهر وحبات من الزمرد والعقيق وتهاويل من الحلى والصور إلى غير ذلك. وفى «قارورة العجائب» تبهر العين لون الطيف السحرية والآفاق الخالية والأقواس القزحة التى تفسح أمام الخيال دنيا يضل فيها الخيال.

لكن كل هذه الكنوز والعجائب تعيش متفرقة متباينة، فاللآلئ تتباعد عن حبات الزمرد والألوان لا تكاد تنسج مع بعضها لأنه لا يوجد بينها صلة أو آصرة ترعاها جميعاً. وإنك حين تقرأ تاريخ هذه العجائب لا تجد ما يفيدك عن الرجل الذى جمعها أو ضمها جميعاً لأول مرة ولا تجد ما يدلك على منشئها.

ولكن الأدب على العكس من ذلك فهو صورة من نفس صاحبه أوليس الأسلوب هو الرجل؟ إن الفكر كالبحر والحياة هى الشاطئ الذى يلقى إليه من لآلئ وأصداف وأشلاء وأحياء وما تحويه جعبته العظيمة من عجائب.

وهذه مهمة شاقة تكفل بها هؤلاء الآباء فلقد نقلوا إليها حضارات الماضى كله وترجموا لنا حياتهم ولم يقتصر بعض منهم على أن يكون الإرث الذى يخلفه للأبناء إرثاً قديماً وإنما سعى إلى المستقبل ففتح معالم تشق على الطيف وراد أقطاراً تفضى الجبال أن يتقصاها.

الإنسانية والأدب :

فالأديب هو نبى يترجم عن آمالها وآلامها، عن حقائقها وعن أحلامها وهو الذى يكشف الجمال أمام أعينها إذا عز الجمال، ويخلق من البلقع الجدب جنة فيحاء.

هو الذى يسعى إلى تحقيق المثل الأعلى فى الحياة بعد هدم الفاسد من النظم والأوضاع وإدماج الطبقات بعضها ببعض إدماجاً تاماً حتى تتحقق مبادئ الحرية والعدل والمساواة بينها.

الأدب الديمقراطى :

وعلى ذلك فمهمة الأديب أن يؤلف من أدبه وحدة اجتماعية بارزة، وهذا لا يتم إلا إذا كان أدبه أدباً ديمقراطياً بكل ما فى هذه الكلمة من معنى. يجب ألا يعيش الأديب أرستقراطياً منعزلاً وإلا اقتصرت رسالته على ناحية واحدة من الحياة هى أبعد

ما تكون عنها. اقتصرت رسالته على سكان هامش الإنسانية وعلى الطوائف المتطرفة منها وعلى الملوك والنبلاء وأذواقهم وشهواتهم الطبقات الأخرى التى هى قلب الإنسانية ووجدانها الصادق. إن العنصر الأول الذى يكون فى الحياة هو الألم وإن أشهى الأغانى التى تعمل أفاعليها فى نفوسنا هى كما يقول الشاعر (شيلي) ما سألت وهى مكتئبة حزينة. وما السرور إلا عارض فى هذه الحياة ولهذا لن يعيش أدب هؤلاء الأرستقراطيين الملكيين أمثال كيلينج وماسفيلد فى الأدب الإنجليزى أو الأديب البرجوازى بول بورجيه فى الأدب الفرنسى أو شوقى شاعر الأمراء فى الأدب المصري. إن المدينة القادمة هى مدينة ديمقراطية وسوف يعيش هؤلاء الأرستقراطيون فيها لأنفسهم ولا عاش من ولد لنفسه فقط. إن الأديب الذى يعيش لنفسه هو كالرجل الرأسمالى الذى ينسى حقوق الناس ويفنيها فى شهواته.

الأرستقراطية فى الأدب معناها الأنانية والإثرة وتتحول أغراض الثقافة من خدمة عامة إلى مصلحة خاصة تنشد المنصب والثروة ولو على أنقاض البلاد.

ليحدثنا هؤلاء الأدباء العظماء عن حياة الفلاحين المساكين وعن العمال البائسين الذين يتعذبون دون أن يجدوا أذناً مصغية ترحم شكواهم.

ليحدثنا هؤلاء الأدباء العباقرة عن طرق الإصلاح متى قد فكروا فيها لإنقاذ هذه الطبقات مما تكابده من الألم.

ويل لهم لقد فتنتهم المدينة أيما فتنة فتاجروا بأدبهم وبعلمهم لكى يضمنوا لهم ثراء ومجداً يعيشون بهما فى رغد عيش وقبعوا فى بيوتهم لا يجاهرون بآرائهم أو يدلون بعقائدهم.

وإن الترفع والكبرياء وسائر غرائز الإثرة الشائعة فى الروح البيروقراطية العتيقة هى التى تحفر الهوة السحيقة بين هؤلاء الأدباء المتعجرفين وبين صغارهم المتواضعين الذين يمثلون الشعب وهى التى تؤخر حركات الإصلاح فى الريف بالنسبة للفلاح وفى المدن بالنسبة للعامل.

ولقد كان من جراء هذه الأرستقراطية الفكرية أن هاجر كثير من الأعيان إلى لندن ليكونوا على اتصال تام بهذه المظاهر الفاتنة ومن هنا نشأ كره الريف وبغض الحياة فيه فعطلت مصالحه وأهملت مزارعه وقلت محصولاته وضعف مستواه الفكري.

ولما كان التعاون يعمل على إرجاع هؤلاء الأعيان المتغيبين إلى قراهم حتى ينظموا الحياة فيها وحتى يرفعوا من حالتها الاجتماعية لتكون فى مستوى يتفق ومعيشتهم فيها وبذلك تنشأ المدنية الريفية التى هى غاية التعاون فى البلاد الزراعية.

ولما كان هذا لا يتم له إلا بعد التخلص من الرأسمالية شيئاً فشيئاً حتى تتوازن الطبقات وتتقارب من بعضها. رأيناه يشترك مع الفكر الديمقراطى فى ذلك لأن الأخير أيضاً يعمل على التخلص من الرأسمالية فى الفكر ويعمل على تقريب الطبقات بعضها من بعض.

إن شجرة الإنسانية العظيمة التى خرج منها فرع التعاون هى نفس الشجرة خرج منها فرع الأدب الديمقراطي.

وبهذه المناسبة نسوق هذه القصة الطريفة التى حدثت بين أديبين أحدهما أديب أيرلندى عالمى اشتراكى النزعة يعمل على التخلص من الرأسمالية ويندد بالأرستقراطية وهو يعد أرستقراطى يبدو الكبرياء فى كثير من تصرفاته وتبدو الرأسمالية فى كثير من أفكاره وبين أديب مصرى ديمقراطى النزعة فى أقواله وأعماله.

الأديب الأول هو الكاتب الأيرلندى الشهير جورج برنارد شو، أما الأديب المصرى فإننا نحرص عن ذكر اسمه. عندما زار الكاتب برنارد شو مصر رأت فئة من الأدباء أن تدعوه إلى حفل يتم فيه التعارف بين أديب أيرلندا العظيم وبين أدباء مصر. وألفوا من بينهم وفداً ذهب إليه فى المنزل الذى يقيم به. ولما طلبوا مقابلته رفض استكباراً قائلاً: إن برنارد شو قد توفى فرجعوا من عنده وقد تولتهم الخيبة. وقد دفع هذا العمل الأحمق المتعسف أديباً فاضلاً أن يثأر لكرامته من هذا الأديب الذى يخفى شيطان أرستقراطيته فى مسوح هى أشبه بحلة المهرج فى الكرنفال.

ولقد نجح أديبنا العظيم المتواضع أن أرسل سهاماً رائشة فى إكليل من الأزهار والرياحين إلى أديب أيرلندا العظيم:

وها نحن نسوق كتابه إلى القراء فيه تذكرة.

إلى أديب عصره:

لما هبطتم أرض مصر رأى جماعة من أدبائها المفتونين بكم أن ينتهزوا فرصة للإعراب عما يكنون من إعجاب وإجلال لزعيم أدباء العصر فى حفلة يتشرفون فيها بحضوره فذهب إليكم رسوهم فى تواضع وإكبار يستجدى الحظوة بقبولكم الدعوة

ويلتمس الشرف بتنازلكم للحضور فكان جوابهم على هذا الرجاء الصادر عن أكرم العواطف وأنبلها رفضاً مفرغاً فى قالب من الجفاء يكاد يكون انتهاراً.

مضت هذه الحادثة التى ألمت نفوساً توجهت إليك نزيهة من كل غرض إلا التمسح بعزيز لديهم ثم جلستم بعد ذلك فى الفندق تتحدثون إلى جليس وتفضون إليه بالشكوى من لؤم الطبيعة الآدمية واستعصائها عن كل علاج حاولتم به إصلاحها بالرغم مما بذلتموه فى هذه السبيل من مجهودات شتى ولقد أشرتم فى عرض الحديث – تأييداً لنظريتكم – إلى المترفين الذين جلسوا فى شرفة الفندق يبعثرون المال فى جمحات هواهم ذات اليمين وذات اليسار بينما يجيئهم سائل يستجديهم فينتهرونه.

لست ألتمس المعاذير لأولئك المترفين ولا أنا بالذى يجرؤ على توجيه اللوم إلى برنارد شو تلك الشخصية العظيمة التى أقف بين يديها منكس الرأس خشوعاً وإجلالاً ولكن ألا يوافقنى سيدى وهو صاحب النظرات الدقيقة التى لا تفوتها أوجه الشبه – مهما خفيت – بين الأشياء أن هناك وجهاً للشبه بين موقف ذلك المترف ينتهر فى صلفه وكبريائه ذلك السائل المسكين وقد جاء فى ذله واستخذائه يستجديه شيئاً من ماله وبين موقف الأديب الكبير ينتهر فى خشونة وجفاء جماعة من الأدباء المتواضعين وقد جاءوا يستجدونه لحظة يشرق فيها عليهم بمجده وصيته وجاهه.

إنى أرى وجه الشبه دقيقاً بين إسراف ذلك المترف فى تبذير ثروته متابعة لأهوائه اعتماداً على أنه يغترف من معين لا ينضب وبين إسراف ذلك الأديب فيما يجرح سمعته مطلوعة لكبريائه اعتماداً على شهرة تسامى الشمس رفعة وتضاهى أشعتها اتساعاً.

هذه ملاطفة عنت لى أضعها بكل احترام تحت عين سيدى راجياً أن يغتفر لى جرأتى ويعذرنى إذا لم تذهب بى الشجاعة إلى البوح باسمي.

(٥)

كتابات ودراسات عن الهمشري





الشاعر الهمشرى كما عرفته

ذكرى وبحث وتحليل

بقلم الدكتور محمد أبو طائلة

رئيس تحرير مجلة التعاون

كان أول عهدى بشعر «الهمشري» حين كنت محرراً للبلاغ الأسبوعى فى سنة ١٩٢٦، وكان من أبواب هذه الجريدة باب عنوانه «ديوان الأسبوع» أنشر به مختارات مما يبعث به الشعراء. ففى أحد الأيام جاءتنى قصيدة قليلة الأبيات عنوانها «العين الزرقاء» وموقعة بإمضاء (م.ع. الهمشري) ولم يكن معها خطاب ولا إيضاح وإنما دلنى ختم البريد على أنها مرسلة من المنصورة.

أعجبنى من ذلك الشعر رقته وحلاوته، فنشرته فى أول «ديوان الأسبوع» وقدمته على قصائد شعراء آخرين معروفين، وقد كتبت تحت عنوان القصيدة أنها «للأستاذ م.ع. الهمشري»، ولم أكن أعلم فى ذلك الحين أن هذا «الأستاذ» ليس إلا فتى يافعاً وتلميذاً بمدرسة المنصورة الثانوية.

وهكذا قال الهمشرى الشعر، ونشرت له أولى قصائده، وهو لم يكد يتخطى دور الطفولة، فكان الشاعر الموهوب منذ حداثته، وكأنما أحس قصر العمر فتجعل الإنتاج الأدبى واستحث النبوغ والعبقرية، فما أن بلغ الثلاثين حتى كان قد صعد الذروة وأدى الرسالة.

أما آخر عهدى بشعره – ويا للأسف – فقصيدة عنوانها «عاصفة فى سكون الليل» أعدها للنشر فى مجلة التعاون، فأبى القدر إلا أن تنشر بعد وفاته. ويراها القارئ فى ختام هذا المقال.

نشأته وبيئته :

المعروف عن «الهمشري» أنه ولد بمدينة السنبلاوين، لأنها موطن أهله وعشيرته، ولكن الحقيقة كما عرفتها منه أنه ولد «برأس البر» أثناء اصطياف أسرته على

عادتها كل عام. وكان والده المرحوم عثمان بك الهمشري، شغوفاً بالموسيقى والغناء، لا يفتأ يقيم حفلات موسيقية خاصة ويدعو إليها أصحابه من الأعيان، ويعزف فيها على «القانون» الذى كان يجيد العزف عليه، فيشق سكون الليل أعذب ألحانه.

وفى هذا الجو الموسيقي، وتلك البيئة الفنية، وفى سكون الريف ورفاهية أعيانه، نما شاعرنا وترعرع، وجمع بين شاعرية متمكنة من نفسه، وبين تأثير ذلك الوسط الشعرى الجميل، فكان كالبذرة الصالحة تغرس فى تربتها الملائمة، فتنمو وتورث وتؤتى أكلها بعد حين.

وما أن شب عن الطوق ودخل مدرسة المنصورة الثانوية حتى فاضت نفسه بشعرها الكامن، يقوله على السليقة من دون كلفة، فكان شاعر المدرسة الذى لا يبارى.

ومن عجب أنه وهو طالب صغير بتلك المدرسة قد أكثر من الاطلاع على الأدب العربى القديم حتى جنى من اللغة العربية وكلماتها محصولاً وافراً استغله فى شعره فى ذلك الحين وفى السنوات التاليات.

ولما تخرج فى مدرسة المنصورة الثانوية دخل كلية الآداب بالجامعة المصرية إذ وجدها أقرب من غيرها إلى ميله ونزعته. غير أنه كان فيها يتبع وحى هواه فى الاطلاع ولا يرضى أن يقيد نفسه ببرنامج للدراسة. وانتهى الآمر به إلى أن خرج منها بعد سنتين، وراح يستزيد من الاطلاع وقد تفتحت أمامه أبواب الأدب الإنجليزى فأخذ يلجها ويجنى من هذا الأدب محصولاً يضيفه إلى ثروته من الأدب العربي.

وفى عام ١٩٣٤ عين محرراً لمجلة التعاون ومكث يدبج المقالات والقصائد لها حتى اغتالته المنية صباح يوم ١٤ ديسمبر الماضى (المقصود سنة ١٩٣٨) على أثر عملية جراحية.

مزايا شعره :

كان طبيعياً وقد نشأ (الهمشري) فى تلك البيئة الريفية أن يحب الريف ويعشق الطبيعة، ومن ثم امتاز شعره أول كل شيء بوصف الطبيعة والإشادة بالريف. وبينا غيره من شباب الشعراء يتغزل بفتاة حسناء، كان هو رحمه الله ينظم قصيدة طويلة فى وصف زهرة أو شجرة، أو طائر، أو التغنى بطلوع الفجر أو ظهور الشفق، أو الترنم بخرير الماء أو صياح الديك، أو مثل ذلك من مظاهر الريف ومحاسن الطبيعة.

وقد خلق فى «مجلة التعاون» باب «الأدب الريفي» و«الأدب التعاوني» وفيهما كان بحق رسول الريف إلى الحضر، الذى لا يفتأ يبدى جمال الحقول، ويندد بمن لا يرون آياته فيفرون إلى المدن الصاخبة.

ومن الشعر ما تقرأه فتحس أن صاحبه نحته نحتاً، وتشعر فى قراءته بمثل ما عانى الناظم فى «نظمه». أما شعر الهمشرى فكالماء الزلال انسياباً، لا جهد فيه ولا عناء، بل سليقة مطردة، ووصف متماسك، يجذب أوله آخره. وقد حقق فى شعره «وحدة القصيدة» التى كانت مطلباً قديماً عجز دونه أكثر الشعراء. فإذا قرأت قصيدة له خيل إليك لتماسكها ودقة وصفها أنها «صورة» رائعة لمنظر بديع، وحسبت أن الشاعر إنما هو «رسام» أبدعت ريشته تلك الصورة. غير أنه رسام لا يلهيه الكل عن الجزء، فهو يعنى بكل دقيقة ويبرزها كما يعنى بالمجموع كله.

ومما يتصل بذلك وصفه «للألوان» فى قصائده وصفاً ما أحسب شاعراً سبقه إليه، حتى ليصح أن يدعى «شاعر الألوان» كما أنه شاعر الريف والطبيعة. وقد كان رحمه الله فى حياته الخاصة يحب الألوان ويلتفت إلى كل زاه غريب منها، ويبدو ذلك فى اختياره «أربطة الرقبة» على الخصوص، فقد كان كل حين يفاجئنى برباط جديد منها يلبسه، وما كاد أعجب من ألوانه حتى أراها جميلة غير متنافرة.

أما حسن السبك واختيار اللفظ وموسيقية الشعر، فكلها ماثلة فى قصائده الممتعة. حدثنى حضرة صاحب العزة الدكتور إبراهيم رشاد بك مدير التعاون قال:

«كان الهمشرى رحمه الله يعلم أولادى الصغار فى بعض الأحايين ففى أحد الأيام كان عليهم أن يحفظوا قصيدة إنجليزية عنوانها Snow Drop وما يقابلها من شعر عربى ترجمها إليه شاعر لا أذكره. وقد جهد الأولاد حتى حفظوا القصيدة الإنجليزية ولكنهم عجزوا عن حفظ الأشعار العربية التى ترجمت إليها، حتى اعتذروا لى بصعوبة ألفاظها، فما كان من الهمشرى إلا أن ترجم تلك القصيدة ذاتها إلى شعر عربى سلس، وسرعان ما حفظها الأولاد عن ظهر قلب».

وقليل مثله من الشعراء، لم يتجر بشعره، ولم يتقرب به إلى كبير، ولم يلتمس منه مصلحة شخصية، ولم يتخذه أداة للانتقام والأذى.

ديوانه :

كان أول قصيدة نشرت للهمشرى هى قصيدة «العين الزرقاء» التى أشرت

إليها فيما سلف. وقد ظهرت بعدها عدة قصائد له فى جريدة «السياسة الأسبوعية» وقدمه وقتئذ إلى قرائها حضرنا الدكتور هيكل بك (باشا) والدكتور طه حسين بك بثناء وافر، ثم أخذ ينشر قصائده فى مجلة «أبوللو» التى كان يصدرها حضرة الدكتور أحمد زكى أبو شادي.

وعلى ذكر هذه المجلة أقول أنها أصدرت عدداً خاصاً به ملحمة طويلة من نظم الهمشرى عنوانها «شاطئ الأعراف» وقد أوغل فيها فى فيافى الخيال على طريقة «الفريد دى موسيه» فى «لياليه» ولكن دون معانيه، فقد كان الهمشرى رحمه الله لا يكتب إلا وحى نفسه ولا يرضى أن يستمد معنى من أحد. والحق أنه بتلك الملحمة قد كون مجده فلم يعد بحاجة إلى مزيد، ولو لم يكن له سواها لكفت لأن تسلكه فى عداد كبار الشعراء المجددين.

ثم نشر رحمه الله قصائد عديدة فى مجلة «المقتطف» ومجلة «الرسالة»، على أن أكثر شعره الذى نظمه فى السنوات الثلاث الأخيرة قد خص به مجلة التعاون، وعليها أعتمد فى كتابة هذه العجالة.

هذا وقد عزم حضرة صاحب العزة الدكتور إبراهيم رشاد بك على جمع شتات شعر الفقيد فى ديوان يصدره قريباً، تقديراً له ووفاء لذكراه.

أخلاقه :

كان الهمشرى شاعراً فى حياته الخاصة لا فى شعره وحده، فكان قليل النظام، لا يحب أن يقيد نفسه بأى برنامج فى عمله ورياضته، وفى مأكله ومشربه. وإنما كان يتبع وحى هواه ومزاجه، وقد يترك نظم الشعر وكتابة المقالات وترجمة الموضوعات، أياماً متوالية، وإذا به فى يوم أو يومين يعوض كل ما فاته فينظم بضع قصائد ويحرر عدة مقالات. ومتى وافاه هواه صمد للعمل وأبدى فيه جلداً لم أره لغيره، وكان يعاونه عليه شبابه وقوته وبعده عن كل مرض.

وعلى الرغم من صحته وشبابه، لم يكن بالشاب الطائش الذى ينغمس فى اللهو والمتعة، بل كان أقرب إلى الجد والرزانة، كثير الحزن إذا خلا إلى نفسه، حتى إذا صار فى مجلس لم يلبث أن يصبح منبع أنسه ومصدر بهجته.

وكان سريع الغضب، سريع الرضا، له قلب كقلوب الأطفال صفاء ونقاوة، لا يعرف الحقد ولا الرياء ولا المواربة، بل جبل على الصراحة التى تؤلم من كان لا

يعرف طباعه.

وكان شديد الأنفة من دون كبر، معتزاً بكرامته لا يفرط فى ذرة منها لكبير أو صغير، كثير الاعتداد بالنفس من دون غرور، يرحب بالنقد ويستمع إلى النصح، يحترم من هو أكبر منه سناً، ولا يبدأ أحداً بعدوان.

وكان قليل الكلام عن نفسه وشعره، لا يطالعك بقصائده إلا إذا طلبت إليه، فيلقيها إلقاء يزيد فى جمالها.

وكان وفياً لأصدقائه يؤثرهم على نفسه، فلا عجب أن عظمت فجيعتهم فيه ويكوه كما يبكى الأخ الشقيق أو أشد.

رسول الأدب الإنجليزى :

كان الفقيد عضواً «بالاتحاد المصرى الإنجليزي» ولم يكن ذلك عبثاً ولا وليد المصادفة، فقد عرفه الإنجليز من أعضاء ذلك الاتحاد رسولاً للأدب الإنجليزى إلى قراء اللغة العربية، وكانوا يعجبون بوفرة اطلاعه على أدبهم وتعمقه فى دراسة شعرائهم، وخصوصاً «شيلي» الذى كان دائم الإشادة بحلاوة شعره.

ولم يقف جهده فى هذا الميدان عند حد الدراسة، بل ترجم كثيراً من القصائد الإنجليزية الرائعة إلى شعر عربى رصين، لا يحسب قرائه أنه (مترجم) لولا أنه منسوب إلى أصله، وأذكر من ذلك قصيدة I F «إذا» لشاعر الإمبراطورية البريطانية رديارد كبنج التى ضمنها نصائح غالية للنشء البريطاني، وقصيدة «القرية المهجورة» لأوليفر جولد سميث، وقصيدة «إلى القمر» لشيلى الخ.

وإليك بعض أبيات مترجمة من القصيدة الأولى:

إذا أنت قد صدقت نفسك بينما ... ظنون الورى ترتاب فى ذلك الصدق

وبالرغم من هذى الشكوك عذرتهم ... وقابلت هذا الشك باللين والرفق

إذا استطعت أن تقصى عدوك عن أذى ... وتأمن حتى صاحباً لك وافيا

إذا أنت قدرت الرجال جميعهم ... ولم تك فى هذا الحساب مغاليا

ومن قصيدة «القرية المهجورة»:

واسوأتاه لأرض أصبحت غنماً ... ترعاه عاجلة الأقسام والنوب

تزداد ثروتها والقوم نخوتهم ... تهوى فتؤتها خوارة العصب

أهـل الإمـارة مـن صـيد غطارفـة   أو من ذوى الجاه والألقاب والرتب

ومن قصيدة (شيلي) بعنوان «إلى القمر»:

أشـاحب أنـت مـن هـم وتفكـير   وسـاهم أنـت مـن ضـنك وتكـدير
تـسير بـين نجـوم لـيس يوثقهـا   عمـد ومـسراك فى هـذه الـدياجير

شاعر الطبيعة :

من قصيدة للهمشرى فى وصف الربيع:

هـو الربيـع إذا هبـت شـمائله   هـز البـسيطة دانيهـا وقاصـيها!
فـصل جميـل مـن الجنـات مـشرقه   تبـدى الطبيعـة فيـه كـل مـا فيهـا!!
كـأن أيامـه والحـب يـشملها   أحـلام حـسناء طافـت فى لياليهـا!
كأنما النـور فـوق العـشب مـسرحها!   والزهر أسرابها دفت على فيهـا!! (١)

ومن قصيدة عنوانها «طلوع الفجر»:

فى سـكون الليـل والفجـر غريـق   نبـه الإنـسان صـيداح الـسحر
مـا لهـذا الـشرق يبـدو فى حريـق   أذعـر الأنجـم منـه والقمـر
أيهـا النعـسان فى دنيـا الـسما   تتمطـى فى سريـر الـشفق
النـدى حولـك يهمـى موهنـاً   والأزاهـير حيـارى الحـدق
هتـف الكـروان فى الأفـق البعيـد   كالمـصلى تحـت محـراب القمـر
ناسـك فى الليـل يـدعو ويعيـد   هـام وجـداً بالـذى صـاغ الـسحر

شاعر الريف :

من قصيدة له بعنوان «مسارح الشفق»:

شـأن نفـسى وذاك فى غـرام   أن تحـب النبـات والأعـشابا
وتلـذ الجلـوس فى ظـل أيـك   رفـرف الطـير فوقـه أسرابـا
وانحنـت تحتـه الغـصون سـكارى   مـائلات أعطافهـا إعجابـا
يتغنـى بـين الـثمار بلحـن   هـل سـمعت القيـان غنـت طرابـا

---

(١) دفت رفرفت.

مـن وحيـدين يـسجعان سرورا — وفريـدين يـشدوان انتحابـا
وجـرى المـاء فى الغـدير رحيقـاً — وجـرت فوقـه الزهـو رحبابـا
وكـأن النـوار فيـه نجـوم — ركبـت تحتهـا الميـاه سـحابا
وحكـى السرو فى الربـى مستهاماً — وحكـى بينـه الغـدير كعابـا

ومن قصيدة له عنوانها «الأغنية المسائية أو عودة الراعي»:

هـا هـو الليـل مقبـل يتهـادى — فارسـاً يمتطـى ظهـور التـلال
ونـسيم المـساء يـسرق عطـراً — مـن ريـاض سـحيقة فى الخيـال

ومنها قوله:

كـم مـشينا بـين الحقـول طـويلاً — نـشتكى الـشوق والهـوى والغراما
وإذا مـا تعبـت نجلـس حينـاً — فـوق شـط الغـدير نـشكو السقاما
تحـت تعريـشة الكـرم نرعـى — قمـر الليـل فى جـلال الـسكون
وخريـر الميـاه فـاض غنـى — مثـل قلبـى يهـدى إليـك حنينـي
والنـسيم العليـل يعبـق عطـراً — يتهـادى فى غـيرة مـن دلالـك
ونجـوم الـسما تحنـو علينـا — بـشعاع يحكـى شـعاع جمالـك

الشاعر الرسام :

من قصيدة للفقيد عنوانها «حدائق الشفق»:

بـين الـدجى واحمـرار شعـه الـشفق — النـور يـرقص فى عينـى ويـأتلق
لا هـدأة تـسعد الحـيران لا سـنة — تقـر عينـى بهـا قـد شـفها الأرق
فـلا أرى غـير أحـلام مكوكبـة — وغـير رسـم سـماء بـات يحـترق
هذا النهار خلال السحب يظهر لي — لقـد لمحـت عـلى الـوادى بـشائره
تلـوح شـاحبة فى الـشرق حالمـة — توشـع الـسحب الـدنا ضـفائره
وأنت.. نافورة الحسن التى خفيت — أيـان ألقـاك.. أو ألقـى مـصادره؟

ثم قوله :

وكانـت الـسحب الغـيماء سـارية — على المحيط خفاف الركب فى سرب
قد أبدعت صبغ وشى من مطارفها — فى حمـرة عجـب، فى فتنـة ذهـب
وتـرقص الأنجـم الزهـراء رقـصتها — فى مطلـق مـن أثـير الجـو ملتهـب!

ثم قوله :

أما الذى وشع الأمواه بالنور ... فزورق ناصع الألوان بللوري
بيناه فى ثائر الأمواج مضطرب ... يختال ما بين تصعيد وتغوير
بدا الدليل له فى الليل منبهراً ... فى لؤلؤى من الأنوار مسحور
لم يشهد الكون فى آزاله أبداً ... هذا الجلال الذى يسرى على الماء
قد ظل نجم الدجى سهمان يقذفه ... بأسهم تتهاوى منه وضاء
صيغت من الليلك الغافى أشعتها ... فأصبحت بين بيضاء وزرقاء..

شاعر يرثى نفسه :

كأنما كان يحس الهمشرى دنو أجله وهو فى ميعة الصبا، وكان يردد هذا الشعور فى قصائده وإن لم يتحدث به قط إلى أصحابه، ولعل أصرح نبوءة له قوله فى نهاية قصيدة «العودة»:

لقد خف نسيم الصبح يهمس ناعباً ... إلى السهل أن فارق الكون شاعر
لذا نقس النحل الزهور فجلجلت ... ونابت عن الأجراس هذى الأزاهر

وكأنما كانت روحه تطل على الأبدية وهو لا يزال فى هذا العالم الفاني، يدل على ذلك قوله فى القصيدة عينها:

لقد فرغت فى عالم الحزن جولتي ... وما فرغت منى الليالى الدوائر
فيا أفق الدنيا ويا فجر ليلها ... ومن خفقت فيه المنى والخواطر
ومن تسبح الأحلام فى ملكوته ... حيارى وتغنى فى هواه المشاعر
أيا شفقاً فى عالم جو أرضه ... خيال على الوادى المهوم ساحر
تحف بها فى الصمت أشجار جنة ... يفاوحنى منها على الوهم عاطر
واسمع موسيقى بها ذهبية ... تفيض بها فوق المروج قياثر
واترك عينى فى الخيال تشقه ... فألمح أشباحاً هناك تسامر

وقوله فى قصيدة «حدائق الشفق»:

ذهلت فى حلم غاف... وخيل إلي ... أنى عبرت طريقاً كلها ظلم
لم يغشها من بنى الإنسان مقتحم ... قبلى وما وطئت أرضاً بها قدم
يحف دغلاً تثير النفس وحشته ... الصمت أيكه والليل والأجم

وقوله فى القصيدة عينها:

أحسست بالقلب ناراً طاف طائفها كما رأيت نمير البحر قد سطعا
وقفت منذهلاً، أرعاه، مفتعلاً كأن نور إله فوقه طلعا
أحنيت رأسى إجلالاً وتكرمة له وظلت من التقديس مختشعا

الهمشرى التعاونى :

لم يكن من محض المصادفة أن يعمل الهمشرى فى قسم التعاون خمس سنوات متواليات، فقد كان فى إمكانه إذا شاء أن ينال «وظيفة» أحسن من وظيفته و«درجة» أعلا من درجته، فى ديوان آخر من دواوين الحكومة. ولكنه مال إلى التعاون بكل قلبه، لأنه ألفاه يتصل بالريف اتصالاً وثيقاً، ويخدم الريفيين الذين نشأ بينهم وأحبهم حباً صادقاً.

ومن ثم لم يكن عمله فى مجلة التعاون عمل «الموظف» الذى يؤدى «واجبات وظيفته» بل كان يشعر دائماً أنه يعمل فى حركة إصلاحية عظيمة الأثر وأنه يساهم فيها بنصيبه. فلا ينى يكتب المقالات ينادى فيها بإصلاح أحوال الريف ويقترح إيجاد أعياد زراعية. وكان لا يفتأ يتنقل فى قرى الصعيد والوجه البحرى ليزور الجمعيات التعاونية القائمة فيها ويكتب عنها فى مجلة التعاون، منوهاً بتقدمها أو مرشداً إلى عيوبها. ومن لطائفه أن شاعريته كانت تغلب عليه عند الكتابة عن تلك الجمعيات فيفيض فى وصف القرى وما حولها، ويقف بقلمه مثلاً وقفة طويلة عند شجرة جميز صادفته فى إحدى جولاته.. فتخرج مقالته قطعة من الأدب أو قصيدة من الشعر المنثور.

ولعل أقوى برهان على إيمانه بالتعاون أنه فى آخر مرة زاره فيها حضرة صاحب العزة الدكتور إبراهيم رشاد بك مدير التعاون بالمستشفى، أوصاه الفقيد، وهو لا يكاد يقدر على النطق، بأن ينشيء جمعية تعاونية فى بلدته (السنبلاوين) قائلاً إنها لا يليق أن تبقى عاطلة من التعاون وقد أفنى ابنها زهرة شبابه فى خدمته.

وكان قبل أيام قليلة من وفاته المفاجئة يزور بنادر (المنيا) وقراها ويبحث أحوال الحركة التعاونية فيها.

وقبل بضعة أشهر بدأ يدرس التعاون بالمراسلة مع كلية التعاون بمانشستر ليحوز دبلومها بعد ثلاث سنوات لولا أن دهمه الموت.

المهشري الصحفي :

كان وقت الفقيد مقسماً بين الشعر والصحافة، ونفس عمله بالحكومة لم يكن سوى عمل صحافى لأنه لم يمارس طول «توظفه» غير التحرير فى مجلة التعاون، وكان رحمه الله فضلاً عن ملء باب «الأدب الريفي» أو «الأدب التعاوني» بشعره الجزل، يكتب أبواباً أخرى ويحرر موضوعات عديدة بالمجلة، ويترجم مختارات من المجلات التعاونية الإنجليزية، ويرتب أعداد المجلة ترتيب صحفى قدير.

على أنه إلى جانب ذلك اشتغل بالصحافة اليومية زمناً طويلاً فقد مكث زهاء العام وهو يترجم كل يوم تقريباً قصة قصيرة لجريدة (المصري) وكذا روايات طويلة متسلسلة، ثم جعل ينشر رواياته فى جريدة (الدستور). وكتب كذلك عدة قصص لجريدة (الصباح) وترجم كثيراً من (روايات الجيب) وكتب بعض موضوعات لجريدة (المصور)، كل ذلك وهو بعيد عن السياسة لا يرضى أن يخوض بقلمه فى بحار (الحزبية) بأى حال.

النجم الآفل

الشاعر م. ع. الهمشري

للأستاذ صالح جودت

كان أول شاعر عرفته، وكنت أول شاعر عرفه. وفى الحق أن أحداً من أهل الأدب لم يكن يعرفنا آنذاك، إذ كنا نترجح فى بكور العمر بين العقدين الأول والثانى من العمر.

كان هذا منذ أكثر من ثلاثة عشر عاماً.

وهمس الشيطان فى آذان أصحاب الصحف أننا دون العشرين، فلم يأبهوا لشعرنا، فاتخذ طريقه إلى السلال، فاتفقنا عندئذ، أو قل حدث بغير ما اتفاق، أن أكون قارئه الوحيد، على أن يكون قارئى الوحيد.

كان هذا فى ظلال المدرسة بالمنصورة. والمنصورة أرض طيبة تنبت الشعر كما تنبت الجمال، ومنها خرج هيكل، وأحمد أمين، وعبد الله عنان، والزيات، ومحمد عوض محمد، وخلدون، وإبراهيم رمزي، وإبراهيم ناجي، وعلى محمود طه، وإسماعيل مظهر، ومنصور فهمي، والأسمر وغيرهم وغيرهم، حتى لقد ارتأينا مرة أن نؤسس ندوة تجمع شمل أدباء المنصورة، فما كدنا نجد فى مصر أديباً إلا منها، أو يمت إليها بعاطفة!

هناك، فى بكور اليفاعة، عرفت «محمد عثمان الهمشري» كما نعاه النعاة، أو «محمد عبد المعطى الهمشري» مكا تسجل الحقيقة، أو «م.ع. الهمشري» كما عرفه قراؤه.

وللتسمية الأخيرة قصة، فقد كان الهمشرى منذ فجر صباه مجنون الولع بقراءة الأدب الإنجليزي، ولاسيما ما كان منه لشعراء الشباب، الذين ماتوا فى ميعة شبابهم، مثل شلى وكيتس وبيرون، فتأمل عجائب القضاء!

هؤلاء كانوا أساتذته الذين أحبهم وتتلمذ عليهم، وتأثر بهم وترجم لهم، واتخذهم قدوة فى الحياة، ثم اتخذهم قدوة فى الموت!

وجاءنى يوماً يقول: ما رأيك فى اسمى الأوسط، أعنى عبد المعطي؟ قلت: لا

بأس به. قال: بل أود أن أستبدله أو أمحوه. قلت: ولم؟ قال:لأن من اسمه عبد المعطى لا يكون شاعراً!

ضحكت يومئذ من هذه الفكرة الغريبة، ولكنى رأيته على صواب، ولا سيما إذ عرفته وعرفت من أمره أنه لا يضع الكلمة فى شعره إلا إذا أحس لها جرساً موسيقياً عميقاً فى نفسه.

وكان يوم، وجاء يطلعنى على قصيدة ترجمها عن توماى جراي، هى المرثية الخالدة لمقبرة القرية، فوجدتها ممهورة بتوقيع «م.ع. الهمشري». وقال: بمثل هذا كان يوقع أستاذى P. B. Shelley وأصحابه الآخرون.

ومنذ يومئذ لم يعرف القراء صاحبى بغير اسمه الجديد.

وكنا – الهمشرى وأنا -- لا نكاد نفترق إلا مقدار ما تغمض الجفون، وبقينا على هذا العهد حتى أغمض جفنيه إغماضة لا صحوة منها، فافترقنا مكرهين.

جاء ناعيه ينعاه إلى فى صباح يوم حزين. وإذا فوجئ المرء بصدمة بكى، ولكنه إذا جن فى صدمة ابتسم، وهكذا ابتسمت، وقضيت سحابة النهار لا أبرح مكاني، قضيتها أبتسم وأجيل عينى فى صور الماضى من يفاعة وصبا وشباب، أستعرضها كأنها لم تزل بعد حية، وكأنما نحن يومئذ قيد هنيهات من عهد خطر عليه أكثر من عشر سنوات.

ذكرت المدرسة وملاعبها ومغانيها، وكيف كنا إذا اختصمنا، الهمشرى وأنا – وكثيراً ما كنا نختصم فى عاطفة كانت شركة بيننا – جعلنا من المدرسة حلقتين تسيران بشعره وبشعري، حتى خلقنا فى شباب المنصورة آنذاك جيلاً يحسن تذوق الأدب ويستمرئ الطيب منه.

وكبرت الأيام عامين، فكبرنا معها، وكان هذا منذ عشر سنوات تقريباً. وعندئذ حدث حدث أعاد إلى الذاكرة ما كتبه عن الهمشرى إثر وفاته، الأديب الوفى الأستاذ محمد لطفى جمعة.

فى ذلك العهد، أنشأ الأستاذ محمد لطفى جمعة فصولاً حزينة عن شاعر انتحر فى باكورة شبابه، هو المرحوم أحمد العاصي، وترجم له، وتحدث عنه، وروى من شعره، فأقبلنا – الهمشرى وأنا – نقرأ هذه الفصول فى صحيفة «البلاغ» على ما أذكر، ونبكى هذا الشاعر الذى لم نعرفه بدموع محرقة متلفة، وحفظنا يومئذ ما وصلنا من

شعره.

ثم قال صاحبي: ألا قل لي، ألو متنا كما مات هذا الشاعر أفنجد من ينعانا ويرثينا فى الناس؟ قلت: وهل يعرفنا أحد من أهل الأدب حتى ينعانا أو يرثينا؟ فأطرق وقال فى كآبة: صدقت. إذاً فلنرث نفسينا، أنت ترثينى وأنا أرثيك.

وافترقنا يومئذ، وعدت إلى البيت، ولبثت أحاول أن أرثيه، فرسمت صورته فى ذهني، وتأملتها، تأملت ذلك الوجه الذى يتدفّق فيه احمرار الحياة، وذلك الصدر المرتفع والجسد الطويل العريض الهاتف بقوة الشباب، يسير فى وسط الطريق لا على إفريزيه، وعلى صدره وردة حمرا لا تريم.

يطأ اليأس باعتداد الأماني ... ويذل الزمان بالكبرياء

فضحكت مما أحاول، وقلت: ما أحاول إلا سخافة، أهذا يمكن أن يموت؟

والتقينا فى صبيحة اليوم التالي، فقال: أين مرثيتك؟ فقلت له ضاحكاً: يا محمد، إنك آخر من يخطر ببال الموت.

ولكن الأيام كذبت حدسي، فكان هو أول من خطر ببال الموت!

قال: أما أنا، فقد رثيتك فإليك.

وأذكر يومئذ أنه أرسل هذه القصيدة إلى إحدى الصحف، مع مقدمة يقول فيها: «كان فلان شاعراً فى مقتبل صباه، وهب قلبه لفتاة، ثم مات، وأوصانى قبيل موته أن أنقش هذه الأبيات على حجر قبره، لعل ليلاه تمر لتذرف عليه دمعة عند الغروب فتقرؤها...».

على أن القصيدة لحقت بأخوات لها من قبل فلم تنشر، ولا زلت أذكر منها ما يغلب على الذاكرة أن يكون:

أيها الساري، تمهل فى خطاك ... إن فى القبر فؤاداً ما سلاك

ودع الأحلام فى رقدته ... والأماني، ولم يذكر سواك

وإذا ناديته فى قبره ... هب فى القبر مجيباً لنداك

ليس يبغى أن يرى الجنة في ... نفخة الصور، ولكن أن يراك

وضريحى بين أشجار الأراك ... فتعال، واسقه على أراك

إن اتخذت اليوم غيرى فى الهوى ... فأنا للآن لم أعشق سواك

هاتف فى الموت يدعونى كما ... كان فى الدنيا، إلى وكر هواك

وأعود الآن إلى حديث فصول الأديب الوفي، الأستاذ محمد لطفى جمعة، عن الشاعر المنتحر، أحمد العاصي.

تأثرنا لما كتب، وكان ما كان من أمر رثاء صاحبى لي، وبقى شبح العاصى يطاردنا ويلاحقنا فى كل لحظة وكل بقعة. وإذا بالهمشرى يستخفى علي، وإذا بى أستخفى عليه، وإذا بكل منا يعود إلى صاحبه بعد يومين فيطالعه بقصيدة فى رثاء العاصي، من نفس البحر ونفس القافية، ولعل مبعث هذا التوافق قصيدة للعاصى من الشاكلة عينها.

قلت:

يا أيها اليائس من دهره	خطم الآمال فى فجره
يا من صبا للموت رغم الصبى	أواه للشاعر من سحره
يا من رأى فى الدهر ما ضاره	ويل لنفس الحر من ضيره
قل للذى يرتاب فى لؤمه	لقد تدعى الشك فى أمره

وقال الهمشرى قصيدة لا يحضرنى إلا بعض مطلعها وهو وحده زعيم بإقناع القارئ أن الهمشرى تفوق وأجاد، وجنح إلى نزعة فلسفية سايرت شعره إلى النهاية.

قال:

أفزعه الشوق إلى وكره	وحن فى الليل إلى فجره
وهب مذعوراً يناجى الردى	وينشد المخبوء من سره

ولست أدرى أية نفثة من السحر كانت فى هاتين القصيدتين، فقد بعثنا بهما إلى الصحف، فتفتحت لنا أبواب السياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعى مرة واحدة ومنذ يومئذ بدأنا نعرف الأدباء ويعرفوننا، وكان أول من عرفنا منهم، هما الشاعران على محمود طه وإبراهيم ناجي، وقد كانا عهدئذ فى عنفوان الشباب بالمنصورة، وكانا مثلاً لنا، لا يفترقان إلا غمض الليل.

هنا بدأنا نشق طريقنا فى الأدب المنشور، وبدأت شاعرية الهمشرى تتألق، وتخرج ملحمته «شاطئ الأعراف» وقصائده الرائعة وعلى رأسها «النارنجة الذابلة» و«إلى جنا الفاتنة فى مدينة الأحلام» و«مشعلة النوتي» وغيرها.

وهنا يجب أن يسكت الصديق، الذى هو أنا، ليتكلم نقاد الأدب ومؤرخوه المنصفون، وما أنا من هؤلاء ولا من أولئك.

الشاعر محمد الهمشري تحت المصباح

روح ذاهل عن مادية الحياة، كثير الانشغال بعوالم الخيال السحيقة العذبة الطاهرة الجمال. وشاعرية متوقدة ناضجة تؤدى رسالتها القويمة فى غير ما جلبة أو ضوضاء، كأنما تعتقد أن الإعلان عن فضلها عار ومنقصة فى وقت يتهافت فيه كل دعى على الإعلانُ عن ذاته..! عرفت محمد الهمشرى لسنين خلت طالباً بمدرسة المنصورة الثانوية، وشاعراً مبدعاً على حداثة سنه حينذاك، وقرأت له قصيدته، بل ملحمته الرائعة، «شاطئ الأعراف» التى تعتبر بحق عملاً يستأهل الخلود! ويوقفنا على مدى هذه الشاعرية الخالقة الجبارة التى تملكت روح هذا الشاب النابغة.

ومحمد الهمشرى لا يزال فى أول شبابه، والذى قرأ له «شاطئ الأعراف» و«مشعلة النوتي» و«أحلام النارنجة الذابلة» لا يتردد فى اعتقاد أنه بإذن الله سينفح الشعر العربى بروائع أخرى كثيرة تهز الدوائر الأدبية فى العالم العربي، بل فى العالم بأسره..!

وهو شاب واسع الاطلاع على الأدب العربي، كما أنه يوالى بانتظام دراسة الشعر الإنجليزى والفرنسي، ولقد قرأ فيهما الكثير من روائع الآثار.. وهو يقدس الأدب تقديساً ولا يهمل شأن عمله الفنى على الإطلاق، لذلك لا تراه حينما ينظم قصيدة، ينظمها تزجية لفراغ أو تسلية، وإنما هو يسكب روحه سكباً،ويريق دماء قلبه فى قصيدته، وينطوى على نفسه أياماً عديدة يعالج نظمها حتى يخرج بها نقية لامعة ناضجة، وعندئذ تؤدى رسالتها بإيمان وقوة وتنفذ إلى صميم الأفئدة من غير مجهود أو إرهاق ذهني.

ويكاد ينفرد محمد الهمشرى بشخصية خاصة ذات ميسم خاص فى شعره القوى الرائع. ثم هو يمثل فى شعره المبدأ الرمزى أصدق تمثيل، وهو يدعو لهذا المذهب مخلصاً لا ينى ولا يفتر، ولقد كسب كثيراً من المعجبين والمحبين لشعره ومذهبه الذى يروج له.

وقد يعجب المرء حينما يسمع أن محمد الهمشرى يقرأ، خلا الشعر والقصة، آراء جليلة فى الاقتصاد والتعاون، ويكتب فى هذين الموضوعين كتابة قيمة متينة،

ولكن هذا العجب يزول حينما يعلم المرء أن العبقرية لابد أن تكون واسعة المناحى شاملة لكل شيء. وهذا (جوتة) شاعر ألمانيا الخالد كان شاعراً وقصصياً وكيميائياً.. وطبيباً..

ويميل محمد الهمشرى فى شعره إلى الناحية الحزينة القاتمة. ولعل ذلك راجع إلى الآلام النفسية التى اعتورت حياة شاعرنا، وأحسب أنه يكاد ينفرد بإجادة اللون القاتم فى الشعر العصري.

ونفس محمد الهمشرى نفس خيرة محبة للناس والأشياء بالرغم من نظرة التشاؤم التى تطغى عليها.. وخلاصة القول أن محمداً الهمشرى يمثل شخصية الفنان الأصيل تمام التمثيل..!! وهو فى حياته الخاصة يميل إلى العزلة وينفر من الاختلاط بالناس والانغماس فى المجتمعات. ولكنه لو حدث وهبط مجتمعاً من المجتمعات، لا يتخلف عن مجاراة المجتمعين فى لهوهم.

وبعد، فهذا أحد زعماء الأدب فى شباب مصر هذه الأيام، لا أتردد لحظة فى أن أقول وأنا أقدمه إلى القراء هذا التقديم الذى أعده فضولاً مني، أنه سيكون له شأن أى شأن فى القريب العاجل، فى بناء صرح الأدب المصرى الجديد، الذى يمكنه أن يقف أمام الأدب الأوروبى الجبار وقفة الرئبال الهصور.

وليست ببعيدة على صاحب «شاطئ الأعراف» هذه الوقفة المشرفة..!!

«ألف لام»

عن الهمشرى وشعرنا العربي

بقلم الدكتور محمد مندور

كان الشعر العربى القديم فى الجاهلية والعصر العباسى يستمد مادته من الحياة مباشرة، ولذلك نعتقد أنه خير ما خلف العرب من شعر، ولكن التقليد لم يلبث أن طغى على الشعر فى العصر العباسى وأصبح الشعراء يستقون مادتهم لا من الحياة كما كان القدماء يفعلون بل يستمدونها من ذاكرتهم ومحفوظاتهم، حتى تحجرت فنون الشعر ومعانيه، وأصبح لكل فن شعرى معانيه التقليدية المتحجرة. وسجلت كتب الأدب تلك المعانى فنراها تذكر أن فن المدح مثلا يكون بكذا وكذا مثل الشجاعة والكرم وشرف النسب، والغزل يكون بكذا وكذا من مثل ضمور الخصر عبالة الساقين وثقل الأرداف وما إليها، والشعراء إنما كانوا يتفاوتون بالمهارة فى التعبير عن كل من هذه المعاني. هذا الشاعر يبز الآخرين بالتعبير عن الكرم لأنه قال إن الممدوح يتهلل عند لقاء السائل وكأنه سينال منه شيئا مع أنه هو الذى سيعطيه، أو لأنه وصل بالكرم إلى حد الجود بالنفس إذا ضن البخيل بها، وأمثال ذلك كثير، حتى رأينا أكبر ناقد عند العرب وهو الآمدى يكتب كتاباً فى الموازنة بين الطائيين، أى بين البحترى وأبى تمام ويقيم هذه الموازنة على أساس المفاضلة بين تعبير الشاعرين عن المعانى الخاصة لكل فن من فنون الشعر أو بكاء الديار والنسبى والوصف والمدح وما إليها.

تلك كانت الحالة الغالبة على الشعر العربى منذ العصر العباسي، فنحن قلما نستطيع أن نستخلص من شعر شاعر شخصيته ووجدانه الخاص، ذلك لأنهم يتناولون فى شعرهم المعانى التقليدية التى وصفها النقاد القدماء أنفسهم بأنها كانت كالأعراض الملقاة فى الطرقات وأنها لا تتميز عند شاعر عن آخر إلا بالثوب الذى يسبغه عليها، فلا علاقة بين الشعر وقائله ولا أصداء لحياته فى شعره، باستثناء نفر قليل من أولئك الشعراء شذوا عما كان يسمى عمود الشعر وطغت شخصياتهم حتى برزت من خلال شعرهم، وهؤلاء هم الذين لفتوا بنوع خاص أنظار الجيل السابق من نقادنا المثقفين ثقافة غربية فرأيناهم يؤثرونهم بالدراسة والنقد. ومن هؤلاء الشعراء ابن الرومى الذى تناوله الأستاذان العقاد والمازنى بدراسات مفصلة على ضوء النقد

الحديث، ثم أبو العلاء المعرى والمتنبى اللذان درسهما وكتب عنهما الكتب الدكتور طه حسين، فضلاً عن مقالات زملائه عنهما. والواقع أن ابن الرومى والمتنبى وأبا العلاء من أبرز الشعراء القدماء الذين تظهر شخصياتهم فى شعرهم ويبرز وجدانهم الخاص. ولكل منهم فلسفة واضحة فى الحياة أو على الأقل وجهة نظر متميزة إلى الحياة والأحياء، بل إننا لنلاحظ بعض ما لاحظه بعض القدماء مثل الثعالبى فى يتيمة الدهر من أن شخصية المتنبى العاتية وكبرياءه المترفعة وتساميه بقدره قد طغى على فن شعرى تقليدى كفن المدح، فوجهه وجهة جديدة، فالمدح عند المتنبى لا يجرى على النسق التقليدى من ترديد فضائل بعينها، بل ولا يقتصر على مناقب الممدوح، بل يستحيل إلى غزل أو ما يشبه الغزل بالممدوح. ولعلنا نلاحظ هذه الظاهرة أوضح ما تكون فى سيفياته بنوع خاص أى فى القصائد التى قالها فى سيف الدولة الأمير العربى الشهم، الذى كان يحمى ثغور العرب من غارات الروم. بل ويحتفظ المتنبى بلغة الغزل حتى عندما يعاتب سيف الدولة على أثر الجفوة التى اضطرت المتنبى إلى أن يغادر حلب (مولع القلب باكيه) فيقول:

مالى أكتم حباً قد برى جسدي	وتدعى حب سيف الدولة الأمم
إن كان يجمعنا حب لغرته	فليت أنا بقدر الحب نقتسم
يا أعدل الناس إلا فى معاملتي	فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
يا من يعز علينا أن نفارقهم	وجداننا كل شيء بعدكم عدم

وعندما ظهرت الطباعة الحديثة ودخلت مصر والبلاد العربية فى أعقاب الحملة الفرنسية وأخذنا نطبع كتب الأدب القديمة ودواوين الشعراء القدماء فى مطبعة بولاق فى القرن الماضي واستطاعت تلك الكتب والدواوين أن تغذى موهبة شعرية فذة كموهبة محمود سامى البارودى الذى ترك لنا مختارات من الشعر العربى القديم تدل على سعة اطلاع وصدق شاعرية. وبفضل حركة النشر هذه استطاع محمود البارودى أن يخلص الشعر العربى من التفاهة والزخارف واللفظية التى كان قد انحدر إليها وأن يرد إلى الشعر ديباجته القوية القديمة. بل وكانت شخصية البارودى من القوة بحيث نضجت فى شعره، ونستطيع أن نلمح وجدانه الخاص من خلال هذا الشعر. ولكن شعراء البعث الذين تلوه وبخاصة كبيرهم أحمد شوقى لا نكد نلمح حياته ووجدانه الخاص من خلال شعره رغم ما فى هذا الشعر من طاقة خارقة وموسيقى مثملة وجودة متينة فى التعبير وبراعة فى التصوير البياني. وربما كان هذا من الأسباب التى دعت أنصار التجديد فى الشعر وبخاصة الأستاذين العقاد والمازنى أن

يتخذا من أحمد شوقى أساسا فى الحملة التى شناها فى كتاب الديوان على الشعر التقليدى وأصحابه، ومناداتهما بالتجديد الذى لخص الشاعر الكبير عبد الرحمن شكرى اتجاهه فى بيت شعر سجله على غلاف أول ديوان أصدره من الشعر الجديد فى سنة ١٩٠١ وهو قوله:

ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان

وجاء شعرا المهجر وعززوا نفس الدعوة إلى شعر الوجدان وأيدها ميخائيل نعيمة تأييداً نظرياً فلسفياً قوياً فى كتابه «الغربال» الذى حمل فيه حملة قوية على الشعر التقليدى ودعا الشعراء إلى أن يصدروا عن ذواتهم وأن يصور كل منهم ما فى وجدانه الخاص من آمال وآلام وأشواق روح.

وهكذا ظهرت عندنا الدعوة إلى شعر الوجدان. وإنه وإن يكن الدعاة لهذه الدعوة قد قالوا هم أنفسهم قصائد وجدانية جميلة إلا أنه من المؤكد أن هذه الدعوة لم تتحقق على نطاق واسع إلا بفضل الجماعة التى تعرف فى تاريخ أدبنا الحديث بجماعة أبوللو، وهى الجماعة التى عمل على تأسيسها فى سنة ١٩٣٢ الشاعر الخصب الدكتور أحمد زكى أبو شادي واصدر لها مجلة أبوللو التى تخصصت فى نشر الشعر ونقده وظلت تصدر شهرياً حتى سنة ١٩٣٥.

وبالرغم من أن رائد هذه الجماعة أحمد زكى أبو شادى قد نظم أوبرات أى مسرحيات غنائية تلحينية كما نظم قصصاً شعرية، وبالرغم من أنه قد أفسح صدره وصدر مجلته لكافة أنواع الشعر والشعراء من تقليديين ومجددين ووسط بين الطرفين – إلا أن الطابع الذى غلب على هذه الجماعة – وبخاصة على روافدها من الشبان – قد كان طابع الشعر الوجداني.

وإذا كنت قد قررت فى كتابى الأخير عن جماعة أبوللو أن هذه الجماعة لم تتقيد بمذهب شعرى معين، بل ولم ينقلب اتجاهها الوجدانى الغالب إلى مدرسة شعرية، فإنما يرجع ذلك إلى حقيقة مسلم بها هى أن كل مذهب أدبى أو مدرسة فنية لابد أن تقوم على أسس فكرية نظرية هى التى تعطى أى اتجاه صفة المذهب. فالرومانسية مثلاً وإن تكن وجدانية الاتجاه إلا أنها أصبحت مذهباً عندما وضعت لها أسس فكرية محددة. وإذا كان الرومانسيون قد غلب عليهم الأنين والشكوى من الحياة والتبرم بها والهروب منها إلى رحاب الطبيعة وصدرها الرفيق بالشعراء، فإن هذا الاتجاه قد أصبح مذهباً عندما أخذ أصحاب هذا المذهب يفلسفون الألم فيقول أحدهم مثلاً: «إن المرء

طفل يهذبه الألم» ويقول آخر «لا شيء يسمو بنا كما يسمو الألم»، ويقول ثالث: «إن أروع الشعر ما كان أنات خالصة». ولسوء الحظ عندما يصبح مثل هذا الاتجاه مذهباً نظرياً يأخذ التقليد والتصنع فى التسلل إليه حتى لنرى صغار الرومانسيين يتصنعون الألم ويدعونه فى «طرطشة» عاطفية سخيفة أفسدت شعرهم بل ونكبت الرومانسية كلها حتى اضمحلت وذهب ريحها.

وأما جماعة أبوللو فإنها - وإن يكن الاتجاه الوجدانى قد غلب على خير شعرائها إلا أنها لم تحاول يوماً أن تجعل من هذا الاتجاه مذهباً يقوم على أسس نظرية، بل إن فكرة التمذهب والخضوع لنظرية شعرية أو فكرية بذاتها قد كانت شبه مستحيلة فى الفترة القاسية التى ظهرت فيها جماعة أبوللو، فترة ما بين سنة ١٩٣٢-١٩٣٥ حيث كان الاستعمار قد تآمر مع ملك طاغية هو أحمد فؤاد ورئيس وزارة مستبد ظالم جرئ على الشر هو إسماعيل صدقي، ليكبت حريات المواطنين ويسومهم الخسف وسوء العذاب، حتى أصبحت الحرية هى أعز شيء لدى الناس، وأصبحت فكرة التقيد حتى بمذهب أو نظرية فكرية نابية لا تخطر لأحد ببال، ولذلك ترى جميع أعضاء أبوللو يرددون أن الشاعر يجب أن يكون حراً طليقاً كالعصفور لا يخضع لقيد حتى ولو كان القيد مذهباً أو نظرية، وكل ما طالبوا به هو أن يصدر كل شاعر عن وجدانه الخاص فى حرية وإخلاص. ولما كانت وجدانات الناس تتفاوت بتفاوت طبائعهم وبيئاتهم ودرجات ثقافتهم وأنواعها، فقد كان من الطبيعى أن تتفاوت نغمات هؤلاء الشعراء بتفاوت وجداناتهم. وهذا هو ما حدث حيث نجد من بين كبار هذه الجماعة الوجدان الحار المتفجر الأبدى الظمأ إلى الحب عند الدكتور إبراهيم ناجى فى «وراء الغمام» و«ليالى القاهرة» والوجدان الثائر العنيف الذى يغالب الحياة بل ويغالب الموت والداء العضال فى «أغانى الحياة» لأبى القاسم الشابي، والوجدان الانبساطى الأبيقورى المتفتح لمتع الحياة ولذاتها الحسية عند الشاعر الطروب على محمود طه صاحب «الملاح التائه» و«ليالى الملاح التائه» و«زهر وخمر» كما نجد المزاج الانطوائى المستغرق فى الشجن والتأمل عند حسن كامل الصيرفى صاحب «الألحان الضائعة».

***

هذا موجز للاتجاه الجديد الذى ظهر فيه الشعر العربى المعاصر، وقد تتبعناه منذ أصوله الأولى فى الشعر العربى القديم ثم فى تأثره بالآداب الغربية، ولكن هذا

الاتجاه الجديد لم يمح الاتجاه التقليدى بل ظل الاتجاهان يتصارعان ويعيشان جنباً إلى جنب حتى وقتنا الحاضر، وقد فصلت تاريخ هذا النضال فى السلسلتين السابقتين من محاضراتى عن الشعر المصرى بعد شوقي، وهى محاضرات يحسن أن يلم بتفاصيلها من يريد متابعة هذه السلسلة الثالثة التى أتابع فيها نفس الدراسة.

على أنه إذا كان الشعر التقليدى قد ظل ثابتاً عند مفاهيمه فإن الدعوة إلى التجديد لم تقف عند شعر الوجدان الذى ازدهر فى فترة ما بين الحربين العالميتين الأخيرتين بفضل جماعة أبوللو بنوع خاص، بل حدث تطور جديد، من شعر الوجدان الذاتى إلى الشعر الاجتماعى الواقعى الذى يتعصب له اليوم الجيل الناشئ من شعرائنا الشبان. وقد جاءت فلسفة الثورة المصرية الأخيرة مؤيدة لهذا الاتجاه، وإذا بشعر الوجدان يأخذ فى الانزواء بل ويهاجم أصحابه ويتهمون بالذاتية وحب النفس وبالفردية الانعزالية ويطلق عليهم أحياناً اسم دعاة الفن للفن، كوسيلة لتجريحهم واتهامهم بالهروب من الحياة العامة ومن معالجة مشاكل المجتمع، ووضع طاقاتهم الفنية فى خدمة الحياة والأحياء ومحاولة الارتفاع بتلك الحياة إلى مستوى إنسانى أفضل.

على أننا وإن كنا قد تحدثنا فى سلسلة المحاضرات السابقة عن نشأة جماعة أبوللو واتجاهها الفنى والإنسانى كما تحدثنا عن بعض شعرائها - إلا أننا نحرص فى هذه السلسلة على أن نعود فنستكمل الحديث عن هذه الجماعة الخصبة وعن بعض المبرزين من شعرائها.

الهمشرى شاعر رومانسى

ومن خير شعراء هذه الجماعة شاعر شاب مات قبل أن يتجاوز الثلاثين من عمره، وهو محمد عبد المعطى الهمشرى الذ يولد بمدينة السنبلاوين فى يوليه سنة ١٩٠٨، ومات بالقاهرة فى ديسمبر سنة ١٩٣٨ على أثر عملية جراحية مخلفاً طائفة من القصائد الرومانسية المعدن بل الخالصة فى رومانسيتها، وإذا كنت لم أعثر له على ديوان مطبوع فقد وجدت لحسن الحظ طائفة من قصائده منشورة فى الصحف والمجلات. وقد جمع الأستاذ محمد فهمى بعضاً منها فى كتاب له باسم «الروائع لشعراء الجيل».

وحياة الهمشرى القصيرة الأجل يمكن تلخيصها فى كلمات. فهو بعد إتمامه الدراسة الثانوية قد التحق بكلية الآداب ولكنه لم يتم دراسته بها واضطر إلى العمل كاتباً فى وزارة الزراعة إلى أن وافاه أجله.

والقصائد التي طالعتها لمحمد عبد المعطى الهمشرى توحى كلها بأنه قد كان شاعراً غارقاً فى الرومانسية بطبعه وظروف حياته. ولا أظن رومانسيته صادرة عن تمذهب ووعى نظرى وقصد أو افتعال، وإنها هى رومانسية نبتت من وجدان الشاعر كما نبت ذلك المذهب فى بدء ظهوره عند كبار الرومانسيين الغربيين. فالرومانسية كالكثير من مذاهب الأدب الأخرى لم يفتعلها دعاتها الأوائل بل تهيأت لها النفوس أولاً بحكم ملابسات الحياة العامة والخاصة أو على الأصح تضاريس الحياة التى ترسم للآداب والفنون مسالكها وتوجه تيارها.

فمحمد عبد المعطى الهمشرى قد نظم قصائده فى سن الشباب الذى يطغى فيه الخيال ويشتد جناحه فيأبى الكثير من الشبان أن يسيروا على الأرض ويطمحون إلى التحليق فى السماء، وإذا لم تلن لهم الحياة وتسلسل قيادها لرغباتهم الحارة الملهوفة هربوا من تلك الحياة أحياناً إلى ماضيهم ومراتع طفولتهم كما فعل الهمشرى فى قصيدة «النارنجة الذابلة».

ففى هذه القصيدة نجد معظم الخصائص الروحية الفنية التى تتميز بها الرومانسية عند الغربيين.

وأول تلك الخصائص هو الحنين إلى شيء غير حاضر الشاعر وواقع حياته الراهنة، ونحن هنا نطالع هذا الحنين منذ مطلع القصيدة وهو حنين الشاعر إلى شجيرته فى الريف وأساه على فراقها.

كانت لنا عند السياج شجيرة ... ألف الغناء بظلها الزرزور

بل ويتخذ الشاعر من هذا الحنين قراراً يردده ويجعل منه قافلة لمقطوعات قصيدته.

كانت لنا! يا ليتها دامت لنا ... أو دام يهتف فوقها الزرزور

ومن الغريب أن نرى الهمشرى يسلك كافة الدروب التى سلكها الرومانسيون المذهبيون الذين قد يهربون من واقع حياتهم إلى الطبيعة أو إلى مراتع صباهم يلتمسون فيها عزاء وسلوى ولكنهم قد يحملون إليها همومهم فلا يجدون فيها ما أملوا. ونستطيع أن نجد هذه الحالة النفسية فى قصيدة أخرى للهمشرى بعنوان «العودة» أى العدة إلى قريته حيث يقول:

رجعتُ إليك اليوم من بعد غُربتي

وفى النفس آلام تفيضُ ثوائرُ
رجعتُ وعقلى تائه الفكر شاردٌ
وأبتُ وقلبى واهن الخفق خائرُ
فيا أرضَ أحلامي، أألتْقى طفولتي
ويسعدنى يومٌ من العُمر آخرُ؟
تعسفتُ فيكِ الليل والريح صَرصرٌ
وخضتُ إليكِ الموجَ والنهرُ ثائرُ
وأتيتُ لألَقى فى ظِلالك راحةً
فيهدأ قلبى وهو لهفانُ حَائِرُ
أموتُ قرير العين فيك مُنعماً
يُخدرنى نَفحٌ من المرجِ عاطرُ
ويلحفنى هذا البنفسج، ولتكنْ
مسارح عينى ... الرُبا والمحاضرُ
وآخر ما أُصُغى إليه من الصدى
خريرك يفنى وهو فى الموت سائر

والذى لا شك فيه أن هذا الجو الرهيب الذى يصفه الشاعر، نفس الشاعر الذى رأيناه فى «النارنجة الذابلة» يحن إلى قريته حنيناً ملؤه الأسى – ليس جو القرية، وإنما هو جو نفس الشاعر وقد خلعه على القرية وأضاف إليه الكثير من خياله حتى اختلط الخيال بالحقيقة ولكن فى غير تناقض ولا تنافر بل فى وحدة وانسجام تتكامل معه الرؤية الشعرية وتعمق التجربة العاطفية التى سيطرت على الشاعر عند تلك العودة.

و«النارنجة الذابلة» تحمل بعد ذلك من الرومانسية المزج بين الحقيقة والخيال وإن كنا نلاحظ أن خيال الهمشرى من الخيال السليم الذى يقم رؤاه على أساس من الواقع يتخذه نقطة انطلاق فلا يضل ولا تضطرب رؤيته الشعرية ولا يغادرها إلى محفوظه، أى إلى ما اختزن من صور شعرية فهو دائم الارتكاز على الواقع وفى هذا سر عمقه ونفاذه إلى القلوب. وإذا كنا قد رأينا فى المحاضرات السابقة الأستاذ عباس

محمود العقاد يلوم شعراءنا لتغنيهم بطائر لا يعرفونه لأنه لا يعيش فى بيئتنا بل يعيش فى عالم الغرب وهو «البلبل» وينادى شعراءنا بأن ينصرفوا عن البلبل ليتغنوا بالكروان الذى قال الأستاذ العقاد أنه كثيراً ما يسمعه فى جنح الليل عند مشارف مصر الجديدة، ونظمّ فى هذا الطائر ديواناً بأكمله هو «هدية الكروان»، فها نحن نرى الهمشرى لا يتغنى بالبلبل ولا بالكروان بل يتغنى بطائر أيلف فى ريفنا هو العصفور الذى يسميه بعض سكان ريفنا بالزرزور، وهو طائر لا يغنى كالكروان بل يزقزق زقزقة أليفة قريبة من نفوس أهل الريف جميعاً. ونحن بعد لا نعرف على وجه التحديد شجرة النارنج التى حن إليها الشاعر كما لا نعرف ما يحيط بها من أشجار وأزهار وبيئة طبيعية، ولكننا مع ذلك نحس بأن الشاعر قد أضاف إلى الرؤية الواقعية أطرافاً من الخيال بدليل تلك الألفاظ النادرة التى استخدمها للتعبير عن بعض أنواع الأزهار، وأكبر الظن أنها أنواع لم يسمع عنها الشاعر فى ريفه كالدلفي، ولكنه سمع عنها أو رآها أثناء عمله بوزارة الزراعة. وفى بعض البرهات التى كان الشاعر المسكين يختلسها من الأضابير لكى يشاهد روضاً من الزهر، على نحو ما رأيناه يستخدم اللفظ الفارسى «سمانجون» للتعبير عن زرقة السماء، وأكبر الظن أنه قد سمع هذه اللفظة خلال الفترة القصيرة التى قضاها بكلية الآداب. ولكن كل هذا لم يصب الرؤية الشعرية عند الهمشرى بأى تفكك أو اضطراب، كما أنه لم يخرج نغماته عن مجال الصدق الذى نحسه فى شعره بفضل تجانس الجو الذى تسبح فيه القصيدة كلها.

وخاصية ثالثة من خصائص الرومانسية العميقة الصادقة هى تلك التى يعبر عنها الغربيون بقولهم «إن الشاعر الرومانسى يفكر خلال الأشياء كما تفكر خلاله». وهذا هو ما نكاد نتقراه بلمس فى قصيدة الهمشري. فالنارنجة ليست هى التى تتذكر عند السياج أزاهرا أو شفقاً توهج حمرة أوشجر النخيل وهدهداً وليست هى التى «تحلم بأرض فى الخيال سحيقة» بل الشاعر هو الذى يتذكر ويحلم خلال النارنجة التى خلع عليها هموم روحه وأشواقها بعد أن كان فى مطلع القصيدة هو الذى يحن ويذكر ويتوق إلى أن يؤوب ليرى نوار النارنجة الثلجي. ولا غرابة فى شيء من كل هذا عند شاعر تتحد فى نفسه الحقيقة بالخيال وتختلط مشاعره بالأشياء فتنطق بلسانه وينطق بلسانها فى وحدة شعرية متماسكة بالغة القوة والنفاذ. وإن تفاوتت ألوان تلك الرؤية تبعاً للحالات النفسية التى تتعاقب على شاعر بالغ الرهافة والحساسية كمحمد عبد المعطى الهمشرى حتى لنراه يتغنى غناء صريحاً مشرقا فى «أغنية النخيل».

ومع ذلك فقد تشتط بالهمشرى رومانسيته وينطلق خياله بعيداً عن الواقع

حتى ليكاد يخلق أساطير حيناً ويضل فى عوالم الشعر الرمزى حيناً آخر، حتى ليرى حدائق فى الشفق وفى مسارح القمر والفجر فى قصيدة رمزية. ففى «حدائق الشفق» يستهلها بقوله:

بين الدجى واحمرار شعه الشفق ... النور يرقص فى عينى ويأتلق

لا هدأة تسعد الحيران لا سنة ... تقر عينى بها قد شفها الأرق

فلا أرى غير أحلام مكوكبة ... وغير رسم سماء بات يحترق

ثم يسترسل فى وصف رؤى خياله وصور أحلامه ورموز عقله الملتهب مثل قوله:

ذهلت فى حلم غاف وخيل لي ... أنى عبرت طريقاً كلها ظلم

لم يغشها من بنى الإنسان مقتحم ... قبلى وما وطئت أرضاً بها قدم

تحف دغلاً تثير النفس وحشته ... الصمت يحكمه والليل والأجم!

بل قد يلجأ الهمشرى إلى الخيال الكبير الخلاق الذى يلجأ إليه الأدباء فى تصور القصص والمسرحيات وبنائها على نحو ما نشاهد فى مطولته التى نشرها فى السياسة الأسبوعية وقدم لها رئيس التحرير الدكتور محمد حسين هيكل بمقدمة حماسية وهى قصيدة «شاطئ الأعراف» التى علق عليها الشاعر بقلمه فقال:

الأعراف كما فسرها المفسرون مكان بين الجنة والنار وأطلقت هنا على شاطئ خيالى يقع وراء عالم الموت. وبعد أن مات الشاعر حملته آلهة الشعر فى زورقها السحرى فى بحر الوقت وأرست به على هذا الشاطيء».

والشاعر يصف لنا كل ما رآه فى طول رحلته من عجائب الموت التى تحلم بها كل شاعرية تسلم زمامها إلى الخيال المطلق، وعندما يصل الشاعر إلى شاطئ الأعراف يصف لنا هذا الشاطئ ثم يروعه بحر هائج مصطخب يشرف عليه شاطئ الأعراف فتصفه لنا، وهذا البحر هو بحر الوقت، ويعترض هذا البحر على صفحة الأفق هيكل قصر خرب به فتحات مظلمة تنساب فى خلالها مياه بحر الوقت وتغنى بها أحشاء المجهول والعدم، وهذا الهيكل الحالك هو قبر الليالى كانت تدفق أشلاءها أثناء الحياة». وبينما كان الشاعر يرعى ذلك طلع عليه موكب فخم من زوارق سحرية يتقدمها فلك عليه خيال ملاك يعزف على قيثارته وهذا الملاك هو الحياة، تقود عناصر الوجود من الجمال والشر... إلخ ... فى زورقها. ومر ذلك الموكب فى بحر الوقت

واختفى فى غياهب هذا القصر الذى هو قبر الليالى ثم أرخى على العالم ستار العدم والصمت».

ونحس أن هذه المطولة إنما هى فرار بالشاعر على أجنحة الخيال من عالم الواقع المرير حتى لنكاد نلمس أن لها وظيفة نفسية عند قائلها عندما نقرأ قوله فيها:

عندما خدر الغناء شكاتي — وسقانى كئوسه المنسيات
بعث الشعر من لديه نسيما — فائح العطر طيب النغمات
هز قلع الصبا فأيقظ فكري — فهفت بى سفينة الذكريات
فى خضم الأفكار تطوى بى الوقت — وتهفو إلى ضفاف الحياة

وهذه القصيدة الطويلة تستحق أن تفرد ببحث خاص بعد أن تستخرج من «السياسة الأسبوعية» لأن الأستاذ محمد فهمى لم ينشر فى كتابه «الروائع لشعراء الجيل» غير مقتطفات منها، بل إنها قد تسمح بمقارنات تعقد بينها وبين المطولات المشابهة لها فى الفكرة مثل «رسالة الغفران» و«الكوميديا الإلهية» لدانتى و«الفردوس المفقود» لملتون، وإن كنت أحسب أن هذه القصيدة أبعد عن مثيلاتها السابقات فى الخيال وأمعن فى الرمزية، ولا تكاد تمت بصلة إلى أحداث التاريخ أو تعاليم الأديان. ولهذا ربما كانت المقارنة أقرب وأجدى بينها وبين «بساط الريح» و«عبقر» لفوزى وشفيق المعلوف.

وإلى أن نفرغ لمثل هذه الدراسة نختتم هذه النظرية السريعة فى اتجاه الهمشرى الرومانسى بهذه المقطوعة المؤثرة التى نطالعها فى قصيدته «تأملات أو حياة شاعر» حيث يقول:

جلستُ على الصخر الوحيد وحيدا
وأرسلتُ طرفى فى الفضاء شريدا
وكفكفتُ دمعا لا يُكفكفُ غربه
وواسيتُ قلبا فى الضلوع عميدا
أرى صفحة الآمال قد ضاق أُفقها
ولاح على اليأس البعيد مديداً
لقد عشت فى دنيا الخيال مُعذبا
فياليت شعرى، هل أموتُ سعيداً؟

وبهذا يكتمل لنا المضمون الإنساني لرومانسية الهمشرى الخالصة. وأما وسائل تعبيره وصوره الشعرية فقد كانت من الجدة والابتكار بحيث خرجت خروجاً مطلقاً من مجال التعبير المباشر إلى مجال الرمز والتبادل بين معطيات الحس المختلفة.

والواقع أن الهمشرى وبعض رفاقه فى جماعة أبوللو مثل الصيرفى وعلى محمود طه قد أحدثوا فى لغة الشعر العربى حدثاً أثار ثائرة أنصار الديباجة التقليدية، والرعب من التجديد والتعصب للقديم. وفى مقدمة ديوان «أصداء الحرية» لعبد الله شمس الدين نرى الشاعر التقليدى الأستاذ عزيز أباظة يسخر فى مرارة من هذا التجديد فى التعبيرات الشعرية ويضرب له أمثلة بعبارات «الأنين المشنوق» و«الحزن الراقص» و«الصمت المقمر»، و«الشمس المعربدة»، و«اللانهاية الخرساء».

ولقد كان الأستاذ عزيز أباظة باستطاعته أن يجد بعض العبارات المشابهة فى شعر الهمشرى مثل قوله: «العطرى القمري» و«النغم الوضيء» و«اللحن المفضض» و«السكون المشمس».

وهذه قضية لغوية بل شعرية عامة تستحق النظر.

والواقع أن دراسة تاريخ اللغات كلها يدلنا على أن سبيل المجاز قد كان السبيل الأكبر فى تكوين اللغات وتوسيع وسائل التعبير فيها حتى أصبح الكثير من مفردات اللغة وتعبيراتها مجازات حية أو مجازات ميتة نسيت فيها المعانى الأصلية ولم يبق غير المعانى المجازية. ونضرب مثلاً عابراً فى اللغة الفرنسية فنجد أن الرأس فى اللغة اللاتينية — وهى أصل الفرنسية — كانت تسمى كابوت caput التى تطورت صوتياً فأصبحت فى الفرنسية شيف chef وتخصصت بمعنى رئيس. وأما الرأس كعضو فى الجسم فقد سماها الشعب الفرنسى الميال إلى النكتة باسم تيتا tetta التى كانت تفيد أصلاً إناء من الفخار على نحو ما يسمى شعبنا الآن أحياناً الرأس «بالطاسة» فى قولهم «يسخن الطاسة»، ثم نسى المعنى الأصلى لكلمة تيتا التى تطورت صوتياً إلى تيت téte وأصبحت لا تفيد شيئاً غير الرأس بعد أن مات فيها المجاز.

ولو أننا درسنا اللغة العربية وتاريخها، وأصولها السامية لوجدنا نفس الظاهرة، على نحو ما نحس مثلاً فى كلمة الزكاة التى يفيد اشتقاقها معنى الزيادة فى مثل قولهم العلم «يزكو على الإنفاق». ثم نقلت من هذا المعنى عن طريق المجاز إلى المعنى الشرعى المعروف وهو تخصيص جزء من الكسب للفقراء وذوى الحاجة وأصبحنا لا نكاد نلمح معنى الزيادة فى هذا الاستعمال المجازى الجديد حتى ولا عند فقهاء الشريعة أنفسهم الذين لا يتحدثون عن زيادة المال بالزكاة بل يتحدثون عن تطهيره.

وإذا كان المجاز من أكبر السبل التى تتسع بها اللغة وتزداد قدرتها على التعبير، وكان المجاز ونقل اللفظ إلى مجال من مجالات الحس أو الإدراك إلى مجال آخر لوجود علاقة أو شبه بين المجالين — فكيف يمكن أن نحرم اللغة من هذه السبيل وأن ندعو إلى تجميدها؟

والتعبيرات التى يأخذها دعاة المحافظة اللغوية على شعرنا الحديث منذ جماعة أبوللو حتى اليوم لا تخرج عن كونها مجازات وإن تغير فيها أساس النقل من مجال إلى مجال.

فالعرب القدماء كانوا يرحبون بالمجاز كوسيلة من وسائل البيان بشرط أن يتم النقل من مجال إلى آخر على أساس التشابه الذى كانوا يسمونه «الجامع فى كل». ثم حدث فى الآداب الغربية فقى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أن ظهر مذهب أدبى جديد هو مذهب الرمزية الذى امتد إلى وسائل التعبير اللغوي، وقد أجمل الشاعر الفرنسى بودلير الأساس النفسى للتبعير الرمزى فى بيت شعر له قال فيه:

«إن الألوان والأصوات والعطور تتجاوب» وهو يقصد بذلك أن لوناً من الألوان قد يحدث فى النفس البشرية أثراً يتفق مع الأثر الذى يحدثه صوت معين أو عطر معيّن وهذا هو معنى التجاوب بين هذه المعطيات الحسية المختلفة. ومادامت اللغة فى أصلها مجرد رموز تثير فى نفوسنا إحساسات وخواطر وانفعالات يرمز لكل منها لفظ معين، وما دام الهدف النهائى من الأدب والشعر هو نقل تجربة بشرية أو على الأصح أثر هذه التجربة من نفس إلى نفس، فإنه يصبح من الحكمة بل من الواجب على الأديب أو الشاعر الذى يريد أن يستنفد كل ما فى نفسه وينقله كاملاً إلى أنفس الغير أن ينقل ألفاظاً من مجال حى معين إلى مجال آخر إذا كان فى هذا النقل ما يعينه على هدفه وهو نقل الأثر النفسى إلى الغير. وبذلك دعا الرمزيون إلى استخدام صفات وألفاظ من عالم حى إلى غيره، ولذلك رأيناهم ينقلون صفات من مجال المرئيات إلى مجال المسموعات أو من مجال الشم إلى مجال البصر، وهكذا — ومن الواضح أن مثل هذا النقل أو التبادل لا يجوز أن يرفض كلية كما لا يجوز بالبداهة أن نقبله كله، والمقياس فى الحكم عليه أو له هو النجاح أو الفشل فى تحقيق الهدف منه. وهذا الهدف هو نقل الأثر النفسى من الشاعر أو الأديب إلى القراء. فإذا كان الشاعر يحس مثلاً أن السكون المخيم حوله ليس سكوناً مقبضاً داعياً إلى الحزن والكآبة، بل سكوناً تبتهج به نفسه ويشرق وجدانه، جاز أن نسمى هذا السكون سكوناً مشمساً كما قال الهمشري. وكذلك الأمر فى ضوء القمر الذى قد يحس به شاعر هادئ الضوء حالماً وسنان، بينما يراه آخر نوراً براقاً بهيجاً فيسميه بالقمر المفضض باعتبار أن الفضة توحى بالبريق والبهجة. وكذلك العطر يمكن أن يوصف بأنه قمرى إذا كان قد بعث فى نفس الشاعر نفس الإحساس الذى يبعثه القمر. وبالمثل يمكن أن يقال عن النغم الوضيء. والمهم فى كل هذا ألا يفتعل الشعراء مثل هذه التعابير لمجرد الرغبة فى التجديد فالشعر والأدب عامة اساسه المكين هو صدق التجربة والإخلاص فى تبين أثرها فى نفس الأديب أو الشاعر، ثم الإخلاص فى التماس أنجح الوسائل فى نقل هذا الأثر إلى نفوس الغير. وبهذا يتميز الرمز عن اللغز بل ويتميز أيضاً عن الهذيان والكذب. وفى شعر الهمشرى بوجه عام نحس صدق التجربة الشعرية والإخلاص لنفسه ولشعره وهذا هو ما يحملنا على الاعتزاز بشعر هذا الشاب الذى غادر الحياة وهو لا يزال برعماً يتفتح عن عطره.

حسن توفيق – سيرة ومسيرة

بينما كانت الحرب العالمية الثانية تحصد أرواح ملايين البشر ، كان هناك ملايين آخرون يولدون، ومن بين هؤلاء ولد طفل مصري ، اسمه كاملا حسن توفيق محمود محمد ، وقد ولد في أحد أحياء القاهرة الشعبية وهو حي شبرا يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٣ ، وفيما بعد – عندما كبر – أحس بالنشوة تغمر روحه حين اكتشف أن الشاعر الكبير الذي أعجب به أيما إعجاب وهو الدكتور إبراهيم ناجي كان قد ولد هو أيضا في حي شبرا ،لكنه ولد في آخر يوم من أيام القرن التاسع عشر الميلادي.

في الخامسة من عمره شاهد الطفل بنفسه عمليات طلاء فوانيس الغاز المعلقة في الشوارع باللون الأزرق ، ثم أخذ يستمع كل صباح وهو في طريقه إلى المدرسة الابتدائية إلى أغنيتين كانتا تذاعان باستمرار، هما يا مجاهد في سبيل الله – جاه اليوم اللي بتمناه بالعامية المصرية وأخي جاوز الظالمون المدى وهي بالفصحى ، وكانت الأغنية والقصيدة تغمرانه بالنشوة وبالحماسة وبنوع من الطرب التلقائي الذي يدفعه لمحاكاة ما سمعه في الأداء ، لكنه لم يكن يعرف أن الجيوش العربية قد خاضت في فلسطين حربا ضد العصابات الصهيونية وأن هذه الجيوش قد ذاقت مرارة الهزيمة القاسية .

تلقى تعليمه الإعدادي في مدرسة السيدة حنيفة السلحدار الإعدادية بشبرا ، وفيما بعد عرف أن السيدة حنيفة كانت سيدة ثرية ولم يكن لها أبناء، ولهذا تبنت طفلة كانت مخطوفة من تركيا ، هي الشاعرة جليلة رضا، وقد قرأ الطفل ديوانا كان قد صدر لتلك الشاعرة وهو اللحن الباكي كما قرأ عن طريق مكتبة المدرسة مجموعة كبيرة من كتب المغامرات والرحلات ، وكان متفوقا على كل زملائه في مادة اللغة العربية لكنه كان يرسب باستمرار في مادة الرياضة والحساب .

تلقى تعليمه الثانوي في مدرسة روض الفرج الثانوية، وكان اسمها قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ مدرسة الأمير فاروق الأول ، وكان ممن تعلم على أيديهم خلال تلك المرحلة أستاذ اللغة العربية وهو الشاعر كمال نشأت – الدكتور فيما بعد ، وماهر ميخائيل أستاذ اللغة الإنجليزية الذي أهداه مجموعة كبيرة من دواوين الشعراء الإنجليز من بينهم إليوت ووليم بتلر ييتس وأودن ولوي ماكنيس ، وذلك لتشجيعه في محاولاته غير الناجحة لكتابة قصائد باللغة الإنجليزية، أما مكتبة المدرسة فقد أتاحت له فرصة التعرف على رواد الشعر الحر من خلال مجلة الآداب البيروتية التي كانت تصل المكتبة بانتظام ، وهكذا حفظ حسن توفيق قصائد أنشودة المطر ومدينة بلا مطر وعرس في القرية لبدر شاكر السياب وقصائد أخرى عديدة لصلاح عبد الصبور ونازك الملائكة وخليل حاوي ونزار قباني ، كما حفظ عن ظهر قلب معظم قصائد ديوان وراء الغمام للدكتور إبراهيم ناجي ، وما يزال يعتز بالنسخة التي يقتنيها من هذا الديوان لأن ناجي كان قد كتب على صفحتها الأولى إهداء بخط يده لحضرة صاحب العزة عبدالحميد بك خضر مفتش وزارة المعارف العمومية – ٢٦ مايو ١٩٣٤ .

تلقى تعليمه الجامعي بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة القاهرة ، حيث حصل على ليسانس الآداب في يونيو سنة ١٩٦٥ وخلال تلك المرحلة سعد برعاية وتشجيع أساتذته فيما يتعلق بفن الشعر ، ومن أساتذته الذين يدين لهم بالحب والولاء الدكتورة سهير القلماوي والدكاترة شوقي ضيف وشكري محمد عياد ويوسف خليف الذي كان شاعرا رومانسيا رقيقا وحسين نصار وعبد الحميد يونس وعبد المحسن طه بدر الذي كان يسمح لتلميذه بأن يزوره في بيته بالمعادي حيث تعرف على أدباء كثيرين ، منهم غالب هلسا وسليمان فياض ومحمد أبو المعاطي أبو النجا وعبد الجليل حسن، وما تزال صداقاته مع أبناء دفعته ممتدة ووطيدة منذ سنة التخرج – ١٩٦٥ –حتى الآن ومنهم من أصبحوا مرموقين مثل الدكتور جابر عصفور والدكاترة يوسف حسين بكار وإبراهيم السعافين وأحمد أبو مطر والكاتب الناقد فتحي عبد الحافظ .

بدأ يتعرف بشغف على عالم الصحافة عموما والصحافة الأدبية خصوصا وهو ما يزال طالبا جامعيا ، وهكذا توثقت صلاته بالكاتب الصحفي أحمد بهجت وأصبح يتردد على مبنى جريدة الأهرام القديم ، واستطاع أن يلتقي بصورة منتظمة مع الدكتور لويس عوض والفنان الشامل صلاح جاهين وشعراء العامية الذين كانوا يترددون على صلاح جاهين ومنهم عبد الرحمن الأبنودي وسيد حجاب وعبد الرحيم منصور ،ومن خلال تواصله مع هؤلاء أخذ يكتشف الفارق بين ما يكتبونه من قصائد مرتبطة بالواقع وما يكتبه هو من القصائد الغارقة في رومانسيتها .

كانت للطالب الجامعي وقتها جولات منتظمة لزيارة سور الأزبكية القديم حيث استطاع أن يقتني مجموعة كبيرة من أعداد مجلة أبولو ، فضلا عن الطبعات الأولى من دواوين شعراء تلك الجماعة ، ومنهم محمود حسن إسماعيل وحسن كامل الصيرفي وصالح جودت وعلي محمود طه ، وخلال تلك الفترة تعرف على نجم أدبي شهير ما لبث أن أصبح صديقا حميما له وهو الكاتب والناقد رجاء النقاش .

بعيدا عن أسوار الجامعة ، كان حسن توفيق من المشاركين في الأمسيات الشعرية الأسبوعية التي كانت الجمعية الأدبية المصرية تعقدها ، وكذلك شارك في العديد من الأمسيات التي كانت دار الأدباء تنظمها في مقرها بشارع القصر العيني ، وكان واحدا من الرواد الدائمين لمقهى ريش الشهير بشارع طلعت حرب حيث كان العملاق نجيب محفوظ يعقد ندوة أسبوعية مساء كل يوم جمعة ، وكان مرتادو تلك الندوة ممن كانوا يعرفون ب أدباء الستينيات ، ومن هؤلاء أمل دنقل ويحيى الطاهر عبد الله وإبراهيم أصلان وممن كانوا يقيمون في مصر وقتها الشاعران عبد الوهاب البياتي ومحمد الفيتوري .

بدأ ينشر قصائده منذ سنة ١٩٦٣ حيث نشر عددا منها في مجلة الشعر القاهرية التي كان يرأس تحريرها الدكتور عبد القادر القط كما نشر في مجلة الآداب البيروتية، ثم أخذت قصائده تتوالى في النشر على صفحات مجلة المجلة بتشجيع من الكاتب الكبير يحيى حقي ومن بعده الدكتور عبد القادر القط الذي خلفه في رئاسة تحرير المجلة .

سجل – بعد تخرجه في الجامعة – رسالة الماجستير سنة ١٩٦٦ لكن مغريات الساحة الثقافية والفنية التي انغمس فيها لم تمكنه من إنجازها إلا سنة ١٩٧٨ حيث حصل على الماجستير بتقدير ممتاز عن أطروحته : شعر بدر شاكر السياب – دراسة فنية وفكرية ، وقد صدرت تلك الدراسة في بيروت خلال نفس تلك السنة ، واعتمد عليها باحثون أكاديميون في جامعات عربية عديدة ، وأعيد

طبعها مرة ثانية في عمان ، كما أنها على وشك الصدور في طبعة جديدة ضمن إصدارات المجلس الأعلى للثقافة في مصر .

عمل بعد تخرجه في الجامعة مديرا لمكتب الشاعر العظيم صلاح عبد الصبور والذي كان وقتها مديرا عاما للنشر بالهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر – الهيئة العامة للكتاب فيما بعد، كما عمل محررا بمجلة الفكر المعاصر التي تناوب على رئاسة تحريرها الدكتور زكي نجيب محمود والدكتور فؤاد زكريا وله كتابات نقدية عديدة على صفحات تلك المجلة، وعمل لمدة سنتين في دار الكتب المصرية ،ثم عمل في الهيئة العامة للفنون حتى سنة ١٩٧٩ .

اختاره رجاء النقاش ضمن من اختارهم للعمل معه في جريدة الراية القطرية منذ سنة ١٩٧٩ وهي الجريدة التي ظل يعمل بها رئيسيا للقسم الثقافي طيلة ثلاثين سنة ، حيث عاد إلى وطنه مصر منذ يوم ٥ يوليو سنة ٢٠٠٩ ليتفرغ للكتابة الأدبية .

حصل على جائزة الدولة التشجيعية في الشعر عن ديوانه انتظار الآتي سنة ١٩٩٠ بإجماع أعضاء لجنة التحكيم وهم الدكتور عبد القادر القط والدكتور يوسف خليف والدكتور محمود مكي والشاعر فاروق شوشة .

حصل على جائزة أفضل قصيدة من مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري سنة ١٩٩١ وذلك عن قصيدته السندباد والرحلة الجديدة التي كانت قد نشرت في الملحق الأدبي لجريدة الأهرام ، ثم اشتمل عليها فيما بعد ديوانه ليلى تعشق ليلى .

أصدر أول ديوان له سنة ١٩٦٩ بعنوان الدم في الحدائق –انظر العطاء الأدبي للشاعر.

أصدر كتابه النقدي الأول ضمن سلسلة المكتبة الثقافية بعنوان اتجاهات الشعر الحر سنة ١٩٧٠ وقد كان استقبال هذا الكتاب من جانب الساحة الأدبية استقبالا جميلا متحمسا .

عضو الجمعية الأدبية المصرية منذ سنة ١٩٦٦ وقد رشحه لعضويتها كل من الدكتور عبد الغفار مكاوي وصلاح عبد الصبور وفاروق خورشيد، وخلال تلك المرحلة كان يساهم مساهمة فعالة في تحرير مجلة الأدب الشهرية التي كان يصدرها شيخ الأمناء أمين الخولي .

عضو اتحاد كتاب مصر منذ بداية تأسيسه حتى الآن .

ترجمت قصائد من شعره إلى اللغات الأسبانية والإنجليزية والروسية والأوكرانية ، حيث قامت المستعربة الأسبانية الدكتورة كارمن رويث برافو بترجمة ونشر قصائد من ديوانه ما رآه السندباد في مدريد، كما قام الدكتوران محمد شاهين –الأردن وعبد الواحد لؤلؤة –العراق بترجمة مجموعة من قصائده إلى الإنجليزية ، وقام المستشرق الأوكراني البروفيسور فاليري ريالكن بترجمة مجموعة من قصائده إلى اللغتين الروسية والأوكرانية .

زار العديد من الأقطار العربية للمشاركة في ملتقيات ومهرجانات أدبية وثقافية كما زار عدة دول أوربية للمشاركة في مشروع كتاب في جريدة الذي يصدر بالتعاون مع منظمة اليونسكو و كذلك للمشاركة في بعض دورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، وزار اليابان سنة ١٩٩٨ لمدة أسبوعين بدعوة من وزارة الخارجية اليابانية ، حيث سجل انطباعاته

عن تلك الزيارة التي شملت طوكيو والعاصمة القديمة كيوتو وهيروشيما ونجازاكي ، فضلا عن لقاءاته مع أشهر الشعراء اليابانيين ، وقد تمت ترجمة تلك الانطباعات إلى اللغة اليابانية ، وله كتاب يصنف على أنه من كتب أدب الرحلات ، ويضم معظم ما كتبه عن تلك الزيارات والرحلات ، والكتاب بعنوان رحلات شاعر عاشق – مع الشعر والحب في الشرق والغرب .

زار أوكرانيا تلبية لدعوة من جامعة عالم الشرق ، حيث ألقى محاضرة عن واقع الأدب العربي في قسم اللغة العربية بتلك الجامعة وذلك في شهر أبريل سنة ٢٠٠٦ وقد نشرت إحدى أشهر الجرائد اليومية الأوكرانية ترجمة لتلك المحاضرة شغلت مساحة صفحة كاملة .

كتب أستاذه صلاح عبد الصبور مقدمة لديوانه الدم في الحدائق ، كما كتب الدكتور عز الدين إسماعيل دراسة عن شعره ، تصدرت ديوانه أحب أن أقول لا .

كتب كثيرون من النقاد والشعراء والصحفيين عن شعره وعن كتبه النثرية ، ومن هؤلاء الدكتور شكري محمد عياد – الدكتور يوسف حسين بكار – الدكتور كمال نشأت – الدكتور ماهر حسن فهمي – فاروق شوشة – الدكتور أحمد أبو مطر – علاء الديب – إقبال بركة – فاروق خورشيد – أنيس منصور – صالح جودت – الدكتور رياض عصمت ... وسواهم .

اهتمت مواقع عديدة بنشر وإعادة نشر قصائده على الشبكة العنكبوتية – الإنترنت .

له موقع رسمي على الإنترنت بعنوان : مجنون العرب – موقع الشاعر والكاتب حسن توفيق ، وله مدونتان شخصيتان إحداهما ضمن مدونات مكتوب والمدونة الثانية ضمن مدونات إيلاف .

www.magnoonalarab.com
magnoonalarab.maktoobblog.com
hassan66.elaphblog.com

العطاء الأدبي للشاعر

أولا : الشعر :

الدم في الحدائق – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٩ – الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، وقد صدرت طبعته الثانية سنة ١٩٨٩

أحب أن أقول لا – الطبعة الأولى سنة ١٩٧١ الهيئة العامة للكتاب ، وقد صدرت الطبعة الثانية منه سنة ١٩٨٩

قصائد عاشقة – الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ وقد صدرت طبعته الثانية سنة ١٩٨٩

حينما يصبح الحلم سيفا – الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ – دار النشر والإعلان – طرابلس – ليبيا وصدرت الطبعة الثانية سنة ١٩٨٩

انتظار الآتي – سنة ١٩٨٩

قصة الطوفان من نوح إلى القرصان – ١٩٨٩

وجهها قصيدة لا تنتهي – سنة ١٩٨٩

ما رآه السندباد – سنة ١٩٩١

ليلى تعشق ليلى – سنة ١٩٩٦

الأعمال الشعرية – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨ – دار الخليج للطباعة والنشر – الدوحة – قطر ، أما الطبعة الثانية فقد صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٢ وصدرت الطبعة الثالثة ضمن إصدارات مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣

عشقت اثنتين : توشكا وتمنراست – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩ – دار الخليج للطباعة والنشر – الدوحة – قطر

بغداد خانتني – قصائد ومقامات في حب العراق – الطبعة الأولى ٢٠٠٤ – مؤسسة الرحاب الحديثة – بيروت – لبنان

وردة الإشراق – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥ – المجلس الوطني للثقافة – الدوحة – قطر

أحبك أيها الإنسان – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨ – الهيئة المصرية العامة للكتاب

حلم يتفتح في صخر – قيد الطبع ضمن إصدارات وزارة الثقافة والفنون – الدوحة – قطر .

لا مكان للشهداء – ضمن سلسلة الإبداع الشعري المعاصر – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة .

ثانيا : فن المقامة :

مجنون العرب بين رعد الغضب وليلي الطرب – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤ – مؤسسة الرحاب الحديثة – بيروت – لبنان

ليلة القبض على مجنون العرب – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥ – مؤسسة الرحاب الحديثة – بيروت – لبنان ، وقد قام المترجم التونسي عبد الودود العمراني بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية، والترجمة منشورة على شبكة الإنترنت – موقع جمعية المترجمين العرب

ثالثا : دراسات وتحقيق :

اتجاهات الشعر الحر – سنة ١٩٧٠ – سلسلة المكتبة الثقافية

وداعا عبد الناصر – بالاشتراك مع أمل دنقل – سنة ١٩٧١ – الهيئة المصرية العامة للكتاب

إبراهيم ناجي – قصائد مجهولة – سنة ١٩٧٨ – مكتبة مدبولي – القاهرة

شعر بدر شاكر السياب – دراسة فنية وفكرية – سنة ١٩٧٩ – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت – لبنان

أزهار ذابلة وقصائد مجهولة للسياب – سنة ١٩٨٠ – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت - لبنان

جمال عبد الناصر – الزعيم في قلوب الشعراء – سنة ١٩٩٦ – المكتبة العالمية – الدوحة - قطر

الأعمال الشعرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجي – سنة ١٩٩٦ – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة

الأعمال النثرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجي – مجلدان – سنة ٢٠٠١

مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين – الجزء الثالث – شعراء قطر – ٢٠٠١

جمال عبد الناصر – الزعيم في قلوب الشعراء – طبعة موسعة – سنة ٢٠٠٢ – مؤسسة بيسان – بيروت - لبنان

الأعمال الشعرية المختارة للدكتور إبراهيم ناجي – سنة ٢٠٠٣ – المجلس الوطني للثقافة – الدوحة - قطر

محمد بن خليفة العطية شاعرا وإنسانا – تقديم وتحرير – سنة ٢٠٠٤

خليل الفزيع شاعرا – تقديم وتحرير – سنة ٢٠٠٦

قاموس الأدب العربي الحديث – إعداد وتحرير الدكتور حمدي السكوت – (كتابة المواد المنشورة عن أدباء قطر) – سنة ٢٠٠٧ – دار الشروق - القاهرة

الحياة الحب والحب الحياة – شعراء جبناء ونساء لهن عضلات – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩ – المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة

الأعمال النثرية الكاملة للدكتور إبراهيم ناجي – طبعة جديدة منقحة – صدر المجلد الأول منها سنة ٢٠١١ – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة .

من شعر ناظم حكمت – ترجمة الدكتور علي سعد – تقديم ودراسة – ضمن سلسلة ميراث الترجمة – المركز القومي للترجمة – القاهرة .

آلام فرتر لجوته – ترجمة أحمد حسن الزيات – تقديم ودراسة – ضمن سلسلة ميراث الترجمة – المركز القومي للترجمة – القاهرة .

رابعا : أدب الرحلات :

رحلات، شاعر عاشق – مع الشعر والحب في الشرق والغرب – الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١ – دار الخليج للطباعة والنشر – الدوحة - قطر

رحلات جديدة مع الشعر والحب – قيد الصدور

خامسا : مقالات وقصائد منشورة :

هناك عشرات القصائد ومئات المقالات المنشورة في مجلات أدبية وثقافية مثل الهلال وإبداع وأدب ونقد في مصر والعربي الكويتية والدوحة القطرية والثقافة العربية الليبية والمجلة السعودية وغيرها، وفي العديد من الجرائد اليومية العربية ، ومنها الأهرام – الجمهورية – الأخبار – الخليج الإماراتية – القبس الكويتية – أخبار الخليج البحرينية – الوطن العمانية – العلم المغربية – الخبر الجزائرية – الشرق الأوسط السعودية . وهناك عمود أسبوعي ينشر في جريدة الشرق القطرية كل يوم خميس بعنوان مرايا الروح .

سادسا : فن الرواية :

عرفة ينهض من قبره – رواية – تبدأ الرواية الأولى لحسن توفيق من حيث اختتم الكاتب الروائي العملاق نجيب محفوظ روايته الشهيرة أولاد حارتنا – الطبعة الأولى يناير سنة ٢٠١١ – وكان النص الكامل للرواية قد نشر في مجلة نزوى العمانية في العدد الثالث والستين الصدر في يونيو ٢٠١٠ - وقد كتبت عن هذه الرواية دراسات ومقالات عديدة بأقلام فاروق شوشة والدكتور أحمد أبو مطر وحنان بكير وعيسى الشيخ حسن وبيانكا ماضية واعتماد عبد العزيز وغيرهم، هذا إلى جانب لقاءات تليفزيونية عديدة خصصت لمناقشة الرواية .

زازا – رواية مجهولة للشاعر الدكتور إبراهيم ناجي - جمع وتقديم – الطبعة الأولى سنة ٢٠١١ – مؤسسة الرحاب الحديثة – بيروت .

ثرثرة فوق الأنقاض – رواية جديدة تستوحي ثرثرة فوق النيل لنجيب محفوظ وتتوغل أحداثها في زمن أبعد من زمن كتابة نجيب محفوظ لروايته الرائعة – لم تصدر بعد .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة